جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد

الحذف عند البلاغيين

في ضوء أساليب القرآن الكريم

رسالة ماجستير

مقدمة من الطالب

بسيوني عبد الفتاح بسيوني فيود

المعيد بقسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية
بالقاهرة

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد حسنين أبو موسى
أستاذ البلاغة والنقد بالكلية

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

" بسم الله الرحمن الرحيم "

إهداء

إلي أمي الحبيبة الغالية التي ذقت في رحابها العطف والحنان والرعاية ...

إلي أبي الكريم الذى تكفلني بالرعاية والتربية ، ومازال يمد لي يد العون والمساعدة ....
وكل ما يرجوه أن أكون ابنا من أبناء الأزهر المخلصين .

إلي طلاب العلم فى كل مكان الذين يبحثون عن الحقيقة ويسعون وراء المعرفة .....

أهدى هذا البحث المتواضع ....

راجيا من الله عز وجل .. أن يكون لبنة في بناء صرح العربية الخالد "

.....

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" مقدمة "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام المتقين سيدنا محمد النبي العربي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فمن الواضح أن الدراسات البلاغية والنقدية قد نشأت من أجل القرآن الكريم ، لبيان خصائصه التعبيرية ، والكشف عن جوانب إعجازه ، والدفاع عنه ضد المشككين والملحدين ....

وظاهرة الحذف من الظواهر التي تناولها العلماء بالدراسة والبحث ، فقد كان من المطاعن التي أثارها المشككون حول أساليب القرآن الكريم : كثرة الحذف في أساليبه ، مدعين أن كثرة الحذف في أساليب القرآن الكريم تؤدي إلى التعمية وحدوث اللبس وعدم الوقوف على المعنى المراد ....

وكان لزاما على العلماء أن يردوا هذه المطاعن ، وأن يثبتوا بالشواهد والبراهين أن الحذف من الظواهر الأسلوبية التي وجدت في لغة العرب وأنه : متى اقتضاه المقام ووجد الدليل الذي يدل عليه ، فلن يحدث لبس في فهم المعنى وإدراك المراد ، وأنه ليس في القرآن الكريم حذف لم يقم الدليل عليه ، بل إن للحذف أسراره البلاغية وقيمته الفنية ...

وهكذا نشأت دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية ، ثم نمت وتطورت مراحل دراستها ...

وقد اخترت ظاهرة الحذف موضوع لبحثي ، وذلك يرجع إلى أنني رأيت هذه الظاهرة في حاجة إلى دراسة جادة للكشف عن أسرارها ، وتجلية دقائقها ، وبيان لطائفها ، وتوضيح طريقة القرآن الكريم في الحذف والإيجاز ، فلقد تناول النحويون

ـ ظاهرة الحذف بالدراسة حتى قتلت بحثا ، أما من الوجهة البلاغية فما زالت فى حاجة إلى دراسة دقيقة وتأنية للكشف عن أسرارها وبيان قيمتها ...

ولهذا وقع اختيارى على موضوع " الحذف " وسألت فيه المشتغلين بهذا العلم ، فاتفقت آراؤهم جميعا على أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وبحث ، فعقدت العزم على دراسته سائلا المولى عز وجل أن يلهمنى الصبر على تحمل أعباء البحث والدراسة وأن يوفقنى إلى الصواب والرشد ...

وقد جعلت البحث قسمين : القسم الأول يتناول تطور دراسة الحذف والقسم الثانى لدراسة الحذف فى أساليب القرآن الكريم ....

وفى القسم الأول : بينت كيف نشأت دراسة هذه الظاهرة ، وتناولت مراحل نموها وتطورها ، وذلك أن كثيرا من الذين يكتبون فى نشأة البلاغة وتطورها ، يؤرخون لرجالها ويكتبون عن علمائها فى مختلف القرون ...

أما فنونها ومسائلها ، فقل من يتناولها بالدراسة ويتتبع مراحل نموها وتطورها ولذلك رأيت لزاما على أن أتتبع : فن الحذف ، لأبين كيف نشأت دراسته وأجلى مراحل نموه وتطوره ، فإن دراسة تاريخ الفنون ومسائل البلاغة وتتبع مراحل نموها وازدهارها مما يفيد فى فهم هذه الفنون والمسائل فهما دقيقا واعيا ، ويساعد فى تخليصها من كثير من الشوائب التى قد تصيبها فى مراحل معينة من مراحل البحث والدراسة ....(1) ..

---

(1) انظر البلاغة القرآنية د / أبو موسى ص ٨٧

وقد قسمت البحث فى هذا القسم إلى أربعة فصول :—

الفصل الأول :

تناولت فيه دراسة الحذف عند المتقدمين منذ نشأ البحث فى اللغة وأساليبها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، فتابعت دراسته عند مختلف العلماء والباحثين سواء فى ذلك من تغلبت عليه الدراسة النحوية أو البلاغية أو الأدبية أو من كتب حول القرآن الكريم وبيان جوانب إعجازه ...

فبدأت بدراسته عند سيبويه : "١٨٠هـ" ، ثم تابعت الدراسة حتى انتهيت فى هذا الفصل بدراسته عند ابن سنان الخفاجى : "٤٦٦ هـ" ، وبينت أن هؤلاء العلماء قد انصب اهتمامهم على إثبات تلك الظاهرة فى اللغة ، وبيان صور الحذف المختلفة ، والإشارة إلى ضرورة قيام الدليل الذى يدل على المحذوف وأن حذف ما لم يقم الدليل عليه يعد عيبا فى الكلام ، لأدائه إلى خفاء المعنى وحدوث اللبس ...

كما كانت لهم إشارات دقيقة إلى أسرار الحذف وقيمته البلاغية ، وإن كانت هذه الإشارات قليلة ونادرة ، تحتاج من الدارس إلى إطالة النظر والتأمل حتى يقف عليها ....

الفصل الثانى :

خصصته لدراسة الحذف عند الإمام : عبد القاهر ، وذلك أن البلاغة قد ازدهرت ووضحت معالمها فى كتابى : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، فقد أفاد عبد القاهر من دراسات السابقين ، واستطاع أن يضع لنا منهجا دقيقا فى دراسة مسائل البلاغة قائما على تذوق النصوص وتحليل الشواهد والوصول من خلالها إلى القيم الفنية للمسائل وإدراك أسباب الجمال فيها ...

— وقد سلك عبد القاهر فى دراسة الحذف منهجا دقيقا ، فبين قيمته البلاغية وكشف عن أسراره ودقائقه ، وحقا أنه لم يتناول جميع صور الحذف وذلك لأن منهجه ليس قائما على الاستقصاء والتتبع ، ولهذا فقد اكتفى ببعض صور الحذف كحذف المبتدأ ، وحذف المفعول ، واهتم بالكشف عن الأسرار البلاغية الكامنة وراء الحذف عارضا الأمثلة والشواهد ، محللا لها ، وبينا أن الحذف عندما يقتضيه المقام يكون أفضل من الذكر ، كما أن الذكر فى موطنه أفضل من الحذف ..

ثم فندت الشبه والاعتراضات التى قد توجه إلى دراسة الحذف عند عبد القاهر ، مبينا أن منهجه هو أفضل منهج وأقومه ، وأنه ينبغى السير عليه لدراسة الحذف فى أساليب القرآن الكريم ...

الفصل الثالث :

تناولت فيه دراسة الحذف بعد الإمام عبد القاهر فبينت أن العلامة الزمخشرى قد أفاد كثيرا من دراسة الحذف عند عبد القاهر ، وقد بدأ ذلك واضحا فى تفسيره : " الكشاف " حيث نراه يسير على نفس الطريقة فاهتم بالكشف عن أسرار الحذف وبيان قيمته البلاغية فى أساليب القرآن الكريم ، ويبدو التأثر واضحا فيما يعرض من أمثله وشواهد فى دراسة تلك الظاهرة ...

ثم أوضحت أن مسار الدراسة قد تغير بعد عبد القاهر والزمخشرى ، فكان هناك اتجاه السكاكى الذى اهتم بوضع الضوابط والقواعد ، وقد بلغ الغاية فى هذا الشأن ، ثم جاء أتباعه فأسرفوا فى شرح هذه القواعد ، مهملين الجانب التطبيقى ....

— والاهتمام بالقواعد وضبط المسائل يفيد كثيراً ، إذا ما شغفت هذه القواعد وتلك الضوابط بعرض الشواهد وتحليلها وتذوقها ...

يقول عبد القاهر : " لأن القصد إذا كان لتمهيد الأساس ووضع قواعد للقياس ، كان الأولى أن يعمد إلى ما هو أظهر وأجلى من الأمثلة ، لتكون الحجة بها عامة ، لا يصرف وجهها بحال ... "(1) ..

إذا أن تسرد هذه القواعد سردا ، بعيدا عن الشواهد والأمثلة ، فهذا هو الذي حول البلاغة إلى مجموعة من القواعد والضوابط تدرس كما يدرس المنطق والفلسفة وعلم الكلام ...

وهناك اتجاه ابن الأثير والعلوي اللذين تأثرا كثيرا بطريقة عبد القاهر والزمخشري ، فدرسا البلاغة بطريقة أدبية تذوقية إلا أن هذا الاتجاه لم يسد فقد تغلب عليه اتجاه أتباع السكاكي ...

أما الفصل الرابع :

فقد رأيت أنه من الضروري والمهم أن أعقد فصلا للمقارنة بين الإيجاز بالحذف والإيجاز بغيره ، فخصصت هذا الفصل لتلك المقارنة ....

— في القسم الثاني : تناولت دراسة الحذف في أساليب القرآن الكريم وقد قسمته إلى فصلين :—

الفصل الأول :

تناولت فيه صور الحذف المختلفة في أساليب القرآن الكريم ، فاهتمت

---

(1) أسرار البلاغة جـ1 صـ 176

— بالكشف عن أسرار الحذف وتجليه دقائقه ولطائفه ، فعرضت الشواهد الكثيرة لصور الحذف المختلفة من آيات الذكر الحكيم ، كاشفا — قدر استطاعتى — عن الأسرار البلاغية الكامنة وراء الحذف فى تلك الآيات الكريمة ، ولم أتتبع وأستقص ظاهرة الحذف فى جميع آيات القرآن الكريم ، لأن هذا التتبع فوق طاقة هذا البحث .

الفصل الثانى :

تحدثت فيه عن قرائن الحذف ، فبينت أن العلماء قد اهتموا منذ نشأت دراسة الحذف بالإشارة إلى ضرورة قيام القرينة الدالة على المحذوف ، حتى لا يؤدى الحذف إلى اللبس وعدم الوقوف على المعنى المراد ...

وقد أوضحت أن قرائن الحذف لا يؤتى بها من أجل الدلالة على المحذوف فقط ، وإنما تفيد معنى آخر لا يفيده المحذوف ، وأن هذه القرائن لا يشترط فيها أن تكون من جنس المحذوف الدالة عليه خلافا لما عليه بعض العلماء ....

أما عن مصادر البحث التى رجعت إليها ، فقد كانت كثيرة ومتنوعة ، ففى القسم الأول : رجعت إلى مصادر النحو المختلفة وإلى أمهات الكتب التى كتبت عن إعجاز القرآن الكريم ، ثم إلى مصادر البلاغة والنقد وهى مصادر أساسية فى البحث ...

وفى القسم الثانى : فقد استمدت فضلا عن المصادر السابقة بكتب التفسير المختلفة ومن أهمها :—

روح المعانى والكشاف ، ونظم الدرر ، والمنار ، وفى ظلال القرآن ، وتفسير أبى السعود ، وغيرها ...

وقد أخذت منى هذه الكتب وقتا طويلا وجهدا شاقا ، ولكن كل ذلك يسهل فى سبيل الوصول إلى المعرفة التى نسعى جميعا وراءها .. وبعد "

— فقد بذلت فى هذا البحث كل ما أستطيع من وقت وجهد ، فإن كان ما كتبت صوابا ففضل من الله وتوفيق ، وإن كان غير ذلك ، فيعلم الله أنى ما قصرت ، وحسبى قول الرسول الكريم : " من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد " . صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام .—.

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

" صدق الله العظيم "

— الطالب —

بسيونى عبد الفتاح بسيونى فيود

البـــاب الأول

الحذف عنـــد البلاغيين

تمهيد :

الحذف ظاهرة من الظواهر الأسلوبية التى وردت فى لغة العرب ، ورأيناها فيما ورثناه عنهم من النصوص الشعرية والنثرية ، وهذا لا يحتاج إلى تدليـــل ولا توثيق لأنه لا يخفى على الناظر فى دواوين الشعراء ، وخطب الخطبـــاء ، ومقالات الكتاب ، أن يقف على هذه الظاهرة الأسلوبية ، وأن يدرك ما فى تراث القوم من حذف لأجزاء الكلام ، فقول الخنساء :ـ

وعلا هتاف الناس أيهـــا ∴ قال المجيب هناك لا أدرى

حذف منه الخبر ، إذ التقدير : أيها السابق .

وقولها :ـ

فأقسمت آسى علـــى هالك ∴ وأسأل نائحـة مالهـــا

حذف منه حرف النفى ، وتقديره : فأقسمت لا آسى .

وقول الحادرة :ـ

بسبيـل ثغر لا يسـرح أهلـه ∴ سقـم يشار لقاؤه بالأصبع

أى : يشار عند لقائه ، فحذف الظرف : عند

وقول ذى الخرق الطهـوى يخاطب ذئبا :ـ

حسبت بغـام راحلـتى عناقا ∴ وما هى ويب غيرك بالعناق

حذف منه المضاف ، إذ التقدير : حسبت بغـام راحلتى بغـام عناق

وقول عروة بن الورد :ـ

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهـــم ∴ ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

أى : إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ، فحذف الجار والمجرور .

وقول البحـــترى :

وكم ذدت عـنى من تحامل حـــادث .. وسورة أيام حززن إلى العظم

حذف منه المفعول ، أى حززن اللحم إلى العظـم .

إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التى تتضح فيها هذه الظاهرة الأسلوبيـة ورغم ورود هذه الظاهرة فى لغة العرب ، فقد وجد كثير من المشككين فـــى أساليب القرآن الكريم ، الذين أثاروا الشبه حول أساليبه واختلقوا المطاعـن والاعتراضات ، وقد تصدى علماء المسلمين لهؤلاء المشككين مبطلين ما أثـاروه من شبه ، وما اختلقوه من اعتراضات .

ـ وكان مما أثير حول أساليب القرآن الكريم من شبه ، ما يعترضه بعضهم بكثرة الحذف فى أساليبه ، مدعين أن كثرة الحذف تؤدى إلى الإشكال فـــى فهم المعنى ، وصعوبة إدراك المراد ، وهذا ما يفسر لنا سر اهتمام العلماء بإثبات الحذف فى لغة العرب وورودة منهم كثيرا فى فصيح الشعر والنثر ، وأن الحذف لا يعد عيبا مادام قد وجد الدليل الذى يدل على المحذوف ويرشد إليه ، فالحذف المعيب هو الذى خلا أسلوبه من وجود القرينة الدالة علـــى المحذوف ، لأداء الحذف عندئذ إلى خفاء المعنى وحدوث اللبس ، وهـــذا ما لا نراه فى فصيح كلام العرب ، ولا فى أساليب القرآن الكريم .

يقول الخطابى :

" قالوا : وقد يوجد فى القرآن الحذف الكثير والاختصار الذى يشكل معه وجه الكلام ومعناه ، كقوله سبحانه : " ولو أن قرآنا سيرت به الجبـــال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " (١) ثم لم يذكر جوابه ، وفى ذلـــك

(١) سورة الرعد ٣١

ـ تبتير الكلام وإبطال فائدته ، وكقوله سبحانه : " حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها " (١) . الآيـة ونظائرها ... ثم قد يوجد فيه على العكس منه التكرار المضاف كقوله سبحانه فى سورة الرحمن : " فبأى آلاء ربكما تكذبان " ، وفـى سورة المرسلات : " ويل يومئذ للمكذبين " ، وليس واحد من المذهبين بالمحمود عند أهل اللسان ولا بالمعدود فى النوع الأفضل من طبقات البيان " (٢) .

ثم يرد هذا المطعن بقوله : " وأما ما عابه من الحذف والاختصار فى قوله سبحانه : " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " فإن الإيجاز فى موضعه ، وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة ، وإنما جاز حذف الجواب فى ذلك وحسن لأن المذكور منه يدل على المحـذوف والمسكوت عنه من جوابه لأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به ، والمعنى : لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتـى لكان هذا القرآن ، وقد قيل : إن الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكـر لأن النفس تذهب فى الحذف كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لكان مقصورا على الوجـه الذى تناوله الذكر .. " (٣) .

وهكذا نجد أن دراسة الحذف حول أساليب القرآن الكريم ، إبطالا لتعسـف المشككين ، ودفعا لافتراءات الملحدين ، ثم أخذت دراسة هذه الظاهرة تتسع بتطور ، كما سنرى فى الفصول التالية : ...

---

(١) سورة الزمر ٧٣
(٢) بيان إعجاز القرآن ص ٣٩
(٣) نفس المصدر ص ٥١

الفصـــــل الأول

الحذف في دراسات المتقدمـــين

في هذا الفصل سأتناول دراسة الحذف عند مختلف العلماء منذ القـــرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الخامس بدءا بسيبويه وانتهاء بابن سنان ، لنرى كيف درس العلماء هذه الظاهرة ، ومدى أثر السابق في اللاحق وتأثـــر المتأخر بالمتقدم ، وكيف نما وتطور بحث هذه الظاهرة عندهم .

وعبد القاهر رغم أنه من علماء القرن الخامس ، ومعاصرته لابن سنـــان الخفاجي ولابن رشيق ، إلا أنه انفرد بمنهج دقيق في دراسة الحذف والدراسات البلاغية بصفة عامة ، وهذا ما جعلني أفرد دراسة الحذف عنده بفصل خـاص ، لأبين كيف تأثر بسابقيه وفاق معاصريه ، في دراسة هذه الظاهرة ، فكشف عـن أسرارها ، وأبرز دقائقها وغوامضها ، ووضع منهجاً دقيقاً ينبغي ترسمه والسـير عليه ، في دراسة الحذف في أساليب القرآن الكريم : ..

أولا : عند سيبويه : " ١٨٠ هـ " :—

إذا نظرنا إلى دراسة الحذف عند سيبويه ، نراه قد أشار إلى صوره المختلفة من حذف الفعل والفاعل والمفعول ، إلى حذف المبتدأ والخبر ، إلى حـــذف المضاف والحروف ، وغير ذلك من صور الحذف المتعددة ، كما نراه ينبه ويشير إلى ضرورة قيام القرينة التي تدل على المحذوف وترشد إليه ، وإلا عد الحـــذف رديئا ومسببا لغموض المعنى وخفاء المراد .

وسيبويه عالم نحوي ، لا تتعدى دراسته للحذف وغيره علم النحو ، فـإذا وجدت عنده إشارات بلاغية ، فهي إشارات زائدة على نطاق بحثه ، وتعد نافلة له ، ومن الطبيعي أن يتأثر العلماء الذين كتبوا عن إعجاز القرآن الكريم بعـــد

ذلك بهذه الإشارات ، وأن يفيدوا منها ، كما سنرى ..

يقول سيبويه عن حذف الفعل : " هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره ، إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل ، وذلك قولك : زيدا وعمرا ورأسه ، وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله ، فقلت زيدا ، أي : أوقع عملك بزيد ، أو رأيت رجلا يقول : " أضرب شر الناس فقلت : زيدا ، أو رأيت رجلا يحدث حديثا فقطعه فقلت : حديثك ، استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبَر ، فعلى هذا ، يجوز هذا وما أشبهه ، وأما النهي فإنه التحذير ، كقولك : الأسد الأسد ، والجدار الجدار ، والصبي الصبي ، وإنما نهيته أن يقرب الجدار المخوف الماثل ، أو يقرب الأسد ، أو يوطئ الصبي " .(1) ..

فهو يشير بهذا النص إلى حذف فعل الأمر أو النهي عند إرادة الأمر أو التحذير وذلك إذا ما أرشدت القرينة ودلت على المحذوف ، ويكرر سيبويه التنبيه إلى ضرورة قيام القرينة الدالة على المحذوف ، ونلحظ ذلك في عباراته :- " إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل " ، " رأيت رجلا يضرب أو يشتم ... فقلت : زيدا " ، " استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبَر " فلا بد أن يكون المخاطب عالما بهذا الفعل المحذوف ، وعلمه يرجع إلى الحال المشاهدة - كأن ترى رجلا يضرب فتقول : زيدا ، فتلك الحال المرئية والصورة المشاهدة توحي بهذا الفعل المحذوف وتدل عليه ، أو يرجع إلى سياق الكلام وإيحاءاته وغير ذلك من قرائن الحذف المختلفة ، كما يجب أن يكون المتكلم عالما بعلم المخاطب هذا ، وإلا عد الحذف معميا ورديئا لأدائه إلى التعمية وحدوث اللبس والإشكال في فهم المراد .

(1) الكتاب جـ ١ ص ٢٥٣

ويقول فى موضع آخر : " هذا باب يحذف منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار بمنزلة المثل ، وذلك قولك : " عدا ولا زعماتك " أى : ولا أتوهم زعماتك ومن ذلك قول الشاعر وهو ذو الرمة ، وذكر الديار والمنازل :—

ديار ميّة إذ مى مساعفة .·. ولا يرى مثلها عُجْم ولا عرب

كأنه قال : أذكر ديار مية ولكنه لا يذكر اذكر " لكثرة ذلك فى كلامهم ، واستعمالهم إياه ، ولما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك ، ولم يذكر : " ولا أتوهم زعماتك " لكثرة استعمالهم إياه ، ولا ستدلاله مما يرى من حاله أنه ينهاه عن زعماته " (١) .

فهو يرى أن هنا فعلا محذوفا قدره فى البيت بقوله : " اذكر " ، وفى المثال بقوله : " أتوهم " ، وأن هذا الحذف قد كثر استعماله فى كلام العرب ، حتى أنهم لا يذكرون ذلك المحذوف أى : أن ذكره يعد عيبا وإخلالا بفصاحة الكلام

ولكن لماذا يعد تقدير المحذوف عيبا ومخلا بالفصاحة ؟ ، ليست هذه مهمة سيبويه لأنه عالم نحوى لا يعنيه دراسة أسرار الأساليب ومزايا التراكيب .

وسنرى عبد القاهر بعد ذلك يفرق بين الحذف وتقدير المحذوف ، فيذكر أن للحذف قيمته البلاغية ، وعلينا أن ننسى المحذوف ونجد فى نسيانه ، ولا نشغل الذهن به ، لأننا إذا أردنا تقدير المحذوف واعتباره فى الكلام ، فإن ذلك يذهب بالقيمة الفنية للحذف ويضيع جماله وبهاءه ..٢

كما يشير سيبويه فى النص المذكور إلى القرينة الدالة على المحذوف ، فهى فى المثال " ما يرى من حاله أنه ينهاه عن زعماته " وفى البيت : " ما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك " ، بالإضافة إلى كثرة الاستعمال التى توجب

(١) . الكتاب جـ ١ ص ٢٨٠ ٢) انظر ص ٦١ من هذا البحث

— الحذف والاختصار .

ثم يؤكد سيبويه أن الحذف ظاهرة أسلوبية وقعت في أساليب العرب الخلص وسمعت عنهم من مصادر ثقة ، وذلك حيث يقول : " وهذه حجج سمعت من العرب ومن يوثق به يزعم أنه سمعها من العرب ، من ذلك قول العرب في مثل من أمثالهم : " اللهم ضبعا وذئبا " إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل ، وإذا سألتهم ما يعنون قالوا : اللهم أجمع أو أجمل فيها ضبعا وذئبا ، وكلهم يفسر ما ينوى ، وإنما سهل تفسيره عندهم ، لأن الضمر قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار .

حدثنا أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل له : لم أفسدتم مكانكم هذا ؟ فقال : الصبيان بأبى ، كأنه حذر أن يلام فقال لم الصبيان . "(١) .

فهو هنا يثبت أن الحذف طريقة من طرق العرب في التعبير والقول ، وردت عنهم وسمعت منهم ، ومن السهل والميسور أن يقدر هذا المحذوف عندهم لأن ما حذف في موضع قد يثبت نظيره في موضع آخر .

ونلاحظ أن سيبويه يسمي الحذف إضمارا ، أي أننا قد أضمرنا هذا الشيء في أنفسنا وأخفيناه من العبارة فهو غير موجود في ظاهر النص ، وتوحي هذه التسمية بضرورة التخلي عن المحذوف والبعد عن تقديره أو اعتباره في الكلام ، لأن في اعتباره والنظر إليه إفسادًا للمعنى وإخلالاً بفصاحة الكلام ، لضياع الغرض الذي يُقصد إليه من الحذف ، فوراء كل حذف سر بلاغي يضفي على المعنى رونقا وجمالا ، وإذا ما أردنا تقدير المحذوف واعتباره في الكلام ضاع هذا الجمال الذي أفاده الحذف ، فوجب أن يظل المحذوف مضمرا في النفس مختفيا وراء —

(١) الكتاب جـ ١ ص ٢٥٥

— العبارة ، ولهذا سمى سيبويه وكثير من العلماء بعده الحذف إضطرارا ، وقد أدرك عبد القاهر بذوقه المرهف سر هذه التسمية فأخذ يفرق بين الحذف وتقدير المحذوف ، كما سنرى .. [1] ..

ويشير سيبويه إلى أن العرب تكثر من الحذف عند ذكر الديار والمنازل والأطلال فيقول تحت باب ما يحذف منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار مثلا : " ومن العرب من يرفع الديار كأنه يقول : " تلك ديار فلانه) .

وقال الشاعر — عمر بن أبى ربيعة : —

اعتاد قلبك من سلمى عوائده ∴ وهاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء أذاع المعصرات به ∴ وكل حيران سارٍ ماؤه هطِلُ

كأنه قال : " وذلك ربع أو هو ربع ، رفعه على ذا وما أشبهه ، سمعناه من يرويه عن العرب ، ومثله :—

هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا ∴ كما عرفت بجفن الصيقل الخِلَلا

دار لمروة اذ أهلى وأهلهم ∴ بالكانسيه نرعى اللوى والسَّلا

فإذا رفعت فالذى فى نفسك ما أظهرت وإذا نصبت فالذى فى نفسك غير ما أظهرت .. [2] ..

ونشعر بأن قوله : " الذى فى نفسك " يفيد أن المحذوف يجب أن يبقى فى النفس مضمرا ، فلا يبرز إلى اللفظ ولا ينظر إليه ، حتى لا يضيع الغرض المقصود من الحذف . والمراد بالعبارة : فإذا رفعت فالذى فى نفسك ما أظهرت ، وإذا نصبت فالذى فى نفسك غير ما أظهرت ، أننا إذا رفعنا "الديار" ، "ربع" ، "دار" ، فهى حينئذ خبر لمبتدأ محذوف قد أضمرته فى

(١) انظر ص ٦١ (٢) الكتاب ج ١ ص ٢٨١

— نفسك وأخفيته ، والمبتدأ اسم كالخبر ، فيكون المحذوف كالمذكور فى الاسمية أما إذا نصبنا " الديار " فهى مفعول لفعل محذوف ، فيكون المحذوف فعلا والمذكور اسما أى أنهما مختلفان من حيث الاسمية والفعلية ، هذا ما يعنيه بتلك العبارة . (١) ..

ولكن ما السر البلاغى وراء كثرة الحذف عند ذكر هذه الأماكن ؟

سبب ذلك يرجع إلى أن تلك الأماكن تثير فى النفس الحنين والذكريات وتبعث الألم واللوعة لفراق الأحبة وبعدهم ، والنفس عندما تتألم وتأسى تميل إلى الحذف والاختصار ، وكأن الموقف موقف إشارات ولمح ، موقف يتطلب الصمت والسكون والتأمل ، هذا هو السر البلاغى لكثرة الحذف عند ذكر هذه الأماكن ، وسيبويه لم يذكر ذلك ، ولكنه يقرر ويثبت بالشواهد والأدلة كثرة الحذف فى هذا المقام وحسبه ذلك ، لأنه لا يريد أكثر منه ، فلم يكن يستهدف بيان الأسرار البلاغية للغة ، وإن كان يكون منه ذلك أحيانا ، ولكنه كان يستهدف بيان طرائق القول فى التعبير ، وقد بلغ الغاية فى بابه ، وما عنده من إشارات بلاغية فهى زائدة على نطاق بحثه وميدان دراسته ، وتعمدنا قلة له كما ذكرت .

ويشير سيبويه إلى حذف المضاف فيقول : " ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار ، قوله تعالى : " واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها " (٢) .

إنما يريد : أهل القرية ، فاختصر وعمل الفعل فى القرية كما كان عاملا فى الأهل لو كان ههنا ، ومثله : " بل مكر الليل والنهار " (٣) .

---

(١) انظر الكتاب جـ١ ص ٢٧١
(٢) سورة يوسف ٨٢
(٣) سورة سبأ ٣٣

وإنما المعنى : بل مكركم فى الليل والنهار ، وقال عز وجل : " ولكن البر من آمن بالله " (١) وإنما هو : ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، ومثله فى الاتساع قوله عز وجل : " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء " (٢) ، فلم يشبهوا بما ينعق وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : " مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع " فهذا جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى .

ومثل ذلك من كلامهم : " بنو فلان يطؤهم الطريق " ، يريد : يطؤهم أهل الطريق ، وقالوا : صدنا تنوين ، وإنما المراد : صدنا بتنوين ، أوصدنا وحش تنوين ، وإنما تقول اسم أعرف " (٣) .

فهو هنا يشير إلى حذف المضاف مقدرا له فيما يحضره من شواهد وبينما الدليل على المحذوف ، ونلاحظ أن بعض هذه الشواهد ذكرها البلاغيون بعد ذلك أمثلة لألوان بلاغية مختلفة كالمجاز المرسل فى : " بنو فلان يطؤهم الطريق " ، " بل مكر الليل والنهار " ، ومجاز الحذف فى : " واسأل القرية " ، " صدنا تنوين " .

وفى قول سيبويه فى هذه الأمثلة : أنها جاءت على سعة الكلام " ما يتسع لذلك لأن سعة الكلام لفظ عام يندرج تحته جميع ألوان المجاز .

ولكن من المغالطة أن نقول : إن سيبويه تحدث عن هذه الألوان البلاغية لأنه درسها مثلا نحوية لبيان الحذف والتقدير ، وفرق بين أن نقول : إن سيبويه أشار إلى صور هذه الفنون ، وأن نقول : إن سيبويه أشار إلى هذه

(١) سورة البقرة ١٧٧ (٢) سورة البقرة ١٧١
(٣) الكتاب جـ ١ ص ٢١٢

(١) الصواب : بمن ينعق

— الفنون البلاغية ... [١] ..

ويتحدث سيبويه عن حذف المبتدأ فيقول عن البيت :—

قالت حنان ما أتى بك ههنا ∴ أذو نسب أم أنت بالحي عارف

" لم ترد حسن ولكنها قالت : " أمرنا حنان أو ما يصيبنا حنان " وفي هذا المعنى كله معنى النصب " ومثله في أنه على الابتداء وليس على فعل قوله عز وجل :—

" قالوا معذرة إلى ربكم " [٢] .. لم يريدوا أن يعتذروا اعتذارا مستأنفا من أمر ليموا عليه " ولكنهم قيل لهم : " لم تعظون قوما ؟ " قالوا : موعظتنا معذرة إلى ربكم ولو قال رجل لرجل : معذرة إلى الله وإليك من كذا وكذا " يريد اعتذارا لنصبه ومثل ذلك قول الشاعر [٣] ..:—

يشكو إلى جملي طول السُّرى ∴ صبر جميل فكلانا مبتلى

والنصب أكثر وأجود لأنه يأمره " ومثل الرفع : " فصبر جميل والله المستعان [٤] كأنه يقول : " الأمر صبر جميل " [٥] .

ففي هذا النص يبين لنا سيبويه أن الحذف قد يحتمل أكثر من تقدير للمحذوف وعندئذ يجب علينا أن نقدر ما يكون فيه ثراء للمعنى " وما يتطلبه المقام ويتمشى مع سياق الكلام " فالبيت الأول : الأجود أن نقدر المحذوف مبتدأ لأنها لم ترد : نحن حنانا " ولكنها أرادت إفادة الثبوت والدوام وذلك لا يكون إلا بتقدير المحذوف اسما أي : أمرنا حنان أو ما يصيبنا حنان " وكذلك الآية الكريمة : " قالوا معذرة إلى ربكم " فالأجود تقدير المحذوف

(١) أنظر البلاغة القرآنية د / محمد أبو موسى ص ١١٤
(٢) الاعراف ١٦٤
(٣) لم أعثر على قائله
(٤) سورة يوسف ١٨
(٥) الكتاب جـ١ ص ٢٨٨

— مبتدأ لأنهم لم يريدوا أن ينشئوا اعتذارا مستأنفا من أمر لهما عليه ، ولو أرادوا ذلك لوجب أن يكون المحذوف فعلا ظالفعل هو الذى يفيد التجدد والحدوث ، ولكنهم أرادوا القول بأن الموعظة دائمة ومستقرة وذا لا يكون إلا بتقدير المحذوف اسما : موعظتنا معذرة ، أما البيت :—

يشكو إلى جملى طول السُّرى ∴ صبر جميل فكلانا مبتلى

الأجود أن يكون المحذوف فعلا تقديره : اصبر صبرا وذلك أنه أراد الإخبار بأنه يجدد الأمر للجمل بالصبر والتحمل كلما شكا إليه طول السرى فالأمر بالصبر يستأنف من حين لآخر وهذا يناسبه تقدير الفعل ، وذلك عكس الآية الكريمة : " صبر جميل والله المستعان على ما تصفون " فالمراد فيها إفادة دوام الصبر واستقراره ولازمته ليعقوب عليه السلام وذا يناسبه تقدير المحذوف اسما .

فسيبويه يوضح لنا الطريقة المثلى فى تحديد المحذوف واختياره عندما وأن المرجع فى ذلك الى المقام والسياق ، ثم نراه يحدد المحذوف يحتمل الكلام أكثر من تقدير للمحذوف فيما يسترعى من شواهد وأمثلة ، مسألا سبب هذا التحديد ، فالأجود فى البيت الأول تقدير المبتدأ ، فلماذا ؟ — لأنها لم تردنحن حنانا ولكنها أرادت : أمرنا حنان ، والأجود فى الآية الكريمة أن نقدر المبتدأ ، لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذارا مستأنفا من أمر ليواطيه ، والأجود فى البيت الثانى تقدير الفعل ، لأنه يأمره .... أحكام معللة ، وليست أحكاما مطلقة مجردة ...

وهكذا كانت دراسة سيبويه للحذف ، ويمكن إيجازها فيما يلى :—

١) اهتمامه بإثبات هذه الظاهرة فى كلام العرب ، وبيان أن هذه طريقة من طرقهم فى التعبير ، وردت عنهم وسمعت منهم .

٢) التنبيه إلى ضرورة قيام القرينة التى تدل على المحذوف وتشير إليه ،

ـ فالعرب لم تحذف من كلامها ما لم يقم الدليل عليه .

٣) ورغم أن سيبويه عالم نحوى ومهمته بيان طرائق العرب فى التعبير إلا أنه كانت له إشارات بلاغية أفاد منها العلماء بعد ذلك :ـ

منها :

تفريقه بين الحذف وتقدير المحذوف ، وبيان أن فى تقدير المحذوف واعتباره فى الكلام ضياعاً لجمال الحذف وقيمته .

ومنها :

إشارته إلى المقامات التى يكثر فيها الحذف عند العرب ، كذكر الديار والمنازل والأطلال ، ومقامات الخوف والألم .

ومنها :

إشارته إلى شواهد وأمثلة لألوان بلاغية مختلفة كالمجاز المرسل ومجاز الحذف والمجاز المرسل وقوله فى هذه الشواهد : جاءت على التوسع فى الكلام ، وسعة الكلام كلمة عامة يدخل تحتها جميع أنواع المجاز ، ونحو . ولن كان قد درس هذه الشواهد مثلاً نحوية ـ إلا أنه مهد الطريق ووضع الأساس لمن جاء بعده لدراسة هذه الألوان البلاغية وتمييزها .

وقد تأثر العلماء بسيبويه فى دراستهم للحذف إلى حد كبير كما سنرى ...

ثانيا : عند الفراء : " ٢٠٧هـ " ...

والفراء فى كتابه معانى القرآن يتحدث عن ظاهرة الحذف فيشير إلى صورها المختلفة ، مبينا دليل الحذف فيما يعرض من شواهد ، ومنبهاً

— إلى ضرورة وجود القرينة الدالة على المحذوف حتى لا يعد الحذف عيبا ومخلا بالفصاحة .

يقول الفراء عن حذف المضاف : " قوله تعالى : " وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " .(١) . فإنه أراد : حب العجل ومثل هذا مما تحذفه العرب كثيرا ، قال الله : " وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها "(٢) والمعنى : سل أهل القرية وأهل العير ، وأنشدني المفضل الضبي :—

حسبت بغام راحلتي عناقا .·. وما هي ويب غيرك بالعناق (٣)

ومعناه : بغام عناق ، ومثله من كتاب الله : " ولكن البر من آمن بالله (٤) " ، ومعناه — والله أعلم — ولكن البر بر من فعل هذه الأفاعيل التي وصف الله .

والعرب تقول : إذا سرك أن تنظر إلى السخاء فانظر إلى حاتم أو إلى حاتم وأنشدني بعضهم :—

يقولون جاهد يا جميل بغزوة .·. وإن جهادا طيئ وقتالها (٥)

يجزئ ذكر الاسم عن فعله إذا كان محفوظا بسخاء أو شجاعة أو أشباه ذلك (٦) — فهو هنا يبين أن الحذف واقع كثيراً في لغة العرب ثم يذكر الشواهد التي تؤيد ذلك من القرآن وما ورد عن العرب الفصحاء .

ثم يشير إشارة دقيقة إلى سر من أسرار الحذف إذ يقول : ويجزئ ذكر الاسم عن فعله إذا كان محفوظا بسخاء أو شجاعة أو أشباه ذلك :

---

(١) سورة البقرة ٩٣ ٢) سورة يوسف ٨٢
(٣) البيت لذي الخرق الطهوي يخاطب ناقته
(٤) سورة البقرة ١٧٧ ٥) لم أعثر على قائله
(٦) معاني القرآن جـ ١ ص ٦١

ومعنى ذا أن الاسم إذا عرف بفعل من الأفعال واشتهر بصفة من الصفات وأصبح معروفا بهذا الفعل أو تلك الصفة أجزأ ذكره وأغنى عن الفعل أو الصفة مثال ذلك — كما ذكر — : أن حاتما قد اشتهر بالكرم ، وكذلك هرم بن سنان وأن قبيلة طيء قد اشتهرت بالشجاعة والإقدام ، وهذه الشهرة جعلت الاسم يجزئ عن صفته ، فتحذف الصفة ويجزئ عنها ذكر صاحبها الذى عرف بها واشتهر بين الناس اتصافه بها ، فعندما نذكر إنسانا بالكرم نقول له :—

" انظر إلى هرم أو إلى حاتم ، وعندما نحثه على الشجاعة والإقدام نقول له :

∴ وإن جهادا طيء وقتالها ∴ فالسر البلاغى لهذا الحذف هو :— شهرة الموصوف بصفته حتى صار مختصا بها وغلبا عليها ، فصار الكرم متجسدا فى هرم وحاتم ، وصارت الشجاعة مقصورة على طيء . وصرنا إذا أردنا الحديث عن الكرم طويناه وحذفناه وذكرنا حاتما أو هرما ، وإذا أردنا الحديث عن الشجاعة أضفناها وطويناها وذكرنا طيئا .

وهذه إشارة دقيقة للفراء ، وقد تأثر بها عبد القاهر عند حديثه عن السر البلاغى فى بيت البحترى :—

هو حسناده وغيظ عداه ∴ أن يرى مبصر ويسمع واع

حيث يذكر أن السر البلاغى لحذف المفعول فى البيت هو إفادة أن الممدوح قد اشتهر بهذا المفعول ، وذاع بين الناس اتصافه به إلى حدّ أن الشاعر يتمنى أن يكون هناك من يسمع ويرى لأنه سيرى حتما مآثره ومحاسنه وسيسمع قطعا عن أسباره وشجاعته وأمجاده .

فعبد القاهر قد استطاع بذوقه وحسه أن يدرك مغزى كلام الفراء : بأن الاسم يجزئ ويغنى عن صفته إذا صار معروفا بها ، كما أغنى ذكر حاتم

ـ عن الكرم لشهرته به ، فأبرز لنا سر بلاغة الحذف في البيت ، وهو شهرة اتصاف الممدوح بمفضوله حتى صار يغني ذكره عن ذكر هذا المفضول إذ ينصرف الذهن عند سماع الممدوح إلى مآثره ومحاسنه وأمجاده (١) ..

ويقول الفراء عند حذف المعطوف : " فأجمعوا أمركم وشركاءكم (٢) " ـ والإجماع : الإعداد والعزيمة على الأمر ، ونصبت الشركاء بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ، والضمير ههنا يصلح إلقاؤه لأن معناه يشاكل ما أظهرت كما قال الشاعر :ـ (٣)

ورأيت زوجك في الوغى .. متقلدا سيفا ورمحا

فنصبت الرمح بضمير الحمل ، غير أن الضمير صلح حذفه لأنهما سلاح يصرف ذا بذا وفعل هذا مع فعل هذا . " (٤) ..

فهو هنا يتحدث عن حذف المعطوف بينما القرينة الدالة على المحذوف ، ففي الآية الكريمة حذف الفعل : ادعوا ، المعطوف على : " أجمعوا " ودليل الحذف ـ كما أشار ـ أن الجمع بمعنى الإعداد والعزيمة يشاكل معنى : ادعوا المحذوف .

وفي البيت حذف : حاملا ، المعطوف على متقلدا ، ودليل الحذف هو أن الرمح يحمل والسيف يتقلد ، فهما سلاح يصرف ذا بذا وفعل هذا مع

(١) انظر ص ٦٧ (٢) سورة يونس ٧١ (٣) عبد الله بن الزبعرى ـ ص ٢٣٦ الموازنة (٤) معاني القرآن جـ ١ ٤٧٣

— نحل هذا .

ومن هنا نرى أنه لا يشترط في القرائن الدالة على الحذف أن يكون المحذوف من جنس المذكور كما ذكر بعض العلماء بعد ذلك كالزمخشري [1] . . بل يكفي أن يكون مشاكلا له في المعنى ، وإنما الذي يجب اعتباره وينبغي مراعاته هو أن تكون هذه القرائن واضحة وقوية في الدلالة على المحذوف وتعيينه .

ونلاحظ أن الفراء يسمي الحذف إضمارا ، كما فعل سيبويه قبل ذلك ، موحيا بذا إلى أنه يجب أن يظل مضمرا في النص ، مختفيا وراء الكلمات .

ويقبل من حذف جواب الشرط : " وقوله : " فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية " ، فافعل مضمره ، بذلك جاء التفسير وذلك معناه ، وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب . ألا ترى أنك تقول للرجل : إن استطعت أن تقعد فإن رأيت أن تقوم معنا ، يترك الجواب لمعرفتك بمعرفته به ، فإذا جاء ما لا يعرف جوابه إلا بظهوره ، أظهرته كقولك للرجل : إن تقم تصب خيرا ، لابد في هذا من جواب ، لأن معناه لا يعرف إذا طرح " [2]

فهو يشير إلى حذف جواب الشرط منبها إلى وجوب أن يكون المخاطب عالما بهذا الجواب المحذوف ، وإلا وجب ذكره لأداء الحذف عند ذاك إلى الإخلال وعدم اللبس ، لأن معناه لا يعرف إذا طرح .

وهذا أصل لما ذكره عبد القاهر من وجوب ذكر مفعول المشيئة أو الإرادة إذا كان عجيبا غريبا لا يمكن أن يدل عليه الجواب نحو قوله تعالى : " لو أراد

(١) انظر ص ٩٧ (٢) معاني القرآن جـ ١ ص ٢٣٢

— الله أن يتخذ ولدا لا صطفى مما يخلق ما يشاء " (١) وقوله سبحانه :
" لو أردنا أن نتخذ لهوا لا تخذناه من لدنا " (٢) ، ونحو قول الشاعر (٣) :—

لو شئت أن أبكى دما لبكيتـــه ∴ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع (٤)

— وهكذا يشير الفراء إلى صور الحذف المختلفة كحذف الفعل وحذف الفاعل والمبتدأ وحذف الحروف وحذف الأجوبة وغيرها من الصور المتعددة .

أنظر معانى القرآن جـ ١ ص ١٥ ، جـ ١ ص ٢٣٠ ، جـ ١ ص ٢٧٢ ، جـ ١ ص ٤٧٣ ، جـ ١ ص ٣٣٢ ، جـ ٢ ص ٧ ، .....

وفى كل صورة من هذه الصور يبين المحذوف موضحا الدليل على حذفه فيما يعرض من شواهد وأمثله .

عند أبى عبيدة " ٢١٠ هـ " :—

وأبو عبيده فى كتابه : مجاز القرآن ، يعرض كثيرا لظاهرة الحذف فيشير إلى — صورها المختلفة مبينا المحذوف ودليل حذفه فى كل صوره ، مستندا إلى كلام العرب فى توضيح ما يريد توضيحه من آيات الذكر الحكيم .

فيقول عند تفسيره للآية الكريمة : " وأشربوا فى قلوبهم العجل " :— (٥)

يقول أبو عبيدة : " وأشربوا فى قلوبهم العجل : سقوه حتى غلب عليهم ، مجازه مجاز المختصر ، " أشربوا فى قلوبهم العجل " حب العجل ، وفى القرآن وأسأل القرية " (٦) مجازها : أهل القرية ، وقال النابغة :—

(١) سورة الزمر ٤ (٢) سورة الانبياء ١٧ (٣) الحزين يرثى أبا الهيثم
(٤) انظر ص ٧٥ (٥) سورة البقرة ٩٣ (٦) سورة يوسف ٨٢

كأنك من جمال بنى أقيش ∴ يقعقع خلف رجليه بشن

أقيش : حى من الجن ، أضعف جملا من جمال بنى أقيش .

وقال الأسدى :—

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ∴ بنى شاب قرناها تصر وتحلب

أضعف التى شاب قرناها ، وقال أبو أسلم — وقد أوتى بطعام — فقال :— الذى قبل أطيب " أى : الطعام الذى قبل أطيب "(١) .

فهو يشير إلى حذف المضاف فى الآيتين الكريمتين ، ثم يتبع ذلك بما يثبت — وقوع الحذف فى لغة العرب شعرا ونثرا مبينا أن الحذف طريق من طرقهم فى التعبير ، وهذه طريقة أبى عبيدة ومنهجه فى كتابه ، فقد كان سبب تأليفه لمجاز القرآن ، أنه سئل عن معنى قوله تعالى : " طلعها كأنه رؤس الشياطين "(٢) وكيف شبه بما لم يعرف مثله ؟ فأجاب : بأن الله عز وجل خاطب العرب على قدر كلامهم ، قال امرؤ القيس :—

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ∴ ومسنونه زرق كأنياب أغوال

ثم ألف كتابه : مجاز القرآن ، وسار فيه على نفس المنهج ، فيفسر المعنى من معانى القرآن الكريم ثم يضع بإزائه ما يؤيد تفسيره ويقويه من كلام العرب الخلص(٣)

ومن الواضح أن أبا عبيدة يريد بكلمة " مجاز " الطريق المؤدى إلى المعنى وليس المعنى اللغوى للمجاز : الممر أو الطريق ، ولا يريد بها المعنى الاصطلاحى للمجاز وهو المقابل للحقيقة والذى حدده العلماء فيما بعد .

---

(١) مجاز القرآن جـ ١ ص ٤٧ (٢) سورة الصافات ٦٥

(٣) أنظر أثر القرآن فى تطور البلاغة ص ٢٥

ونلاحظ أن الأمثلة والشواهد التى مثل بها أبو عبيدة هى نفس الأمثلة والشواهد التى عرضها الفراء وسيبويه من قبل ، كما لا يخفى .

ويشير أبو عبيدة إلى الإضمار بغير تقدم ذكر للمضمر ، وإلى حذف الفعل والفاعل ، والمبتدأ والجواب وغير ذلك من صور الحذف المتعددة ، أنظر مجاز القرآن : جـ١ ص٥٧ ، جـ١ ص١١١ ، جـ١ ص١٢٦ ، جـ٢ ص٥ ، جـ٢ ص١٥ ، ..... وهو يشير فى كل ذلك إلى بيان المحذوف من آيات القرآن الحكيم ، ودليل الحذف ، ذاكرا ما ورد عن العرب مناظرا للآيات الكريمة .

يقول عن حذف الحرف فى الآية الكريمة : " طه " . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى " (١) : " مجازه مجاز المقدم والمؤخر ، وفيه ضمير ، وله موضع آخر من المختصر الذى فيه ضمير ، ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى ، والموضع الآخر : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى " (٢) .

فهو يرى أن الآية الكريمة يجوز فيها وجهان :—

الأول :

أن تكون من قبيل حذف الحروف مع التقديم والتأخير ، والمعنى :—

طه . ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى .

والثانى :

أن تكون من قبيل حذف الجملة والتقدير : وما أنزلناه إلا تذكرة .....

(١) سورة طه ١ ، ٢ (٢) مجاز القرآن جـ١ ص١٥ .

وللحذف فى الآيـة قيمته البلاغية كما سنرى فى الباب الثانى بإذن الله ..[1] .

عند ابن قتيبـة : " ٢٧٦ هـ " :—

وابن قتيبـة فى كتابه :— تأويل مشكل القرآن ، يعرض لظاهرة الحذف ، فيشير إلى صورها المختلفة مستشهدا بآيات القرآن الكريم وموضحا القرنية الدالة على المحذوف فى كل شاهد يذكره .

يقول عن حذف المضاف : " من ذلك أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه ، وتجعل الفعل له ، كقوله تعالى : " واسأل القرية التى كنا فيها[2] أى :— سل أهلها ، (وأشربوا فى قلوبهم العجل)[3] أى : حبـــ ، " الحج أشهر معلومات "[4] أى : وقت الحج " ، وكقوله : " إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات[5] أى : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، وقوله سبحانه : " لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد "[6] ، فالصلوات لا تهدم وإنما أراد :—
بيوت الصلوات "[7] .

وواضح أن الآيات الكريمة التى يستشهد بها هى نفس الآيات التى استشهد بها أبو عبيدة والفراء من قبل ، وهذا يدل على مدى التأثر والتأثير بين هؤلاء الأعلام حتى فيما يعرضون من شواهد وأمثلة .

ويستمر ابن قتيبه فى الحديث عن صور الحذف فيشير إلى حذف الفاعل ثم إلى حذف المعطوف ، وحذف الأجوبة وحذف الحروف ، وغيرها من الصـــور

(١) انظر ص ١٣٤ ٢) يوسف ٨٢ ٣) البقرة ٩٣ ٤) البقرة ١٩٧ .
(٥) الاسراء ٧٥ ٦) الحج ٤٠ ٧) تأويل مشكل القرآن ص ١٦٣ .

أنظر تأويل مشكل القرآن : ص ١٦٣ وما بعدها .

ولكن يستوقفنا شيء مهم في دراسة ابن قتيبه للحذف ، يجب أن نقف عنده طويلاً إذ نراه يحدد آيات من القرآن الكريم ، وأبياتا مما ورث عن العرب ، مدعيا أن المعنى قد أشكل وغمض بسبب الحذف والاختصار ، ويتأمل ما ذكره من آيات وشواهد لا نرى غموضا ولا إشكالا ، بل الدليل واضح ، والمعنى ظاهر لا لبس فيه ولا اشتباه .

يقول ابن قتيبة : " وقد يُشكل الكلام ويغمض بالاختصار والإضمار كقوله :ـ " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات " (١) والمعنى : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ذهبت نفسك حسرة عليه ؟ ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وكقوله سبحانه : " إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم " (٢) ، لم يقع الاستثناء من المرسلين ، وإنما وقع من معنى مضمر في الكلام كأنه قال :ـ لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخائف إلا من ظلم ثم تاب فإنه لا يخاف ، ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارها وجده كثيرا .

قال الشاعر : (٣) ..

فلا تدفنوني إن دفني محرم .. عليكم ، ولكن خامري أم عامر

يريد أن يقول :ـ لا تدفنوني ، ولكن : دعوني للتي يقال لها إذا صيدت: خامري أم عامر يعني : الضبع ، لتأكلني .

---

(١) سورة فاطر ٨ ٢) سورة النمل ١٠ ، ١١ ٣) البيت للشنفرى

وقال عنتـــرة :

هل تبلغني دارها شدنيـــة ∴ لعنت بمحروم الشراب مصرم

يريد : دعي عليها بأن يحرم ضرعها أن يدر اللبن ، فاستجيب للداعي ، فلم تحمل ولم ترضع ، ومثله قوله تعالى : " قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة " (١) أي : هي للذين آمنوا ، يعني في الدنيا ، مشتركة وفي الآخرة خاصة ، ومنه قوله تعالى : " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه " (٢) أي : يخوفكم بأوليائه ، كما قال سبحانه : " لينذر بأسا شديدا من لدنه " (٣) أي : لينذركم ببأس شديد " (٤) .

وإذا تأملنا الآيات الكريمة المذكورة ، لا نرى إشكالا ولا غموضا ، كما يدعي ابن قتيبة ، فالآية الأولى : " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا " ، لم يشكل أحد بغموض الحذف فيها ولا بإشكاله ، بل إننا نرى أكثر من دليل لفظي يدل على المحذوف فيها ، فقوله : " فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء " ، وقوله : " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات " ، وقوله : " زين له سوء عمله " ، كل ذلك يدل على المحذوف ويشير إليه ، ولنا أن نقدر المحذوف في الآية الكريمة بأحد هذه التقديرات : أفمن زين له سوء عمله ممن هداه الله ، أو أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات ، أو أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له ولعل ابن قتيبة نظر إلى كثرة الأدلة في الآية الكريمة ، فاعتقد أن القارئ يُشْكِل عليه المعنى ، لأنه لا يدري أيها يختار ، وليس ثمة لبس ولا إشكال ، فالآية تحتمل كل هذه التقديرات ، وعلى القارئ أن يختار منها ما يتراءى له ، حيث لا تناقض بينها ، بل ترجع كلها إلى معنى واحد كما هو واضح .

(١) سورة الأعراف ٣٢ ٢) سورة آل عمران ١٧٥ ٣) الكهف ٢
(٤) تأويل مشكل القرآن ص ١٦٩

والآية الثانية : " إني لا يخاف لدي المرسلون .. " ، نرى قوله : " لا يخاف لدي المرسلون " يدل على المستثنى منه المحذوف ، وهو بل غيرهم الخائف ، فعدم خوف المرسلين يوحي بأن الخائف غيرهم ، وكذلك قوله : " من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء " يدل على الخبر المحذوف والذي تقديره : فإنه لا يخاف لدي لأني غفور رحيم ، ولعل الذي جعل ابن قتيبة يعتقد أن في الآية غموضا هو أن المحذوف ليس من جنس المذكور ، وسنرى فيما بعد أنه لا يشترط في الحذف أن يكون المحذوف من جنس المذكور الدال عليه .(1)

والآية الثالثة :— " قل هي للذين آمنوا ... " نرى فيها دليل المحذوف واضحا ظاهرا ، فقوله : " خالصة يوم القيامة " يدل على أن زينة الله وطيبات رزقه ليست خالصة للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، بل يشاركهم فيها غيرهم .

والآية الرابعة : " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه " ، نرى دليل الحذف هنا دليلا معنويا ملفوظ به في الآية الكريمة ، وذلك أن العقل يدل على أن — الشيطان لا يخوف أولياءه في الدنيا ، وإنما يدافع عنهم ويخوف بهم غيرهم ، ولذلك وجب تقدير مفعول في الآية الكريمة : إنما ذلكم الشيطان يخوفكم أولياءه ..

وأما بيت المتنبي :—

فلا تدفنوني إن دفني محرم .. عليكم ولكن خامري أم عامر .

فإنه أيضا لا غموض فيه ولا إشكال حيث نرى دليل الحذف فيه واضحا ، فالمقام الذي ورد فيه البيت مقام رهبة وخوف ، فليس أشد رهبة من ذكر الموت والحديث عنه ، وفي مثل هذا المقام يحسن الصمت ويحلو السكون وتثنى الكلمة الواحدة

(1) أنظر ص ١٨ ؟

— بل الإشارة عن الجمل العديدة .

فالشنفرى عندما يتحدث إلى أولاده عن الموت طالبا منهم أن يتركوه فى الصحراء بلا دفن .. لا تدفنونى إن دفنى محرم عليكم .. ، ثم يقول بعد ذلك .. ولكن خامرى أم عامر .. ندرك مكان المحذوف الذى دل عليه كلامه الأول وأوصى به إذ التقدير : ولكن دعونى للضبع تأكلنى ، ومعروف أن الضبع إذا صادفها العربى فإنه يتركها قائلا لها : خامرى أم عامر .

وبهذا يتضح لنا أن ما ذكره ابن قتيبة مدعيا غموض المعنى فيه وإشكاله بسبب الحذف ، لا غموض فيه ولا إشكال ، بل المعنى واضح ، والدليل على المحذوف فيه ظاهرين .

عند الآمدى " ٣٧١ هـ " :—

ونرى الآمدى فى كتابه : الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، يعرض لظاهرة الحذف فيشير إلى ورودها فى لغة العرب ، وإلى آراء العلماء الذين تناولوا هذه الظاهرة بالدراسة والبحث ، كسيبويه ، وأبى عبيده ، وغيرهما .

والآمدى فى كتابه : الموازنة ، يسعى إلى غاية أدبية ، وهى الموازنة بين نتاج الشاعرين ، وتحليل المأخذ وبيان مواطنها فى هذا النتاج ، ومنها ما يتصل بالطبع بظاهرة الحذف ، وهذا يجعله يقضى — إن لم يكن حذرا ويتطلب غير الصواب — كما سنرى ...

يقول الآمدى عند حديثه عن بيت أبى تمام :—

يدى لمن شاء رهن لم يذق جرط ∴ من راحتيك درى ما الصاب والعسل

" لفظ هذا البيت مبنى على فساد لكثرة ما فيه من الحذف ، لأنه أراد بقوله " يدى لمن شاء رهن " أى : أصافحه وأبايعه معاقدة أو مراغمة ، إن كان من لم يذق جرط من راحتيك درى ما الصاب والعسل ، ومثل هذا لا يسوغ لأنه حذف " إن " التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ، لأنها إذا حذفت سقط معنى الشرط ، وحذف " من " وهى الاسم الذى صلته : " لم يذق جرط " ، فاختل البيت ، وأشكل معناه .

والحذف لمعنى كثير فى لغة العرب إذا كان المحذوف مما تدل عليه جملة الكلام .

قال الله عز وجل : " أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى " (١) أراد تبارك اسمه : أولم يتفكروا فيعلموا أنه ما خلق ذلك إلا بالحق أو أولم يتفكروا فيقولوا ، وأشباه ذلك كثير ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى : " فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم " (٢) ، قال أبو عبيدة : " العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد كأنه أراد : فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم " ، وقوله عز وجل : " إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات " (٣) ، يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وفى الشعر مثل هذا موجود ، قال الشاعر : (٤) :—

لو قلت ما فى قومها لم تيثم ∴ يفضلها فى حسب وميسم

يريد أحد يفضلها فحذف " أحد " لأن الكلام يدل عليه ذكر ذلك سيبويه ، وأنشد أيضا فى باب الحذف :—

---

(١) سورة الروم ٨ (٢) آل عمران ١٠٦
(٣) الإسراء ٧٥ (٤) أبو الأسود الدؤلى يصف امرأة

وما الدهر إلا تارتان فمنهما ∴ أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح (١)

يريد / فمنها تارة أموت .

فإن تأول متأول هذا البيت على ألفاظ أخرى محذوفة غير الذي ذكرته ، فالاختلال بعد قائم فيه لكثرة ما حذف منه وسقوط الدليل عليه " (٢)

فالآمدي في هذا النص يشير إلى ظاهرة الحذف ، فيبين أن الحذف كثير في لغة القوم ، وأنه لا يعد عيبا . ما دامت هناك القرنية التي ترشد إلى المحذوف ، وتدل عليه ، ثم يعرض الآيات القرآنية والشواهد التي تتضح فيها تلك الظاهرة ، مشيرا إلى آراء من سبقوه ، وطريقتهم في دراسة الحذف ، فيذكر قولا لأبي عبيده ، وآخر لسيبويه ، وينص عليهما ، وهو بهذا يثبت وجود الحذف في لغة العرب واهتمام العلماء السابقين عليه وانشغالهم بدراسته ، والكشف عنه فيما ورد عن العرب ، وفي أساليب القرآن الكريم .

ولكننا نراه يعلل فساد المعنى في بيت أبي تمام بكثرة ما فيه من حذف ذاكرا أن " إن " الشرطية لا يجوز حذفها ، لأنها إذا حذفت سقط معنى الشرط ، وكذلك حذف " من " مع بقاء صلتها يخل بالمعنى ، ويؤدي إلى اللبس والإشكال .

والآمدي بهذا الحكم قد تحامل على أبي تمام ، فقد ورد حذف أداة الشرط كثيرا في أساليب القرآن الكريم ، مع وضوح المعنى وظهوره ، فمن ذلك : قوله تعالى : " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم " (٣) ، وقوله : " وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ، فهذا يوم

(١) البيت لابن مقبل — الموازنة ص ١٨١ (٢) الموازنة ص ١٨١
(٣) الأنفال ١٧

ـ البعث " (١) .

وقوله عز وجل : " أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى .. " (٢) ، فقد حذف فعل الشرط وأداته فى هذه الآيات الكريمة والتقدير : إن افتخرتم بمقتلهم فلم تقتلوهم .. ، إن كنتم مفكرين البعث فهذا يوم البعث .. إن أرادوا أولياء يحق فالله هو الولى .

كما أن حذف الموصول قد ورد كثيرا ، فمن ذلك قوله تعالى : " سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار " (٣) أى : ومن هو سارب بالنهار فحذف الموصول ..... وقول الأشهى :ـ

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها .·. بنى شاب قرناها تصر وتحلب

أى : بنى التى شاب قرناها تصر وتحلب .

وكذلك ليست كثرة الحذف مفسدة للمعنى ما دام هناك الدليل الذى يدل على المحذوف ويشير إليه ، فإننا نرى القرآن الكريم فى مجال القصص يحذف الجمل الكثيرة ، ويطوى الأحداث العديدة ، ومختصرها اختصارا عجيبا رائعاً ، ولا يعد ذلك عيبا ولا مفسدا للمعنى ، بل له قيمته الفنية وأسراره البلاغية ، كما سنرى فى الباب الثانى .. (٤) ..

فليس فساد المعنى واختلاله فى بيت أبى تمام راجعاً إلى حذف ما لا يجوز حذفه ، ولا إلى كثرة الحذف الذى يصعب معه فهم المعنى ، وإدراك المراد ، وإنما يرجع فقط إلى عدم وجود الدليل الذى يدل على ما حذف

ومما يدل على تحامل الآمدى على أبى تمام فى هذا البيت أنه يرتضى نفسا

---

(١) الروم ٥٦ ٢) الشورى ٩ ٣) الرعد ١٠ ٤) انظر ص ٥٧

— مطلقا أى محاولة لتأويله إذ يقول : " فإن تأول متأول ، هذا البيت على ألفاظ أخرى غير الذى ذكرته ، فالاختلال بعد قائم فيه " (١) ..

ويقول الآمدى عند حديثه عن بيت البحترى :—

لا تلمنى على البكاء فإنى ∴ نضو شجو ما لمت فيه البكاء :—

" وفيهما مع هذا وجهان قويان جيدان يحتملهما بيت البحترى ويجرى على تأليف لفظه لا على القلب :—

أحدهما :

أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإنى ذو حزن ما لمت فيه على البكاء ، فأسقط " على " كعادة العرب الجارية فى حذف حروف الصفات للإيجاز والاختصار ، فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه ، وهذا معنى قريب جدا ومثله قولهم : جزيتك إحسانك ، أى : على إحسانك ، وقولهم : نزلتك ، — بمعنى نزلت عليك ونزلت بك ، وهذا من أفصح اللغات وأبلغها ، وهو مسطور فى كتبهم ، وكذلك : شغبتك بمعنى : شغبت عليك ، حكاها أبو زيد ، —

ومثل عنترة :—

ولقد أبيتُ على الطوى وأظلُّه ∴ حتى أنال به كريم المأكل

أى : وأظل عليه ، ومثله قوله تعالى : " واختار موسى قومه سبعين رجلا (٢) أى : من قومه " .

---

(١) الموازنة ص ١٨١ (٢) سورة الأعراف ١٥٥

وقال الفرزدق :

ومنا الذي اختير الرجال سماحة ∴ وجودا إذا هب الرياح الزعازع

أي : من الرجال . وأشباه لهذا كثيره ، وكذلك قول البحتري :-

" ما لمت فيه البكاء " ، أي : على البكاء . " (1) .

فتراه يشير إشارة دقيقة إلى السر البلاغي الكامن وراء حذف الحروف قائلا :

وهذا من أنصع اللغات وأبلغها ، لأنه أدى إلى غزارة المعنى وأفاد المبالغة في الوصف ، كالآية الكريمة : " واختار موسى قومه سبعين رجلا " قد أدى الحذف فيها إلى إفادة أن موسى -عليه السلام- لأنه قد اختار القوم جميعا

وبيت عنترة :

∴ ولقد أبيت على الطوى وأظله ∴

أدى الحذف فيه إلى إفادة المبالغة في الوصف ، وأن عنترة ملازم للطوى حتى كأنه نفس الطوى " وقولهم :- جزيتك إحسانك ، أفاد الحذف المبالغة في الجزاء على الإحسان ، حتى كأن الجزاء هو الإحسان نفسه .

وكذلك قول البحتري :-

" ما لمت فيه البكاء " يفيد الحذف المبالغة في نفي اللوم ، وحتى بأن الشاعر قد طغى الأسى والشجن ، وفاض مرارة الألم والحزن الذين يخجران البكاء ، وبلغ حدا جعله لا يلوم باديا ولو كان هذا الباكي لشدة ألمه وحزنه ، هو نفسه البكاء ، وهذه إشارة دقيقة للآمدي ، في بيان السر البلاغي لحذف الحروف .

---

(1) الموازنة ٥٢٤

ثم يشير الآمدى الى أن الوجه الآخر هو أن يكون البحترى أراد : ما لست فيه أهل البكاء أو ذوى البكاء ، فحذف المضاف ، وأقام البكاء مقامه ثم يقول :ـ " وهذا يستوى فيه القدماء والمتأخرون جميعا ، لأنه خارج عن الضرورة ، ـ فهذان وجهان فى غاية القوة والصحة ، والمعنى : لا تلمنى على البكاء فإننى ما لمت فى هذا الشجو باكيا ، لأنه يحق فى مثله البكاء لعظم تأثيره فى النفس وتخونه للجلد وذهابه بالصبر ، ونحو هذا . "(١) .

فالآمدى يشير إلى صورتين من صور الحذف ، حذف الحروف وحذف ـ المضاف مبينا أنه يجوز حمل بيت البحترى على كلتا الصورتين ، ويكون عندئذ فى غاية القوة والصحة .

ثم يذكر أن الحذف ظاهرة من ظواهر الأساليب الواردة عن العرب ، ـ فلا غبار أن يستعملها المحدثون فى أساليبهم وتعبيراتهم ، ما دامت تسير على نفس الطريقة الواردة عن العرب ، وقامت القرينة التى ترشد إلى المحذوف وتدل عليه ، أما إذا خلا الكلام من الدليل الذى يدل على المحذوف ويرشد إليه ، امتنع الحذف عندئذ لأدائه إلى اللبس والإشكال ، فالعرب لم يحذفوا من كلامهم ما لم يقم الدليل عليه .

---

(١) الموازنة ص ٥٢٧

عند ابن جنى : " ٣٩٢ هـ " :ـ

وابن جنى له إشارات دقيقة وآراء يستند بها فى دراسة الحذف ، وذلك لا يخفى على من تأمل كتابيه : الخصائص والمحتسب .

ففى كتابه الخصائص ، نراه يشير إلى أهمية القرائن الدالة على المحذوف إذ يقول تحت باب شجاعة العربية : " وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة ، وليس شىء من ذلك إلا عن دليل عليه ، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب فى معرفته " (١) .

ثم يتحدث عن أنواع القرائن الدالة على المحذوف ، فيبين أنها قد تكون قرائن حالية تفهم من الحال المشاهدة ، وقد تكون قرائن لفظية مذكورة فى العبارة ، وقد يستدل على المحذوف من طريقة الأداء وتصرف المتكلم فى النطق بالألفاظ : وقد تكون غير ذلك .

يقول ابن جنى : شارحا القرينة الحالية : " من ذلك أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض ثم أرسله فتسمع صوتا فتقول : " القرطاس والله " أى : أصاب القرطاس ، فأصاب الآن فى حكم الملفوظ به البتة ، وإن لم يوجد فى اللفظ غير أن دلالة الحال عليه كثابت منطوق اللفظ به ، وكذلك قولهم لرجل مهو بسيف فى يده : زيداً ، أى : اضرب زيداً ، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللفظ به " (٢) .

وواضح مدى تأثر ابن جنى هنا بسيبويه كما سبق .. (٣) .

(١) الخصائص جـ٢ ص ٣٦٠ ٢) الخصائص جـ١ ص ٢٨٥ ٣) انظر ص ٥

ويستمر ابن جنى فى الحديث عن قرائن الحذف فيقول : " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : " سير عليه ليل " ، وهم يريدون : ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها . وذلك أنك تحس فى كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل ، أو نحو ذلك .

وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته ، وذلك أن تكون فى مدح إنسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلا ! فتزيد فى قوة اللفظ " بالله " هذه الكلمة ، وتتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أى : رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك .

وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنسانا ! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك .

وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه ، وكان إنسانا ! وتزوى وجهك وتقطبه ، فيغنى ذلك عن قولك : إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك ، فعلى هذا وما يجرى مجراه تحذف الصفة ، فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز . "[1] ..

فابن جنى هنا يحدثنا عن الكلام المنطوق ، الذى يسمعه المخاطب من المتكلم مشافهةً ، فيستطيع أن يلاحظ ما يبدو عليه من حركات وانفعالات نفسية تنبىء عما بداخله من معان ، قد طرحها وطواها عن اللفظ ، ويستطيع

---

(١) الخصائص جـ ٢ ص ٣٧١

ـ أن يشاهد كيف يتحكم في أداء الكلمات والنطق بها ، فقد يتطرب المتكلم وجهه ويزيد ، ويضعف صوته عند التلفظ ببعض الكلمات ، وقد يطيل صوته ببعض الكلمات ويقويه ، وفي كلتا الحالتين ندرك أن في الكلام حذفا كما ندرك المحذوف ، والسر الكامن وراء حذفه من ذم أو ثناء .

فابن جني يفرق بين نوعين من الكلام ، كلام مكتوب نقرؤه وكلام مؤدى نسمعه فأما الكلام المقروء ، فالقرائن الدالة على المحذوف فيه ، إما قرائن لفظية مذكورة وإما قرائن معنوية تفهم من فحوى الكلام .. ومعناه ...

وأما الكلام المؤدى الذي نسمعه من المتكلم مشافهة ، فنستطيع أن نهتدي إلى المحذوف فيه عن طريق صوت المتكلم وانفعالاته ، إذ ينبئ ذلك عما أكنه داخل نفسه وأخفاه عن اللفظ وهذه إشارة دقيقة من ابن جني لا نجدها عند غيره من العلماء .

ويشير ابن جني إلى صور الحذف المختلفة كحذف المفعول وحذف الصفة والموصوف وحذف الجملة وغير ذلك من صور الحذف .. (١) ..

وفي كل صورة يعرض الشواهد المختلفة من القرآن الكريم ومما ورد عن العرب مبينا دليل المحذوف في كل شاهد ، وهو بهذا متأثر بمن سبقه من العلماء .

ثم نرى له إشارات دقيقة إلى بيان أسرار الحذف والكشف عن قيمته الفنية وذلك كإشارته إلى حذف المفعول في الآية الكريمة : " أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون " (٢) إذ يقول : " وأما يرتع ويلعب فمجزومان لأنهما جوابان ، أحدهما معطوف على الآخر ، وهو على حذف المفعول ،

---

(١) انظر الخصائص جـ٢ ص ٣٦٠ وما بعدها ٢) سورة يوسف ١٢

أى : يرتع مطيته ، فحذف المفعول ، وفى ذكر حذف المفعول ، فما أعجبه وأعذبه فى الكلام ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) .. أى تذودان إبلهما ، ولو نطق بالمفعول لما كان فى عذوبة حذفه ولا فى علوه ... وأنشدنا أبو على للحطيئة : ـ

منعمة تصوت إليك منها ∴ كصوت الظبى من رداء شرعبى

أى / تصوت الحديث وتخزنه ، فهو كقول الشنفرى : ـ

كأن لها فى الأرض نسيا تقصه ∴ على أمها وإن تخاطبك تبلت

أى / تقطع حديثها حياء وخفرا " (١) .

فابن جنى هنا يحيلنا إلى الذوق والحس لكى ندرك السر البلاغى لحذف المفعول وما يكمن وراء حذفه من عذوبة وملاحة لا تكون عند ذكره .

والذوق المثقف والحس المرهف ضروريان فى دراسة خصائص الفنون وأسرارها وكثيرا ما نرى عبد القاهر يحيلنا إلى الذوق والحس لندرك خصائص التعبيرات ودقائق المسائل ونقف على أسباب جمالها ، وذلك لأن الواجب على من يدرس البلاغة ويخوض مسائلها وفنونها أن يكون قد اكتملت ثقافته ونما ذوقه وتفجرت أحاسيسه ، حتى يستطيع الوقوف على خصائص التعبيرات ودقائق المسائل .

عند الرمانى : " ٣٨٦ هـ " :ـ

يقسم الرمانى ـ فى كتابه : النكت فى إعجاز القرآن ـ البلاغة عشرة أقسام ، ثم يتناول كل قسم منها بالدراسة والبحث ، فمثلا له بآيات الذكر الحكيم ،

(١) المحتسب جـ ١ ص ٣٣٣

— مما ورد عن العرب شعرا ونثرا .

وأول هذه الأقسام هو الإيجاز فقد قسمه قسمين :— إيجاز حـــذف — وإيجاز قصـر ..

وتناول كل قسم منهما بالدراسة والتحليل ، عارضا الشواهد والأمثلة .

والرمانى هو أول من قسم الإيجاز إلى قسمين : إيجاز حذف ، وإيجاز قصـــر ، وفرق بينهما محددا كل نوع ومثلا له بالشواهد المختلفة ...

ولكننا نرى البعض يبالغ فى الحكم فيذكر أن دراسة الإيجاز قد انتهت عند الرمانى ، ولم يضف إليها البلاغيون شيئا بعده .. " (١) .

وهذا الحكم بعيد عن الصواب ، لأننا نرى البلاغيين بعد الرمانى ، قد — أضافوا الشىء الكثير إلى دراسة الإيجاز ، وليس أدل على ذلك من أن نرى الإمام عبد القاهر يبين لنا الأسرار البلاغية ، ويكشف لنا عن الدقائق الفنية لإيجـــاز الحذف بصورة لم نرها عند غيره من البلاغيين وليس هذا إنكارا لجهد الرمانى فقد كانت له جهود كبيرة فى دراسة الحذف والكشف عن أسراره ودقائقه ، كمـــا سنرى ....

يقول الرمانى :

" والإيجاز على وجهين : حذف وقصر ، فالحذف :— إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو نحوى الكلام ، والقصـــر بنسبة الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف .

فمن الحذف : " واسأل القرية " (٢) ، ومنه : " ولكن البر من اتقى " (٣) ،

(١) انظر البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٤ ، ٢) يوسف ٨٢
(٢) البقـــرة / ١٨٩ .

ـ ومنه : براءة من الله " (١) ، ومنه : " طاعة وقول معروف " (٢) ، ومنه حذف الأجوبة ، وهو أبلغ من الذكر ، وما جاء منه في القرآن كثير كقوله جل ثناؤه : " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " (٣) كأنه قيل : ـ لكان هذا القرآن ، ومنه : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها " (٤) ، كأنه قيل : حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير ، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر ، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان ، فحذف الجواب في قولك : لو رأيت عليا بين الصفين أبلغ من الذكر لما بيناه " (٥) .

فتراه يصرف إيجاز الحذف منبهاً إلى ضرورة قيام القرنية التي تدل على المحذوف ، ذاكراً بعض صور الحذف ممثلا لها بالشواهد التي توضحها .

ثم نراه يشير إشارة دقيقة إلى بيان السر البلاغي لحذف أجوبة الشرط ، لم نرها عند غيره من العلماء السابقين عليه ، إذ يذكر أن حذف الجواب يفتح بابا واسعا من الخيال ، وميدانا فسيحا من التصور أمام العقل ليتخيل ويتصور ويذهب مذاهب شتى في تقدير الجواب واعتباره ، ولو ذكر الجواب لاقتصر المعنى عليه ولما كان هناك هذا الميدان الواسع من التصوير والتخييل .

وهذا أصل ما ذكره عبد القاهر في بيان قيمة الحذف ، من أننا نرى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ... " (٦) .

ولقد كان أثر الرماني واضحا فيمن أتى بعده من العلماء إلى حد أننا

(١) التوبة ١ ٢) محمد ٢١ ٣) الرعد ٣١ ٤) الزمر ٧٣
(٥) النكت في إعجاز القرآن ص ٧٦ ٦) انظر ص ٥٧

— تراهم ينقلون نفس عبارته عند إشارتهم إلى السر البلاغي لحذف الأجوبة .(١)

ويقول الرماني : في موضع آخر عند حديثه عن أضرب المبالغة : " الضرب السادس: حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى :— " ولو ترى إذ وقفوا على النار " (٢) ، " ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب " (٣) ، ومنه : " ص . والقرآن ذي الذكر " (٤) ، كأنه قيل : لجاء الحق أو لعظم الأمر أو لجاء الصدق ، كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم ، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم لما قد تضمنه من التفخيم " (٥)

فهو يشير هنا ثانية إلى السر البلاغي الكامن وراء حذف الأجوبة ، ولقد كان قوله : " والحذف أبلغ من الذكر " وضة أضاءت الطريق أمام عبد القاهر لينفذ في أسرار هذه الظاهرة كاشفا لنا عن دقائقها ولطائفها ، كما سنرى (٦)

وبعد أن ينتهي الرماني من حديثه عن إيجاز الحذف ، يشير إلى إيجاز القصر ، فيعرض لأمثلته وشواهده التي يتضح فيها ، مفسرا بينه وبين الإيجاز بالحذف ، كما سنرى في الفصل الرابع .... (٧) .

عند أبي هلال : " ٣٩٥ هـ " :—

بدأ أبو هلال العسكري حديثه عن ظاهرة الحذف بذكر ما قيل في فضل الإيجاز وقيمته ، فيقول : " وقال محمد الأمين : " عليكم بالإيجاز ، فإن لـه

(١) انظر بيان اعجاز القرآن للخطابي ص٥١ ، اعجاز القرآن للباقلاني ص٢٦٢ ، والعمدة لابن رشيق ج١ ص١٥١ ، وسر الفصاحة لابن سنان ص١٩٨ .
(٢) الانعام ٢٧ (٣) البقرة ١٦٥ (٤) ص ١ ، ٢ (٥) النكت ص ١٥
(٦) انظر الفصل الثاني ص ٥٧ (٧) انظر ص ١٢٠

— إفهامها ولإطالة استفهامها " وقد قيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز قيل :— وما الإيجاز ؟ قال : حذف الفضول وتقريب البعيد ....

وقيل للفرزدق : ما صيرك إلى القصائد بعد الطوال ؟ فقال :— لأني رأيتها في الصدور وقع في المحافل أجول " (١) .

ثم يتناول دراسة الإيجاز فيقسمه — كما فعل الرماني — : قسمين ، إيجاز حذف وإيجاز قصر ، ويعرض الشواهد العديدة لكل قسم منهما :

وفي حديثه عن إيجاز الحذف يبين المحذوف فيما يعرض من شواهد وأمثلة ، موضحا الدليل الذي يشير إليه ومنبهاً إلى ضرورة وجود الدليل الذي يدل على المحذوف حتى لا يختل المعنى وتفهم المراد .

وإذا تأملنا الشواهد والأمثلة نرى أنها نفس الأمثلة والشواهد التي رددها العلماء من قبل مبرزين بها صور الحذف المختلفة .

يقول مثلا عند حديثه عن حذف المضاف " وأما الحذف فعلى وجوه منها : أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه ، وتجعل الفعل له كقوله تعالى :— واسأل القرية " (٢) . أي : أهلها ، وقوله : " وأشربوا في قلوبهم العجل " (٣) ، أي : حبه ، وقوله عز وجل : " الحج أشهر — معلومات " (٤) ، أي : وقت الحج " (٥) ..

---

(١) الصناعتين ص ١٧٩
(٢) يوسف ٨٢
(٣) البقرة ٩٣
(٤) البقرة ١٩٧
(٥) الصناعتين ص ١٨٧

ثم يشير إلى صور الحذف المختلفة كحذف الفعل والفاعل والمفعول والصفة والموصوف وحذف الأجوبة وغير ذلك مبينا المحذوف ودليل حذفه في كل صوره .(١)

وفي نهاية حديثه عن الإيجاز يذكر بعض الشواهد ثم يحكم على الحذف فيها بالعيب والرداءة ، وإذا تأملنا ما يذكر من شواهد لا نرى بها رداءة ولا عيبا .

يقول أبو هلال :-

" ومن الحذف الردئ قول الحارث بن حلزة :-

والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كدا

وإنما اراد : والعيش الناعم خير في ظلال النوك من العيش الشاق في ظلال العقل ، وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر ، ومن الحذف الردئ أيضا قول الآخر :-

أطاذل عاجل ما أشتهي أحب من الأكثر الرائث

يعني : عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلي من رائثه مع الكثرة .

ومثله قول عروة بن الورد :-

عجيبة لهم إذ يقتلون نفوسهم وقتلهم عند الوفى كان أعذرا

يعني : إذ يقتلون نفوسهم في السلم ... " (٢) .

فهو يرى أن الحذف في هذه الشواهد ردئ ومعيب معللا ذلك بعدم وجود القرينة الدالة على المحذوف ، مما أدى إلى اختلال المعنى وفساده ، ولكن إذا تأملنا هذه الشواهد وجدنا أن القرينة الدالة على المحذوف ، مو

---

(١) انظر الصناعتين ص ١٨٧ وما بعدها ٢) الصناعتين ص ١٩٤ .

موجودة في ألفاظ

— ~~موجودة في~~ لفاظ الأبيات ، وكل ما هنالك أن هذه القرينة بها نوع خفاء يزول بمجرد التأمل والنظر في هذه الشواهد ، وسبب هذا الخفاء هو أن المحذوف فيها ليس من جنس المذكور الدال عليه ، فالبيت الأول قد حذف منه لفظان وهما : الناعم ، وفي ظلال العقل ، ودل على المحذوف الأول مقابله وهو " كدا " ودل على المحذوف الثاني مقابله المذكور : في ظلال النسوك ، وكذلك في البيت الثاني نرى لفظ " الأكثر " قد دل على لفظ : " القلة " — المحذوف وهما متضادان .

أما بيت عروة فقد دل فيه لفظ " الوفي " على لفظ " المؤدعة " المحذوف ولعل الذي جعل أبا هلال يحكم بالرداءة والعيب على الحذف في هذه الشواهد ، هو أنه رأى المحذوف ليس من جنس المذكور ، وهذه قضية كانت مثار بحث ومناقشة بين العلماء ، فبعضهم يرى أنه يشترط في الحذف أن يكون المحذوف من جنس المذكور ، وبعضهم لا يرى ذلك ، وهو الرأي الراجح وقد أوضحت ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .... " (١) .

عند الشريف الرضي : " ٤٠٦ هـ " :—

وللشريف الرضي إشارات دقيقة في دراسة الحذف في أساليب القرآن الكريم نراها في كتبه : تلخيص البيان في مجازات القرآن ، حقائق التأويل ، والمجازات النبوية ، يقول مشيراً إلى قيمة الحذف ووقوعه في أساليب القرآن الكريم : " وقد يسقط من القرآن كلم وحرف ويدل نحوي الخطاب عليها اختصاراً وحذفاً وإبعاداً

---

(١) انظر ص ٢١٨ من هذا البحث ...

— في مذاهب البلاغة وأغراضها في منازع الفصاحة ، ولأن فيه بيان أدلة على ما يلقى إذ كانت البلاغة عند أهل اللسان لمحة دالة ، وإشارة مقتضبة ، ولا يجوز أن تزاد فيه الكلمة والحروف التي ليس فيها معان أو أدلة على معان ، لأن ذلك من قبيل العي والفهاهة ، كما أن الأول من دلائل الاقتدار والفصاحة "(١) .

فهو هنا يشير إلى قيمة الحذف ووقوعه في أساليب القرآن الكريم ذاكرا أنه ليس في القرآن الكريم كلمات "زائدة" لا معاني لها ، لأن ذلك من قبيل العي والفهاهة ، وهو بهذا يرد على من زعم أن في القرآن الكريم حروفا زائدة لا معاني لها ، فيبطل زعمهم مبرزا المعاني لما أدعي زيادته ، كالآية الكريمة : " وسيق الذين اتقوا ربهم .... "(٢) فقد زعم البعض أن الجواب : " فتحت أبوابها " وأن الواو زائدة ، وكقوله سبحانه : " ... وليكون من الموقنين "(٣) فقد زعموا أيضا زيادة الواو ، ويرد الرضي بأن الواو في الآيتين عاطفة ، وأن الجواب في الأولى محذوف للمبالغة في وصف الجزاء ، كما أن المعطوف عليه في الآية الثانية محذوف ، والتقدير : — وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض لنضروب من العبر وليكون من الموقنين .... (٤) .

ويتحدث الرضي عن صور الحذف المختلفة فيشير إلى حذف المضاف في الآية الكريمة : " وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم "(٥) ، بقوله : " وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل ، فكأنها تشربت حبه فخالط زجها مخالطة مشروب وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ ، وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرب العجل على

(١) حقائق التأويل ص ١٧٠ ٢) سورة الزمر ٧٢ ٣) الأنعام ٧٥
(٤) انظر حقائق التأويل ص ١٧٢ ٥) البقرة ٩٣

الحقيقة " (١) .

ويقول عن الآية الكريمة : " واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وإنا لصادقون " (٢) ، : — " وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات . والمراد : واسأل أهل القرية التى كنا فيها ، وأصحاب العير التى أقبلنا فيها ، وما يكشف عن ذلك قوله تعالى فى السورة التى يذكر فيها الأنبياء — عليهم السلام — " ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين " (٣) .

والقرية وهى الأبنية المفروشة والخطط المسكونة لا يصح منها عمل الخبائث ، فعلم أن المراد بذلك أهلها ، ومن الشاهد على ذلك أيضا قوله سبحانه : " إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين " (٤) " (٥) .

فهو هنا يشير إلى حذف المضاف موضحا الدليل على حذفه ، ولكن يؤخذ عليه عدم الدقة فى استعمال المصطلحات البلاغية ، إذ نراه فى الآية الأولى يشير إلى الاستعارة فيها ، وهى إشارة صحيحة ، لأن الآية بها بالإضافة إلى الحذف استعارة تمثيلية ، حيث شبه انشغالهم بالعجل واهتمامهم به ، وحبهم الشديد له ، وتغلغل هذا الحب فى نفوسهم بالشراب الملذوذ المحبوب الذى اختلط بدماء الشاربين وامتزج بها .

أما فى الآية الثانية فنراه يقول عنها : " وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات " .. وليس فى الآية استعارة مطلقا ، فضلا عن أن تكون من مشاهير الاستعارات بل كل ما فى الآية هو حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه .

---

(١) تلخيص البيان ص ١١٧ (٢) سورة يوسف ٨٢ (٣) الأنبياء ٧٤
(٤) الأنبياء ٧٧ (٥) تلخيص البيان ص ٢٧٣ .

وربما يقصد الرضى بإطلاق الاستعارة على الآية الكريمة : مجاز الحذف ، فقد تغير المعنى والإعراب بسبب حذف المضاف كما هو واضح .

ويتحدث عن حذف الحروف فيقول عن الآية الكريمة : " قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم " (١) ، :ـ " المراد : لأقعدن لهم على صراطك المستقيم ، فلما حذف الجار انتصب الصراط ، والحذف ههنا أبلغ فى الفصاحة ، وأعرف فى أصول العربية ، ونظيره قول الشاعر :ـ (٢)

لدن يهزّ الكف يعسل متنه .. فيه كما عسل الطريق الثعلب

أى : كما عسل فى الطريق . " (٣)

فهو يشير إلى حذف حرف الجر " على " فى الآية الكريمة ، مبينا أن هذا الحذف أبلغ فى الفصاحة ، وأعرف فى أصول العربية ، إذ يرجى بشدة العداوة ـ ومدى تربص إبليس اللعين بالإنسان ليصرفه عن طاعة ربه وعبادته ، وهذه إشارة دقيقة للسر البلاغى الكامن وراء حذف الحروف .

وقد أشار الآمدى فى الموازنة إلى هذا السر البلاغى لحذف الحروف عند حديثه عن بيت البحترى :ـ

لا تلمنّى على البكاء فإنى .. ناضٍ شجو ما لمت فيه البكاء

وواضح هنا مدى تأثر الرضى به ..... (٤)

وهكذا يتحدث الرضى عن صور الحذف المختلفة ، فيشير إلى حذف الأجوبة مبينا السر البلاغى لحذفها ومدى المبالغة فى التخييل والتصوير ، والرضى

(١) الاعراف ١٦ ٢) مساعدة بن جؤيه يصف زمنا ٣) تلخيص البيان ص ١٤٢
(٤) انظر ص ٩٧

ـ في هذا متأثر بالرماني كما سبق ..." [1] ، ويشير إلى حذف الصفة والموصوف وإلى حذف الفعل والفاعل وغير ذلك من صور الحذف المختلفة ، وفي كل صورة من هذه الصور يبين المحذوف والقرينة الدالة على حذفه عارضاً الشواهد والأمثلة المختلفة من القرآن الكريم . وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وما ورد عن العرب شعراً ونثراً .... " [2] .

• عند القاضي : عبد الجبار : " ٤١٥هـ " ....

والقاضي عبد الجبار في كتابه : متشابه القرآن ، وتنزيه القرآن عن المطاعن يتحدث كثيراً عن ظاهرة الحذف فيشير إلى صورها المختلفة ، دفعاً لشبه المعترضين ، وتنزيهاً للقرآن الكريم عن مطاعن الطاعنين ، وهذا واضح من تسمية الكتابين .

ونراه في إشارته لظاهرة الحذف وغيرها من الفنون والقضايا التي يدرسها في كتابيه ، يسلك منهج الأسئلة والإجابة عليها :ـ فإن قيل كذا ، فالجواب كذا ، فإن أعترض معترض وقال كذا ، فالرد كذا ، وربما قيل كذا ، وجوابنا أن ههنا حذفاً .... هذا هو المنهج الذي سار عليه في كتابيه : المتشابه والتنزيه ، كما سنرى .

كما نراه في دراسة الحذف يولي اهتماماً كبيراً بتخريج الآيات وتأويلها

---

(١) انظر ص ٣٧ ٢) ينظر في ذلك :ـ حقائق التأويل ص ١٣٦ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٥ ، ١٠٨ ، وتلخيص البيان ص ١١٧ ، ١٧٣ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، والمجازات النبوية ص ٢٣ ، ٣١٩ .

— بحيث تصبح بعد الحذف متفقة مع آراء المعتزله واتجاهاتهم .

يقول عن حذف المضاف : " وربما قيل : كيف قال تعالى : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام " (١) ، وكيف يصح ذلك ويتعالى الله عن جواز الإتيان عليه ؟ ، وجوابنا أن المراد : إتيان الملائكة أو متحملي أمره كما قال تعالى في سورة النحل : " هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك " (٢) ، وهذا كقوله : " وجاء ربك " (٣) ، والمراد : رسل ربك " (٤) .

ويشير إلى حذف الجار والمجرور في الآية الكريمة : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " (٥) ، فيقول : " وبعد فإن قوله : " ففسقوا فيها " ، يدل على أن المأمور به هو الشيء الذي بفسقهم خرجوا عنه ، ولولا ذلك لم يصح أن يتعلق به ، فالمراد بالآية : أنه أمرهم بالطاعة ففسقوا بالخروج عن ذلك فحق عليهم القول والوعيد " (٦) .

فالقاضي لا يشترط في المحذوف أن يكون من جنس المذكور الدال عليه ، ولهذا يقدر المحذوف : أمرناهم بالطاعة ، جاعلا لفظ فسقوا مع ما يفهم من المعنى من أن الله لا يأمر بالفسق دليلا على هذا المحذوف .

وعند الزمخشري فيما بعد يشترط في المحذوف أن يكون من جنس المذكور الدال عليه ، ولهذا يقدر المحذوف في الآية الكريمة : أمرناهم بالفسق ففسقوا ، ولما كان ذلك لا يتفق مع مبادئ الاعتزال ، رأيناه يتكلف في الآية مجازا ليتمشى مع مبادئهم من أن الله سبحانه وتعالى ، لا يأمر بالمعاصي .... (٧) .

---

(١) سورة البقرة ٢١٠ ٢) النحل ٣٣ ٣) الفجر ٢٢
(٤) تنزيه القرآن ص ٤٨ ٥) الإسراء ١٦ ٦) المتشابه ص ٤٦٠
(٧) أنظر ص ٩٧

ويتحدث القاضي عن الحذف والاختصار في القصص القرآني فيقول :ـ

" وربما قيل : إن يوسف لما أجاب في رؤيا الملك : " قال الملك ائتوني به " [1] و ولم يذكر له جواب الرؤيا ، فكيف يصح ذلك ؟ ، وجوابنا أنه في هذه السورة قد ذكر تعالى أشياء حذف جزء منها اختصارا لدلالة الكلام عليه وذلك يحسن " [2] ، ولكن ما سر إحسانه ؟ لا يذكر شيئا عنه .

وسنرى الشريف المرتضى فيما بعد يشيد بمنهج القرآن الكريم في اختصار القصص وطي أحداثه ، مبينا القيمة البلاغية لهذا الحذف والاختصار ... [3]

وهكذا يستمر القاضي عبد الجبار في الإشارة إلى صور الحذف المختلفة في أساليب القرآن الكريم ، فيتحدث عن حذف الحروف ، وحذف الأجوبة وحذف الجملة والجمل ـ الكثيرة ، وغير ذلك من صور الحذف ، مبينا المحذوف ودليل حذفه في كل صورة ، فلا بد أن يكون فيما يبقى دليل يدل ويرشد إلى ما يلقى من الكلام ... [4] .

عند الشريف المرتضى : " ٤٣٦ هـ " :ـ

والشريف المرتضى يعرض لظاهرة الحذف في كتابه : الأمالي ، فيشير إلى كثرة ورودها عن العرب ، مبينا قيمتها البلاغية ، ومنبها إلى ضرورة الاهتمام بدراستها في أساليب القرآن الكريم ، والكشف عن دقائقها وأسرارها .

---

(١) يوسف ٥٠ (٢) التنزيه ص ١٩٢ (٣) انظر ص ٤٩

(٤) انظر التنزيه ص ٤٨ ، ١٤٧ ، ٢٠٣ ، ٣٣٠ ، ١٥٨ ، ١٩٢ والمتشابه ص ٦١٨ ، ٤٦٠ ، ٣٦٦ ، ٤١٠ .

يقول المرتضى مشيراً إلى قيمة الحذف وكثرة وروده في لغة العرب :—

" والشعر القديم والمحدث مملوء من ذلك ، قال البحتري :—

ولو شئت يوم الجزع بل غليله ∴ محب بوصل منك لو ينفع الوصل

وإنما أراد : لو ينفع الوصل لنفعني وشفى منيتي ، وما أشبه ذلك ..

ومثله قوله [1] :—

وتعجبت من لوعتي فتبسمت ∴ عن واضحات لو لثمن عذاب ..

وأنت إذا تأملت ضروب المجازات التي يتصرف فيها أهل اللسان في منظومهم ومنثورهم وجدتها كلّها مبنيةً على الحذف والاختصار ، ولأن قوله تعالى :—

" وجاء ربك " [2] ، " واسأل القرية " ، مما الحذف فيه ظاهر .

وإنما كان الكلام أبلغَ وأفصحَ ، لأن كلامه قلل بحذف بعضه ومعانيهُ بحالها

وكذلك قولهم في المدح : فلان البدر والبحر والليث ، وفي الذم هو الحمار والحائط

إنما هو مبني على الحذف ، لأن المراد : هو مشبه ومماثل لما ذكر ، فأسقط من

الكلام ما يقتضي التشبيه لدلالة القول عليه " [3] .

فهو هنا يبين لنا كثرة الحذف فيما ورد عن العرب ، ذاكراً أن ضروب المجاز

التي يتصرف فيها أهل اللسان أو بمعنىً أدق : مباحث علم البيان من تشبيه ومجاز

وكناية ، مبنيه على الحذف والاختصار ... [4] .

---

١) البحتري ج ٢ ٢) الفجر ٢٢ ٣) الأمالي ج ٢ ص ٣١١

٤) وربما يسأل سائل : إذا كانت مباحث علم البيان كلها مبنيه على الحذف ، فلماذا لم تدرس تحت ظاهرة الحذف ؟ ، ورأيي في ذلك أن مباحث علم البيان من تشبيه واستعارة وكناية ، مبنيه على الحذف من حيث الأسلوب ، وقد درست تحت ظاهرة الحذف من هذه الحيثية ، فحذف أداة التشبيه هو حذف الحروف أو حذف الفعل أو المضاف ، والاستعارة التصريحية قد حذف فيها المشبه وهو نفسه حذف المبتدأ والاستعارة المكنية حذف فيها المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه ، وهذا هو حذف الخبر ، وقيام القرينة الدالة عليه ، وكذا الكناية نحو قولنا : فلان كثير الرماد ، كناية عن الكرم ، فكثرة الرماد تلزم كثرة الطبخ ، وكثرة الطبخ تلزم كثرة الضيوف ولهذا فهو كريم ، وهذا هو حذف الجمل ، أما دراسة هذه المباحث في علم البيان فمن حيث إفادتها المعاني الثانوية وهي التشبيه والاستعارة والكناية وهذه حيثية تغاير الحيثية الأولى .

ثم يشير إلى أن قيمة الحذف وسر بلاغته وفصاحته ترجع إلى أن الكلام قد قل بحذف بعضه ومعانيه هي هي لم تنقص ، بل إن الحذف في موطنه يؤدي إلى زيادة المعاني ، كما سيبين عبد القاهر فيما بعد : " ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة " (١)

ثم يتحدث المرتضى عن الحذف في أساليب القرآن الكريم ، فيشير إلى كثرة الحذف في أساليبه ، منبهاً إلى ضرورة الإهتمام بدارسة هذه الحذوف والكشف عن أسرار بلاغتها فيقول : " وفي القرآن من هذه الحذوف والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة ، نزلت من الحسن في أعلى منازله ، ولو أفردنا لما في القرآن من القصد الحذوف الغريبة والاختصارات العجيبة كتاباً لكان واجباً ، فمن ظاهر ذلك قوله تعالى : " ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " (٢) ، ولم يأت بالجواب في صريح الكتاب " (٣) .

ويشيد المرتضى بطريقة القرآن الكريم العجيبة في اختصار القصص وطي أحداثه فيقول : " وفي القرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة .. ما لا يوجد في شيء من الكلام ، فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف - عليه السلام - . ، والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤيا البقر السمان والعجاف : " أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق " (٤) ، ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال : - أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، ففعلوا فأتى يوسف فقال : - يا يوسف ، أيها الصديق أفتنا . (٥) .

---

(١) انظر ص ٥٧ ٢) الرعد ٣١ ٣) الأمالي جـ٢ ص ٣٠٩
(٤) يوسف ٤٥، ٤٦ ٥) الأمالي جـ٢ ص ٧١

فهو هنا يشير إلى طريقة القرآن الكريم العجيبة فى حذف الأحداث وطيها عند عرضه للقصص ، فترى تلك الفجوات المتروكة من الأحداث بين أجزاء القصة ومشاهدها ، وفى هذا تحريك وإثارة للعقول لتشارك فى تصور هذه الأحداث وتخيلها كما أن فيه إيقاظا وتنبيها لهذه العقول لتتدبر معانى القصص وما يهدف إليه من وعد ووعيد ومن تسليه وزجر ، وهذا هو سر بلاغة هذه الحذوف وسبب فصاحتها .

وسنعود إلى هذا في الباب الثاني عند الحديث عن حذف الجمل في أسلوب القرآن الكريم .

ويستمر المرتضى فى الإشارة إلى صور الحذف المختلفة كحذف الأجوبة وحذف الحروف والفاعل والمضاف ، وغيرها من صور الحذف ... (١) .

عند ابن رشيق : " ٤٦٣ هـ " ...

بدأ ابن رشيق حديثه عن الحذف ببيان فضل الإيجاز وقيمته فقال : " تكلم رجل عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال له النبى : " كم دون لسانك من حجاب ؟ " ..

فقال : شفتاى وأسنانى ، فقال له : " إن الله يكره الانبعاق فى الكلام فتضر الله وجه رجل أوجز فى كلامه ، واقتصر على حاجته " ....

وقال خلف الأحمر : البلاغة كلمة تكشف عن البقية (٢) .

ثم يشير إلى أن الإيجاز عند الرمانى على ضربين : مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، والثانى : ما فيه حذف للاستغناء عنه ، ثم ذكر أن العلماء

---

(١) الأمالى جـ٢ ص ٣١٠ ، ١٥٥ ، ٤٧٨ ٢) العمدة جـ١ ص ٢٤١ .

— يسمون الضرب الأول بالمساواة وعرض لذلك أمثلة كثيرة .. " (١) .

وبالرجوع إلى كلام الرماني ، وحديثه عن الإيجاز نرى أن الضرب الأول من ضربي الإيجاز عنده ، هو إيجاز القصر ، وهو ما دلت فيه الألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة .... (٢)

فالقول بأن الرماني أشار إلى المساواة وجعلها أحد ضربي الإيجاز قول غير سديد . ثم يقول ابن رشيق عن الضرب الثاني : " والضرب الثاني مما ذكره الرماني وهو قول الله عز وجل : " واسأل القرية " (٣) .. يسمونه الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز ، وفي الشعر القديم والمحدث منه كثير ، يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على المذاهب ، من ذلك قول الله عز وجل :—

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " (٤) ، كأنه قال : لكان هذا القرآن ، ومثله قولهم : " لو رأيت عليا بين الصفين " أي : لرأيت أمرا عظيما ، وإنما كان هذا ممدودا من أنواع البلاغة ، لأن نفس السامع تتسع في الجواب والظن ، وكل معلوم فهو معين لكونه محصورا . .

وقال امرؤ القيس :—

فلو أنها نفس تموت سويـــة ∴ ولكنها نفس تساقط أنفســـا

كأنه قال : لهان الأمر ، ولكنها نفس تموت موتات ونحو هذا " (٥) .

فهو يشير هنا إلى حذف المضاف وحذف الجواب ، بينما السر البلاغي لحذف الجواب ، وواضح هنا مدى تأثره بالرماني ، فهو يشير إليه وينقل عنه .

١) انظر العمدة جـ١ ص ٢٥٠ ٢) أنظر ص ٢٦ ٣) يوسف ٨٢
٤) الرعد ٣١ ٥) العمدة جـ١ ص ٢٥١

ولكننا نراه يشير إلى قضية مهمة كانت مثار بحث ونقاش بين العلماء ، وهي :ـ
هل يعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه من قبيل المجاز ؟
خلاف كثير بين العلماء حول تلك القضية ، كما سنرى في الفصل الثاني (١) .

ونرى ابن رشيق هنا يضع لها اللبنات الأولى ، فيطلق على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه : المجاز إذ يقول في قوله تعالى : " واسأل القرية " .
وهو داخل في باب المجاز .

كما نراه يسمى الحذف : الكفاء ، وكأنه يشير بهذا إلى قرينة الحذف ، وهي أن يكون فيما بقي من الكلام اكتفاء وغنى عن المحذوف .

ثم يشير ابن رشيق إلى صور الحذف المختلفة عارضًا الشواهد والأمثلة ، وبعد ذلك يثير قضية أخرى وهي ترك جزء الكلمة ، وهل يعتبر حذفا ؟ ويجيب بأنه لا يعد من قبيل الحذف ، فإذا رأيناه في الشعر ، كقول علقمة بن عبدة :ـ

كأن إبريقهم ظبي على شرف ∴ مقدم بسبا الكتان ملثوم

يريد : بسبائب الكتان ، وكقول لبيد :ـ

∴ دون المنا بتطلاع فأبان

يريد : المنازل ، فهو ضرورة جعلت الشاعر يلجأ إليها ليستقيم له الوزن ، وإذا رأيناه في النثر كقولهم : " ألا تا ، بلى فا "
أي : ألا تفعل بلى فافعل ، فهو من باب الاستخفاف والاستملاح كما قد يرد في الشعر أيضا ويراد به الاستلطاف لا للضرورة ، وذلك كقوله :ـ

∴ قلنا لها قفي لنا قالت : قاف ∴ أي : وقفت . (٢) .

---

(١) انظر ص ٨٧ ٢) انظر العمدة جـ١ صـ ٢٥٤

عند ابن سنان : " ٤٦٦ هـ " :—

بدأ ابن سنان حديثه عن الحذف بالإشارة إلى فضل الإيجاز فذكر أنه شرط من شروط الفصاحة والبلاغة إذ يقول : " ومن شروط الفصاحة والبلاغة : الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، حتى يعبر عن المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة ، وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس حتى أنهم يستحسنون من كتاب الله تعالى : " ما كان بهذه الصفة " (١) .

ويعرض بعد ذلك لصور الحذف المختلفة : ثم يقول عن السر البلاغى لحذف الأجوبة : " وفى هذا الحذف من الكلام مع الدلالة على المراد ، فائدة لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ورد ظاهراً فى الكلام لاقتصر به على البيان الذى تضمنه ، فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة ... (٢) ..

وواضح هنا مدى تأثرة بالجرجانى فى بيان هذا السر البلاغى .. (٣) .

ويشير ابن سنان إلى ضرورة الإيضاح فى الإيجاز فيقول : " وعلى هذا القياس يعتبر الإيضاح فى الإيجاز لئلا يقع فيه إخلال بالمعنى وإشكال فيه ، ولذلك أمثلة منها قول عبيد الله :—

أطل على عاجل ما أشتهى .·. أحب من الأكثر الرائث

لانه أراد : عاجل ما أشتهى مع القلة أحب إلىّ من الأكثر المبطئ فترك مع القلة

(١) سر الفصاحة ص ١٩٤ ٢) سر الفصاحة ص ١٩٨ ٣) انظر ص ٢٧

— به تمام المعنى ، ومنها قول عروة بن الورد :—

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ∴ ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

كأنه أراد أن يقول : عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ، ومقتلهم فى الحرب أعذر فتركه " فى السلم " به يتم المعنى " (١) .

والإيضاح مطلوب فى الإيجاز ، فلابد من وجود القرينة التى تدل على المحذوف وترشد إليه ببيان وإيضاح ، ولكننا نرى ابن سنان هنا متأثراً إلى حد كبير بأبى هلال فقد أورد أبو هلال نفس هذه الأمثلة ثم حكم على الحذف فيها بالرداءة والعيب ، معللا ذلك بعدم وجود الدليل الذى يدل على المحذوف فيها .. " (٢) .

وبتأمل هذه الأبيات نرى وجود الدليل الذى يدل على المحذوف ويشير إليه ، فقد دل قوله : الأكثرون على لفظ القلة المحذوف ، ودل قوله : " عند الوغى ، على السلم المحذوف ... كل ما هنالك أن المحذوف ليس من جنس المذكور ، وقد أجاز العلماء ذلك ورجحوه كما سنرى فى الباب الثانى عند الحديث عن قرائن الحذف .. (٣)

وهكذا كانت دراستا لحذف عند هؤلاء الأعلام ، وقد رأيناهم فى دراستهم لهذه الظاهرة يهتمون بإثباتها فى لغة العرب ويشيرون إلى صورها المختلفة فى أساليب القرآن الكريم ، وفى كل صورة من صور الحذف يعنون ببيان المحذوف ، وإقامة الدليل على حذفه فيما يعرضون من شواهد وأمثله ، وينبهون كثيراً إلى ضرورة قيام الدليل الذى يدل على المحذوف ، لأن العرب لا يحذفون من كلامهم ما لم يقم الدليل عليه

---

(١) سر الفصاحة ص ٢٠٤

(٢) انظر ص ٤٠

(٣) انظر ص ٢١٨

وكان التأثر والتأثير واضحا بين هؤلاء العلماء حتى فيما يعرضون من شواهد وأمثلة ، كما رأينا : .

كما كانت لهم إشارات دقيقة فى بيان دقائق الحذف والكشف عن أسرار بلاغته من ذلك :-

تسميتهم الحذف إضمارا ، وكأنهم يريدون بذلك أن المحذوف يجب أن يظل مضمرا فى النفس ، مختفيا وراء الكلمات لأن تقديره يوضح الغرض الذى من أجله كان الحذف ، ولذلك رأينا سيبويه يقول عن المحذوف " الذى فى نفسك " [1] ، أى أنه يجب أن يظل فى النفس بعيدا عن العبارة ....

ومنها : إشارة الفراء إلى أن الشهرة والذيوع تسوغان الحذف وتغنيان عن التصريح والذكر ... [2] .

ومنها : حديث ابن جنى عن القرينة ، وإشارته إلى أن طريقة الأداء ، والتحكم فى أعضاء النطق ومخارج الأصوات يفيد كثيرا فى الدلالة على المحذوف وبيان الغرض الذى من أجله كان الحذف .... [3] .

ومنها : إشارة الآمدى والشريف الرضى إلى السر البلاغى لحذف الحروف ، وهو أن ذلك أبلغ فى الفصاحة وأعرف فى أصول العربية .... [4] .

ومنها : إشارة الرمانى الى السر البلاغى لحذف جواب الشرط ، وهو أن النفس يتسع أمامها الميدان للتخيل ، وتذهب كل مذهب فى تصور الجواب المحذوف .. [5]

---

(١) انظر ص ٨ ٢) انظر ص ١٤ ٣) انظر ص ٢٣ ٤) انظر ص ٣٠ ، ٤٤

(٥) انظر ص ٣٧

وغير ذلك من الإشارات الدقيقة إلى لطائف الحذف ، وأسرار بلاغته ، وقد أفاد عبد القاهر من هذه الإشارات ، واستطاع بذوقه الأدبي أن يكشف لنا عن قيمة الحذف وأسرار بلاغته ، كما سنرى في الفصل التالي ...

الفصل الثاني

الحذف عند عبد القاهر

كانت دراسة عبد القاهر للحذف تختلف اختلافا كبيرا عن دراسة غيره من العلماء السابقين عليه والمعاصرين له ، فقد رأيناه يولي اهتماما كبيرا بالكشف عن أسرار الحذف وبيان نكت الفنية ، وما من شك في أنه قد أفاد من دراسة المتقدمين وإشاراتهم ، واستطاع بذوقه الأدبي وحسه المرهف أن يضع لنا منهجا دقيقا في دراسة هذه الظاهرة ، والكشف عن أسرارها وعلى هذا النهج ينبغي أن تدرس دراستنا لظواهر الأساليب في القرآن الكريم ، وفي تراثنا العربي .

بدأ عبد القاهر دراسته للحذف بالإشارة إلى بيت الفنيق الذي يقول : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر . "(1) .

ثم يأخذ عبد القاهر بعد ذلك في بيان صور الحذف ، فيشير إلى حذف المبتدأ والمواطن التي يكثر فيها حذفه ، وإلى حذف الفعل ، ثم إلى حذف المفعول بينا أن اللطائف في حذفه أكثر ، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر وفي حديثه عن حذف المبتدأ يشير إلى أنه يطرد في موضعين :—

الأول : عند ذكر الديار والمنازل والأطلال .

---

(1) الدلائل ص ١٧٠ .

الثانى :ـ

عند القطع والاستئناف .

ومن شواهد الموضع الأول التى يعرضها عبد القاهر نقلا عن سيبويه ..

قول عمر بن أبى ربيعة :ـ

اعتاد قلبك من ليلى عوائده .. وهاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء أذاع المعصرات به .. وكل حيران ساري ماؤه خضل

أراد : ذلك ربع قواء . ومثله قوله :ـ

هل تعرفه اليوم رسم الدار والطللا .. كما عرفت بجفن الصيقل الخللا

دار لمية إذ أهلى وأهلهم .. بالكانسية ترعى النبع والغزلا

أراد : تلك دار أو هى دار .

ثم يقول عبد القاهر : " وهذه طريقة مستمرة لهم إذا ذكروا الديار والمنازل وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون ، فقد يضمرون الفعل فينصبون كبيت الكتاب أيضا :ـ

ديار لمية إذ هى تساعفنا .. ولا يرى مثلها عجم ولا عرب (١)

أنشده بنصب " ديار " على إضمار فعل كأنه قال : اذكر ديار لمية " (٢) .

فهو يشير هنا نقلا عن سيبويه إلى الموضع الأول الذى يطرد فيه الحذف بينما أن طريقة الضرب عند ذكر هذه الأماكن هى بناء الكلام على الحذف والاختصار ـ ولكن لا يذكر لنا ـ كما فعل سيبويه ـ لما ذا يطرد الحذف عند ذكر هذه الأماكن ؟ :ـ

---

(١) البيت لذى الرمة

(٢) الدلائل ص ١٧٠

ولعل السبب فى ذلك هو أن ذكر هذه الأماكن مرتبط فى الغالب بمواقف مؤلمة ، تثير فى النفس الحزن والأسى ، فعندما تُذْكر هذه الأماكن تتذكر النفسُ الذكرياتِ الحلوةَ الباسمةَ التى كانت مع الأحبة فى تلك الديار والمنازل ، وهذه الذكريات تبعث فى النفس الأسى والألم فتلجأ إلى الصمت والسكون ، وتطوى الأحداث ، ـ ويختصر الكلام ، وتغنى الدمعة عندئذ عن الكلمات الكثيرة ...

ويشير عبد القاهر إلى الموضع الثانى فيقول : " ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ ، القطع والاستئناف : يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا فى أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ مثال ذلك قوله :ـ[1] .

وعلمت أنى يوم ذا .. ك منازل كعبا ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديد .. تنمروا حُلقا وقِدّا .. [2]

ويستمر عبد القاهر فى عرض الشواهد التى تبين اطراد حذف المبتدأ فى هذا الموضع ، فمن ذلك قول القاسم بن حنبل :ـ

هم حلوا من الشرف المعلى .. ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
بناة مكارم وأساة كلم .. دماؤهم من الكلب الشفاء

أراد : هم قوم ، فحذف المبتدأ .

وقول إبراهيم الصولى :ـ

سأشكر عمرا إن تراخت منيتى .. أيادى لم تمنن وإن هى جلت
فتى غيرُ محجوب الثنى عن صديقه .. ولا مظهرُ الشكوى إذا النعل زلت

(١) عمرو بن معديكرب ٢) الدلائل ص ١٧١

وقول جميـــل :ـ

وهل بثينه يا للنـاس قاضيـتى ∴ دينى وفاعلة خيرا فأجزيهـا
ترنو بعينى مهاة أقصدت بهما ∴ قلبى عشيه ترمينى وأرميهـا
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ∴ ريا المظاهلين الميثر غازيها

وقول الأشيشر فى ابن عمه الموسر البخيـل :ـ

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ∴ وليس إلى داعى الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه ∴ وليس لما فى بيته بمضيـــع

إلى غير ذلك من الشواهد التى يعرضها ، ثم يحيلنا إلى النفس والذوق لكى ندرك جمال الحذف ونتذوقه ، وكأنه بهـذه الإحالة يريد من دارسى فنون البـلاغـة أن يكونوا أصحاب أذواق مرهفة وأحاسيس صادقة ، حتى يستطيعوا أن يتذوقـوا الجمال ويحسوه كما تذوقه هو وأحسه ، وهذا هو شأن النفوس القوية المدربة المثقفة التى عاشت مع الأساليب الرفيعة ، وطالت صحبتها لها ، فأدركت بذلك خفايـا التراكيب ، وعرفت لخصوصيات النظم مواقع تأثيرها ، فعبد القاهر يطلب هنا أن تتأمل ونطيل التفكر فى هذه الأساليب وأن نقارن بين الأسلوب الذى حذف منه المبتـدأ وبين الأسلوب نفسه بعد رد المحذوف إليه ، لندرك جمال الحذف ونقف على سره البلاغى ، وما أضفاه على المعنى من قوة وبهاء ، وهذا ما يستطيعه عبد القاهر وليس فى مقدوره أن يقود الناس بالخزائم كى يدركوا ما أدرك ويحسوا ما أحـس ، إذ لا مرجع فى الحكم له أو عليه إلا الذوق المصقول المدرب ، والإحساس الصادق المرهف ... (١) .

(١) انظر منهج البحث بين عبد القاهر والسكاكى د / سيد حجاب ص ١٦٧ .

يقول عبد القاهر :—

" فتأمل الآن هذه الأبيات كلها ، واستقرها واحدا واحدا ، وانظر إلى موقعها في نفسك ، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم قلبت النفس عما تجد ، وألطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك ، وتوقعه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد ... (١) .

فهو يطلب منا أن نتأمل تلك الأبيات التي ورد بها حذف كي نصل إلى سر اللطف والجمال بها ، ثم ننظر في نفس الأبيات مرة ثانية بعد رد المحذوف إليها ؛ لنرى كيف ذهب المعنى وضاع رونقه وتولى جماله وعبد القاهر يرى بذوقه الصادق وحسه المرهف ، أن رد المحذوف وتقديره يعتبر تكلفا : " ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر " ، ونحن نعلم أن الشيء المتكلف ثقيل ومكروه " والنفس دائما تتوقاه وتحذره وهكذا يستمر عبد القاهر في بيان جمال الحذف مفرقا بين ما يفيده الحذف من روعة وجمال وبين ضياع الجمال عند تقدير المحذوف واعتباره في الكلام ، فيقول عند عرضه لأبيات عبد الله بن الزبير يذكر غريما له قد ألح عليه :—

عرضت على زيد ليأخذ بعضها ∴ يحاوله قبل اعتراض الشواغل
فدب دبيب البغل يألم ظهره ∴ وقال تعلم أنني غير فاعل
تثاءب حتى قلت : داسع نفسه ∴ وأخرج أنيابا له كالمعاول :

" الأصل حتى قلت : هو داسع نفسه أي : حسبته من شدة التثاؤب ومما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ، ويخرجها من صدره ، كما يدوسع البعير جرته ، ثم إنك ترى نصبة الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ أو تباعده عن وهمك ، وتجتهد ألا يدور في خلدك ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توقي

(١) الدلائل ص ١٧٤

— الشيء يكره مكانه والثقيل يخشى هجومه ..." (١).

ويقول من أبيات بكر بن النطاح :

الحين تبدي الحسب والبغضا .·. وتظهر الإبرام والنقضا
درة ما أشقيتني بالهوى .·. ولا رحمت الجسد المنضى
غضبى ولا والله — يا أملها — .·. لا أطعم البارد أو ترضى :—

" التقدير : هي غضبى أو غضبى هي ، لا محالة ، إلا أنك ترى النفس كيف تتقادى من إظهار هذا المحذوف ، وكيف تأنس إلى إضماره ، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به ...." (٢).

وهكذا أفاد عبد القاهر من إشارات السابقين وتسميتهم الحذف : إضمارا واستطاع بذوقه الأدبي أن يكشف لنا عن القيمة الفنية للحذف ، فحث النفوس الصادقة الإحساس ، صاحبة الذوق المرهف المدرب أن تمعن النظر في هذه الأبيات لتدرك جمال الحذف وعذوبته ، وأنها إذا ما أرادت تقدير المحذوف واعتباره في الأبيات ، فلن ترى للمعنى هذا الجمال ولا تلك العذوبة ، بل إن النفوس المتذوقة للأساليب الرفيعة ، تتقادى هذا التقدير ، وتأنس للحذف وترى أسلوب الأبيات ، وصيغة الكلام تسوم منها أن تنسى هذا المحذوف ، وأن تباعده عن وهمها وتجتهد ألا يدور في خلدها ، وألا يمر على لخاطرها ....

فالحذف لا يكون إلا لمعنى بلاغي اقتضاه المقام ، وتقدير المحذوف يؤدي إلى ضياع هذا المعنى البلاغي ، أما قول النحويين : المحذوف في قوة المذكور ، فمرادهم بذلك : أن المحذوف كالمذكور في إفادة أصل المعنى الذي بني عليه

(١) الدلائل ص ١٧٤ (٢) الدلائل ص ١٧٥

ـ الكلام ، فالكلام قد صيغ وأنشىء ليفيد معنى ، ثم جاء الحذف لسر بلاغي أراده المتكلم ، فإذا ما قدر المحذوف ، واعتبر في الكلام أدى ذلك إلى ضياع السر البلاغي الذي من أجله كان الحذف .

ولهذا رأينا عبد القاهر يحيلنا إلى الذوق لندرك المعنى الجمالي الذي أفاده الحذف في تلك الأبيات ، ولنرى كيف يذهب هذا المعنى ، إذا ما حاولنا تقدير المحذوف واعتباره .

ثم ينتقل عبد القاهر بعد ذلك إلى الحديث عن حذف المفعول ، فيقول مشيرا إلى أهميته وقيمته : " واعلم قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ ، وهو حذف اسم ، إذ لا يكون المبتدأ إلا اسما ، ثم إني أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصا فإن الحاجة إليه أمس ، وهو بأن نحن بصدده أخص ، واللطائف كأنها فيه أكثر ، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر .. " (١) .

ثم يمهد لدراسة حذف المفعول ـ كعادته عند دراسة موضوعات البلاغية ومسائلها المختلفة ، إذ يبدؤها بذكر أشياء قد يظن الناظر فيها أنه لا فائدة منها وأنها حشو يجب أن يبعد وينبغي ألا يكون ، ولكن بإمعان النظر يتضح أن لهذه الأشياء أهميتها في تكملة الغرض وإتمام المراد ـ ولذلك فهو يبدأ دراسته لحذف المفعول بتمهيد يوضح فيه أن الفعل قد يحتاج إلى فاعل نحو : ضرب زيد وعلم محمد ، وقد لا يحتاج إلى فاعل بأن يراد : الإخبار بوقوع الحدث ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل وذلك نحو : كان ضرب ، ووقع ضرب ، أو وجد قتل ، فكذلك حال الفعل مع المفعول به ، فقد لا يحتاج الفعل إلى مفعول

(١) الدلائل ص ١٧٦

وهذا هو الفعل اللازم ، نحو : خرج زيد ، وفرح عمرو ، وقد يحتاج إلى مفعول أو أكثر وذلك هو الفعل المتعدى نحو : ضرب زيد عمرا ، علم محمد الرجل مظلوما ، وبعد هذا التمهيد يبدأ دراسة حذف المفعول ، فيذكر أن حذف المفعول يبحث عنه مع الفعل المتعدى ، لأن الفعل اللازم ليس في حاجة إلى مفعول ، فإذا وجد في الأسلوب فعل متعد ، وليس في جملة الكلام مفعوله الذى تعدى إليه ، فهذا المفعول إذاً محذوف ، وواجب علينا أن نبحث عن أسرار حذفه ، وعن قيمته البلاغية ... "[1] ..

ويقسم عبد القاهر حذف المفعول قسمين :ـ

الأول :

أن يكون المراد : الاقتصار على إثبات معانى الأفعال للفاعلين دون تعرض لذكر المفعولات ، لأنه ليس هناك مفعول معين يمكن النص عليه بل الأمر عام وشامل وإذا ذكر مفعول معين أدى ذلك إلى انتقاض غرض الكلام وتغيير معناه وفي ذلك يقول عبد القاهر : " وإذ قد عرفت هذه الجملة فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين .

فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى مثلا في أنك لا ترى له مفعولا لفظا ولا تقديرا ، ومثال ذلك قول الناس : فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع ، وكقولهم : هو يعطى ويجزل ويقرى ويضيف ، المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن تتعرض

(١) الدلائل ص ١٧٦

ـ لحديث المفعول حتى كأنك قلت : صار إليه الحل والعقد ، وصار بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهي وضر ونفع وعلى هذا القياس ، وعلى ذلك يكون قوله تعالى : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (١) .

المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم

وكذلك قوله تعالى : " وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا " (٢) .
والاغناء والاقناء ، وهكذا كل موضع كان القصد فيه ان يثبت المعنى في
وقوله : " وأنه هو أغنى وأقنى " المعنى : هو الذى منه الاحياء والاماتة ونفسه

فعلا للشيء وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أولا يكون إلا منه أولا يكون منه ، فإن الفعل لا يعدى عنك لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى ، ألا ترى أنك إذا قلت : هو يعطى الدنانير ، كان المعنى على أنك قصدت أن تعلم السامع أن الدنانير تدخل في عطائه ، أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها ، وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء في نفسه ، ولم يكن كلامك مع من نفى أن يكون : كان منه إعطاء بوجه من الوجوه ، بل مع من أثبت له إعطاء إلا أنه لم يثبت إعطاء الدنانير ، فاعرف ذلك فإنه أصل كبير عظيم النفع " (٣) .

فهذا هو القسم الأول ، وهو أن يقتصر على إثبات الفعل للفاعل دون التعرض لذكر المفعول ، وذلك لأنه ليس ثم مفعول يمكن النص عليه بل المراد :ـ نسبة المعنى المشتق من الفعل لفاعله ، فإذا ذكر مفعول معين عندئذ ، أدى ذكره إلى تناقض الغرض وإفساد المعنى ، وقد بين عبد القاهر ذلك أتم بيان ، كما هو واضح .

---

(١) الزمر ٩
(٢) النجم ٤٣ ، ٤٤
(٣) الدلائل ص ١٧٧

القسم الثانى :

أن يكون هناك مفعول مقصود ومعلوم إلا أنه يحذف من الكلام لوجود الدليل ولسر بلاغى اقتضى هذا الحذف ، وهذا القسم يتنوع ويتعدد حسب السر البلاغى الذى اقتضى الحذف .

يقول عبد القاهر : " وقسم ثان وهو أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه ، وينقسم إلى جلى وخفى تدخله الصنعة فمثال الجلى قولهم : أصغيت إليه ، وهم يريدون : أذنى ، وأغضيت عليه ، والمعنى جفنى ، وأما الخفى الذى تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع " (١)

ثم يأخذ عبد القاهر فى عرض هذه الأنواع المختلفة لهذا المفعول المعلوم المقصود الذى حذف لقيام الدليل على حذفه مبينا لنا وكاشفا عن السر البلاغى للحذف فى كل نوع من هذه الأنواع .

يقول عبد القاهر : " فنوع منه أن تذكر الفعل وفى نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجرى ذكر أو دليل حال إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شىء أو تعرض فيه لمفعول ، ومثاله قول البحترى :ـ

شجو حساده وغيظ عداه ∴ أن يرى مبصر ويسمع واع

المعنى : لامحالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره وأوصافه ولكنك تعلم على ذلك أنه لا بد أن يسرق علم ذلك من نفسه ويدفع صورته عن وهمه ليحصل له معنى شريف وغرض مطاع " (٢) .

---

(١) الدلائل ص ١٧٨ ٢) نفس المصدر والصفحة

فهو هنا يشير إلى النوع الأول من هذه الأنواع التي يتنوع إليها حذف المفعول المحلوم وهو إيهام أن المراد إثبات الفعل للفاعل من غير أن يتعدى إلى مفعول وذلك كي يتحقق غرض شريف ومعنى لطيف وهذا الغرض وذلك المعنى هو سر بلاغة الحذف وسبب جماله والذي يشير إليه عبد القاهر بقوله : " فأراد أن يقول : إن محاسن الممدوح وفضائله ومحاسنه والفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المستحق للخلافة والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مرتبتها فأنت ترى حساده وليس شيء أشجى لهم وأغيظ من علمهم بأن — هنا مبصراً يرى وسامعاً يعي — حتى ليتمنون لئلا يكون في الدنيا له عين يبصر بها وأذن يعي بها ، كي يخفى مكان استحقاقه لشرف الإمامة فيجدوا بذلك سبيلاً إلى منازعته إياها " (١) .

فهو يرى أن السر البلاغي لحذف المفعول في البيت هو أن محاسن الممدوح وفضائله قد ذاعت وانتشرت بين الناس جميعاً وهذا مما يحزن أعداءه ويثير في نفوسهم الحقد والغيظ ، لأنه إذا كان هناك من يسمع ويبصر ، فسيرى لا محالة هذه المحاسن وسيسمع قطعاً عن تلك الفضائل حيث إنها قد شاعت وانتشرت بين الناس جميعاً فأغنى ذلك عن ذكرها .

وقد رأينا القراء قبل ذلك يشير إلى هذا السر البلاغي عند حديثه عن حذف المضاف في نحو قولهم : إذا سرك أن ترى الكرم فانظر إلى حاتم — أي : إلى كرمه .... (٢) — .

---

(١) نفس المصدر

(٢) انظر ص ١٥

ويشير عبد القاهر إلي نوع آخر من أنواع هذا الحذف فيقول : " وهذا نوع آخر وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده ، قد علم أنه ليس للفعل الذى ذكرت مفعول سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام ، إلا أنك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض غير الذى مضي ، وذلك الغرض أن تتوفر العناية علي إثبات الفعل للفاعل وتخلصّ له وتنصرفّ بجملتها وكما هي إليه ، ومثاله قول عمرو بن معديكرب :—

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ∴ نطقت ولكن الرماح أجرت

أجرت : فعل متعد ومعلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلي ضمير المتكلم نحو :— ولكن الرماح أجرتني ، وأنه لا يتصور أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول : فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ثم يقول : ولكن الرماح أجرت غيرى إلا أنك تجد المعني يُلزِمُك ألا تنطق بهذا المفعول ، ولا تخرجه إلي لفظك " (١) .

فهو هنا يشير إلي أن الغرض من الحذف في هذا النوع هو أن تتوفر العناية علي إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها إليه ، فالبيت قد حذف منه المفعول المعلوم المحدد وهو : ياء المتكلم ، " والسبب في ذلك أن تعدية الفعل للمفعول توهم ما هو خلاف الغرض ، وذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس الألسن عن النطق وأن يصح وجود ذلك ، ولو قال : أجرتني جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح إجرارا ، بل الذى عناه أن يبين أنها أجرته " (٢) .

---

(١) الدلائل ص ١٧٩ ٢) الدلائل ص ١٧٩ .

ثم يكشف عبد القاهر عن سر آخر لبلاغة الحذف في البيت فيقول :— " واعلم أن لك في قوله : أجرت ، فائدة أخرى زائدة على ما ذكرت من توفير العناية على إثبات الفعل وهي أن تقول : كان من سوء بلاء القوم ومن تكذيبهم عن القتال ما يجر مثله ، وما القضية فيه أنه لا يتغير على قوم إلا خرس شاعرهم فلم يستطع النطق وتصديتك الفعل تمنع من هذا المعنى ، لأنك إذا قلت : ولكن الرماح أجرتني لم يمكن أن يتأول على معنى أنه كان منها ما شأن مثله أن يجر قضية مستمرة في كل شاعر قوم ، بل قد يجوز أن يوجد مثله في قوم آخرين فلا يجر شاعرهم ، ونظيره أنك تقول : قد كان منك ما يؤلم ، تريد بما الشرط في مثله أن يؤلم كل أحد ، وكل إنسان ، ولو قلت ما يؤلمني ، لم يفد ذلك لأنه قد يجوز أن يؤلمك الشيء لا يؤلم غيرك . " (١) .

فهو يرى أن السر البلاغي لحذف المفعول في البيت ، هو الإشارة إلى سوء بلاء القوم وإلى جبنهم وإحجامهم عن القتال ، فلم يعملوا سيفا ولم يرسلوا رمحا ، بل جبنوا وتقاعسوا ، ولم يكن منهم أدنى بلاء في القتال ، وهذا من شأنه أن يقطع كل لسان ، وأن يخرس كل شاعر ، حيث لم يجد لهم شيئا يقال للمدح والثناء ، وهذا المعنى يدرك من حذف المفعول ، ولو قال : أجرتني لما فهم هذا المعنى لاحتمال أن يكون فعلهم هذا قد أجره هو دون غيره ، وأنه لو كان هذا الفعل من قوم آخرين لما أسكت شاعرهم ، بل لوقف مشيدا به ، فالحذف يوحي بأن قومه قد بلغ جبنهم حدا أسكت معه كل لسان ، حيث لم يوجد لهم أدنى بلاء يمكن الإشادة به .

ويستمر عبد القاهر في الكشف عن جمال الحذف وسر بلاغته ، فيورد هذه الأبيات لطفيل الغنوي في بني جعفر بن كلاب :—

---

(١) الدلائل ص ١٨٠ .

جزى الله عنا جعفرا حين أزلفت ∴ بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنـــا ∴ تلاقي الذي لاقوه منا لملت

هم خلطونا بالنفوس وألجأوا ∴ إلي حجرات أدفأت وأظلـت

ثم يشير إلي السر البلاغي لحذف المفعول في هذه الأبيات بقوله :ـ

" وهكذا قوله : ولو أن : أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت ، يتضمن أن من حكم مثله في كل أم أن تمل وتسأم وأن المشقة في ذلك إلي حد يُمَلّم أن الأم تمل لابنها وتتبرم به مع ما في طباع الأمهات من الصبر علي المثابرة في مصالح الأولاد ، وذلك أنه وإن قال : أمنا فإن المعني علي أن ذلك حكم كل أم من أولادها ولو قلت لملتنا لم يحتمل ذلك لأنه يجري مجري أن تقول : ـ لو لقيت أمنا ذلك لدخلها ما يُمِلّها منا ، وإذا قلت :ـ ما يملها منا فقيدت ، لم يصلح لأن يراد به معني العموم وأنه بحيث يمل كل أم من كل ابن ، وكذلك قوله إلي حجرات أدفأت وأظلت لأنه فيه معنيّ قولك ، حجرات من شأن مثلها أن تدفيء وتظل أي : هي بالصفة التي إذا كان البيت عليها أدفأ وأظل ولا يجيء هذا المعني بإظهار المفعول إذ لا تقول ـ حجرات من شأن مثلها أن تدفئنا وتُظلنا هذا لغو من الكلام "[1] .

فهو هنا يبين لنا السر البلاغي لحذف المفعول في الأبيات ، فالشاعر يتحدث عن معاملة بني جعفر لهم ويصفهم بالكرم الزائد وحسن الضيافة فهما لاقوا من مشقة وتعب في سبيل ذلك وحذف المفعول من قوله :لملت ، يوحي بمدى المشقة التي لاقاها بنو جعفر منهم ، هذه المشقة التي لا تستطيع الأم أن تصبر علي تحملها من الأبناء والتي لو لاقت الأم من أبنائها ما لاقاه بنو جعفر منهم لما ملت الأبناء فقط ، بل لملت كل شيء في الوجود وهذا المعني أفاده حذف المفعول من : ملت .

(١) الدلائل ص ١٨١

فاذا ما علمنا مدى صبر الأم علي تحمل أبنائها أدركنا عظم المشقة التي تحملها منهم بنو جعفر وأدركنا بالتالي الكرم الزائد الذى أتحفوهم به ، وكذلك حذف المفعول من : أفاءت وأظلت ، يدل علي أن هذه الحجرات من شأنها أن تدفيء وتظل كل أحد يأوى إليها فهي معدة ومجهزة ومهيأة لكل من ينزل عليهم طالبا الضيافة والكرم ، ويدل علي ذلك أيضا : تنكير الحجرات الذى أفاد أنها حجرات من نوع خاص ، فقد اهتم بها بنو جعفر فجهزوها ، وكيفوها بأحسن الوسائل وهكذا أفاد حذف المفعول وتنكير : الحجرات المبالغة فى وصف بني جعفر بالكرم وحسن الضيافة .

ويستمر عبد القاهر فى الكشف عن الأسرار البلاغية لحذف المفعول فيشير إلي سر حذفه فى الآية الكريمة : " ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقي حتي يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقي لهما ثم تولي إلي الظل .." [1] ، بقوله : " إنه لا يخفي علي ذى بصر أنه ليس فى ذلك كله إلا أن يترك ذكر المفعول به ، ويؤتي بالفعل مطلقا وما ذاك إلا أن الغرض فى أن يعلم أنه كان من الناس فى تلك الحال سقي ، ومن المرأتين ذود وأنهما قالتا : لا يكون منا سقي حتي يصدر الرعاء ، وأنه كان من موسي عليه السلام سقي ، فأما ما كان المسقي أغنما أم إبلا أم غير ذلك فخارج عن الغرض ومومهم خلافه ، وذاك أنه لو قيل :—

" وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما ، جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود ، بل من حيث هو ذود غنم حتي لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود ، كما أنك إذا قلت : مالك تمنع أخاك ؟ كنت منكراً المنع لا من حيث هو

---

(١) القصص ٢٣، ٢٤ .

صنع . بل سه حبيث هو

- ك منه أخ ، فاعرفه : تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت إلا لأن في حذفه ، وترك ذكره فائدة جليلة وأن الغرض لا يصح إلا على تركه . " (١) .

فهو يرى أن سبب حذف المفعولات في الآية الكريمة هو أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل دون النظر إلى المفعول ، فإن الذي أنكره موسى عليه السلام - هو سقي الناس وذود المرأتين ، أما كون السقي إبلا أو الذود غنما فلم ينظر إليه ، بل لو ذكر المفعول هنا لأدى ذكره إلى إيهام غير المراد ، فدفعا لهذا الإيهام ولكي تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل حذفت المفعولات في الآية الكريمة .

ويشير عبد القاهر إلى السر البلاغي لحذف المفعول في بيت البحتري :

إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت .. فهجرانها يبلي ولقيانها يشفي

بقوله : " قد علم أن المعنى : إذا بعدت عني أبلتني وإن قربت مني شفتني . " (٢) إلا أنك تجد الشعر يأبى ذكر ذلك ويوجب اطراحه ، وذلك لأنه أراد : أن يجعل البلي كأنه واجب في بعادها أن يوجبه ويجلبه وكأنه كالطبيعة فيه ، وكذلك حال الشفاء مع القرب حتى كأنه قال : أتدري ما بعادها ؟ : هو الداء المضني ، - وما قربها ؟ : هو الشفاء والبرء من كل داء ولا سبيل لك إلى هذه اللطيفة وهذه النكتة إلا بحذف المفعول البتة فاعرفه " (٣) .

وبعد ذلك يتحدث عبد القاهر عن نوع آخر من أنواع الحذف وهو : -

الإضمار على شريطة التفسير فيحذف مفعول المشيئة أو الإرادة إذا ذكرتا بعد

(١) الدلائل ص ٨٢ (٢) وكذلك يبلي ويشفي ، معناهما : يبلين ويشفين فحذف المفعول لنفس السر البلاغي المشار إليه (٣) الدلائل ص ٨٣ .

— أداة من أدوات الشرط ثم يفسر المفعول المحذوف بجواب الشرط ، فيكون قد أبهم المفعول بطايه وحذفه ثم بينه بعد ذلك وفسره بجواب الشرط .

وللبيان بعد الإبهام موقعه في النفوس ، وتأثيره فيها ، فالشيء إذا أبهم تحركت النفس وجدت في البحث عنه والوصول إليه ، فإذا جاء التفسير بعد ذلك كان أوقع في النفس وأشد تأثيرا لأنه جاء بعد تطلع وتشوف جاء والنفس إليه مشتاقة وعنه تبحث .

يقول عبد القاهر مشيرا إلى هذا النوع : " وهذا نوع منه آخر ، فاعلم أن ههنا بابا من الإضمار والحذف يسمي الإضمار على شريطة التفسير ...

فمن لطيف ذلك ونادره قول البحتري :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم ... كرما ولم تهدم مآثر خالد

الأصل لا محالة : لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه ، ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب في حكم البلاغة ألا ينطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللفظ ، فليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت : لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت إلى كلام غث وإلى شيء يمجه السمع وتعافه النفس . (١)

فهو يشير إلى حذف مفعول المشيئة في البيت لدلالة جواب " لو " عليه ، ويبين أن تقدير البيت : لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ولكن هذا التقدير يفسد المعنى ويضيع جماله ، ويصير به الكلام شيئا غثا باردا لا قيمة له ، تنفر منه

---

(١) الدلائل ص ١٨٣ .

— النفوس وتكرهه الأسماع فالواجب في حكم البلاغة ألا يقدر هذا المحذوف ولا يظهر إلي اللفظ ، بل يجب عليه ونسيانه .

وهكذا يقرر عبد القاهر دائما ويشير كثيرًا إلي أن الحذف إذا حاذف موضعه فإنه يضفي علي المعني جمالا ورونقا وبهاء وحسناء فإذا ما قدرنا المحذوف ضاع جمال المعني وذهب رونقه وبهاؤه ، ولذلك فالواجب أن ننسي هذا المحذوف ونجد في نسيانه وندعه يلزم ضمير النفس ويختفي من الكلام ليظل للمعني جماله وعذوبته .

ويعرض عبد القاهر كثيرًا من الشواهد التي حذف فيها مفعول المشيئة أو الإرادة بعد أداة الشرط ، لدلالة الجواب عليه ، من ذلك قوله تعالي : " ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى "(١) ، وقوله تعالي : " ولو شاء الله لهداكم أجمعين "(٢) والتقدير : لو شاء الله أن يجمعهم علي الهدى لجمعهم ولو شاء الله أن يهديكم أجمعين لهداكم ، إلا أن البلاغة في أن يجاء به كذلك محذوفا ، وقوله تعالي : " فإن يشأ الله يختم علي قلبك "(٣) ، وقوله : " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله علي صراط مستقيم "(٤) .

ومن ذلك قول طرفه بن العبد :—

وإن شئتُ لم ترقل وإن شئتُ أرقلت ∴ مخافة ملوى من القد محصد

وقول البحتري :

لو شئت عدت بلاد نجد عودة ∴ فخللت بين عقيقه وزروده

---

(١) الأنعام ٣٥ (٢) النحل ٩
(٣) الشورى ٢٤
(٤) الأنعام ٣٩

إلي غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي يعرضها مبينا أننا لو قدرنا المحذوف فيها أفقدنا المعني جماله وروعته وخرجنا إلي كلام غث ولفظ رث .

ثم يشير عبد القاهر إلي السر البلاغي لحذف مفعول المشيئة بعد أداة الشرط — فيقول : " وذلك أن في البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له أبدا لطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ، وأنت إذا قلت : لو شئت ، علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة في المعني بشيء فهو يضع في نفسه أن ههنا شيئا تقتضي مشيئته له أن يكون أو ألا يكون ، فإذا قلت : لم تفعله سماحة حاتم ، عرف ذلك الشيء " (١).

ومعرفته عند ئذ تكون أوقع في النفس وأشد تأثيرا لأنها عرفته بعد طلب وتفكير ولكن هل حذف مفعول المشيئة أو الإرادة بعد أدوات الشرط دائما أفضل وأحسن من ذكره ؟ .. :— يجيب عبد القاهر علي هذا التساؤل بقوله : " وقد يتفق في بعضه أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن وذلك نحو قول الشاعر :—

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته .·. عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فقياس هذا لو كان علي حد : " ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى " أن يقول : لو شئت بكيت دما ، ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلي هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا وسبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما فلما كان كذلك كان الأولي أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به ، وإذا — استقريت وجدت الأمر كذلك أبدا متي كان مفعول المشيئة أمرا عظيما أو بديعا غريبا كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر ، يقول الرجل يخبر عن عزة نفسه : لو شئت أن أرد علي الأمير رددت ، ولو شئت أن ألقي الخليفة كل يوم لقيت ، فإذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف . " (٢) .

---

(١) الدلائل ص ١٨٤ ٢) نفس المصدر والصفحة

ويضيف عبد القاهر قائلا : " وأما قول الجوهري :—

علم يُبَن مني الشوقُ غيرَ تفكري ∴ فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا

فقد نحا به نحو قوله : لو شئت أن أبكي دما لبكيته فأظهر مفعول شئت ولم يقل فلو شئت بكيت تفكرا لأجل أن له غرضا لا يتم إلا بذكر المفعول وذلك أنه لم يرد أن يقول : ولو شئت أن أبكي تفكرا بكيت كذلك ولكنه أراد أن يقول : قد أفناني النحول فلم يُبْن مني وفي غيرَ خواطرَ تجول ، حتى لو شئت بكاء فمريت شؤوني ، وعصرت عينيَّ ليسيل منها دمع لم أجده ، ولكن بدل الدمع التفكر ، فالبكاء الذي أراد — إيقاع المشيئة عليه صالح مبهم غير معدى إلى التفكر البتة والبكاء الثاني مقيد معدى إلى التفكر ، فإذا كان الأمر كذلك صار الثاني كأنه شيء غيرُ الأول وجرى مجرى أن تقول : لو شئتَ أن تعطيني درهما أعطيتَ درهمين فإن الثاني لا يصلح أن يكون تفسيرًا للأول . "[1] .

فالأمر إذًا ليس على الإطلاق بأن يكون حذف مفعول المشيئة أفضل دائما من ذكره ، بل قد يكون ذكره هو الأفضل والأحسن لأمور أوجبت ذلك ولخصوصيات استدعت واقتضت ذكره ، أو لغرض يريده المتكلم ، وهذا الغرض لا يتحقق إلا بذكر المفعول ، ولو حذف لأوهم حذفه خلاف المراد ، ففي البيت الأول يوضح عبد القاهر أن السبب الذي من أجله ذكر المفعول هو أن بكاء الدم شيء غريب وعجيب ، ومتى كان المفعول غريبا وعجيبا وجب ذكره ليتقرر في ذهن السامع ويأنس به ومن هذا القبيل قول الله تعالى : " لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء "[2] .

وقوله ز وجل : " لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا "[3] ، فمفعول الإرادة في الآيتين غريب ولهذا ذكر ليتقرر في ذهن السامع ويأنس به ، ولأنه لو حذف ما دل عليه جواب الشرط لنيابة المفعول وسده ، وكذلك ذكر المفعول في البيت

(١) الدلائل ص ١٨٦ ٢) الزمر ٤ ٣) الأنبياء ١٧

لكونه غريبا عجيبا ، ولو حذف ما تحقق غرض الشاعر ولا تم ما يريده لخفاء المعنى عندئذ وغموض الدليل .

وفى البيت الثاني ذكر المفعول لأن البكاء الأول ليس من جنس البكاء الثاني ، فالأول مطلق بكاء ، والثاني مقيد بالتفكر ، فلو حذف البكاء الأول وهو مفعول المشيئة ، ما دل عليه الثاني " جواب الشرط " لأنه من جنس آخر غير جنسه ، والحذف يوهم أنهما من جنس واحد .

فالشاعر يريد أن يقول : إن شوقه إلي الحبيب وتفكره فيه قد ملأ عليه دنياه ، حتي أنه إذا أراد البكاء وعصر عينيه ليسيل منها الدمع ما أسعفته بالدمع ولو جد التفكر يحل محل الدمع فيبكي بدلا منها ، ولو حُذف مفعول المشيئة ما تحقق له هذا المعنى الذى يريده ، ولحدث الإشكال واللبس بسبب خفاء القرينة الدالة علي الحذف عندئذ حيث أن بكاء التفكر لا يدل علي بكاء الدمع ، ولهذا وجب ذكر المفعول فى البيت .

ويستطرد عبد القاهر فى بيان أن الحذف ليس دائما أفضل من الذكر ، بل إن لكل منهما المقام الذى يقتضيه ويتطلبه ، فيقارن بين بيت البحترى ..

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ .. دد والمجد والمكارم مثلا

وبين بيت ذى الرمة :—

ولم أمدح لأرضيه بشعرى .. لئيما أن يكون أصاب مالا

ففي البيت الأول قد حذف مفعول " طلب " ، ودل عليه مفعول " نجد " وهو لفظ " مثلا " ، إذ التقدير : قد طلبنا لك فى السؤدد والمكارم والمجد مثلا فلم نجده ، والسر البلاغي لهذا الحذف هو أن غرض البحترى أن ينفي وجود مماثل للممدوح فى المجد والمكارم والسؤدد ، وهذا يقتضي أن يوقع :—

" نفي الوجود " : علي : صريح لفظ المثل ، لأن نفي الوجود هو الأصل والأساس في المدح أما الطلب ، فكالشيء يذكر تبعا ليبني عليه الغرض ويؤكد به الأمر ولو قال البحتري : قد طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً فلم نجده ، لذهب جمال المعني وروعته وضاع الغرض من المدح والثناء ، حيث يكون قد أوقع نفي الوجود علي ضمير المثل ، ولن تبلغ الكناية مبلغ التصريح ، وهذا هو سر الحذف في بيت البحتري .

وأما بيت ذي الرمة فعلي العكس من ذلك ، فالأصل والأساس هو نفي المدح ولهذا ذكر المفعول به " لئيما " وأعمل فيه : لم أمدح ، أما الارضاء فهو تابع للمدح ولذلك أعطاه في ضمير اللئيم . فالمقام هنا يقتضي ذكر المفعول ليتحقق غرض الشاعر ويتم مراده ، وحذفه يناقض ذلك الغرض وينافيه ، ولهذا يتضح لنا أن لكل من الذكر والحذف مقامه الذي يحسن فيه ويفضل ، ولا يصلح فيه غيره .

يقول عبد القاهر في بيان ذلك : " واذا أردت ما هو صريح في ذلك ثم هو نادر لطيف ينطوي علي معني دقيق وفائدة جليلة فانظر إلي بيت البحتري :—

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ .. دد والمجد والمكارم مثلا

المعني قد طلبنا لك مثلا ثم حذف لأن ذكره في الثاني يدل عليه ، ثم أن في المجيء به كذلك من الحسن والمزيه والروعة ما لايخفي ، ولو أنه قال : طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا فلم نجده ، لم تسر من هذا الحسن الذي تراه شيئا ، وسبب ذلك أن الذي هو الأصل في المدح والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل ، فأما الطلب فكالشيء يذكر ليبني عليه الغرض ويؤكد به أمره ، وإذا كان هذا كذلك ، فلو أنه قال : قد طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا فلم نجده ، لكان يكون قد ترك أن يوقع نفي الوجود علي صريح لفظ المثل ، أو قصده علي ضميره ولن تبلغ الكناية

ـ مبلغ التصريح أبدا " [1] .

ثم يقول عن بيت ذى الرمة : " وإذ قد عرفت هذا فإن هذا المعني بعينه قد أوجب فى بيت ذى الرمة أن يضع اللفظ علي عكس ما وضعه البحترى فيجعل الأول من الفعلين وذلك قوله :ـ

ولم أمدح لأرضيه بشعرى ∴ لئيما أن يكون أصاب مالا

أصل " لم أمدح " الذى هو الأول فى صريح لفظ اللئيم و " أرضي " الذى هو الثاني فى ضميره ، وذلك لأن إيقاع نفي المدح علي اللئيم صريحا والمجيء به مكشوفا ظاهرا هو الواجب من حيث كان أصل الغرض وكان الإرضاء تعليلا له ، ولو أنه قال غير " ولم أمدح لأرضي بشعرى لئيما ، لكان قد أبهم الأمر فيما هو الأصل وأبانه فيما ليس بالأصل " [2] .

ثم يشير عبد القاهر إلي السر البلاغي لحذف المفعول فى بيت البحترى :ـ

وكم ذدت عني من تحامل حادث ∴ وسورة أيام حززن إلي العظم

فيقول : " الأصل لا محالة حززن اللحم إلي العظم إلا أن فى مجيئه به محذوفا واستئثاره له من النفس وتركه فى الضمير مزية عجيبة وفائدة جليلة وذاك أنه من حذق الشاعر أن يوقع المعني فى نفس السامع إيقاعا يمنعه به من أن يتوهم فى بدء الأمر شيئا غير المراد ، ثم ينصرف إلي المراد ، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال : وسوء أيام حززن اللحم إلي العظم ، لجاز أن يقع فى وهم السامع إلي أن يجيء إلي قوله : " إلي العظم " أن هذا الحز كان فى بعض اللحم دون كله وأنه قطع ما يلي الجلد ، ولم ينته إلي ما يلي العظم ، فلما كان كذلك ذكر اللحم وأسقطه من اللفظ ليرى السامع من هذا ، ويجمله بحيث يقع المعني منه فى أنف الفهم ويتصور

(١) الدلائل ص ١٨٧ (٢) الدلائل ص ١٨٨

- في نفسه من أول الأمر أن الحزمضي في اللحم حتي لم يرده إلا العظم ، أفيكون دليل أوضح من هذا وأبين وأجلي في صحة ما ذكرت لك من أنك قد ترى ترك الذكر أفصح من الذكر والامتناع عن أن يبرز اللفظ من الضمير أحسن للتصوير " (١) .

فهو هنا يشير إلي السر البلاغي لحذف المفعول في البيت وهو وقوع المعني في ذهن السامع من أول وهلة ، ولو ذكر المفعول لتوهم السامع ابتداء غير المراد ، وبهذا يتضح لنا ما للحذف من قيمة وجمال ، فقد أدى حذف المفعول في البيت إلي أن يصل المعني إلي ذهن السامع من أول الأمر ويتحقق ما يريده الشاعر من وصف الأيام بالشدة والبلاء ، ولو أردنا تقدير المحذوف وإبرازه في الكلام لأدى ذلك إلي أن يتوهم السامع قبل أن يصل إلي نهاية البيت خلاف ما يريده الشاعر ، وبهذا يظهر لنا ما قرره عبد القاهر من قبل مشيراً إلي قيمة الحذف وفائدته ، من أنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، والامتناع عن أن يبرز اللفظ من الضمير أحسن للتصوير .

وبهذا نرى أن دراسة عبد القاهر لظاهرة الحذف ، قد اختلفت وتميزت عن دراسة غيره من العلماء السابقين عليه والمعاصرين له ، إذ رأيناه يولي اهتماما كبيرا بالكشف عن أسرار هذه الظاهرة وبيان دقائقها وهذا ما لا نراه عند غيره ، إلا إشارات قليلة ونادرة ، كما بينت في الفصل الأول .

ومع إفاضة عبد القاهر في دراسته لحذف المفعول ، والكشف عن أسراره ، نراه يقول : " وليس لنتائج هذا الحذف ، أعني حذف المفعول نهاية ، فإنه طريق إلي ضروب من الصنعة وإلي لطائف لا تحصي " (٢) وكأنه ينبه بذلك إلي ضرورة الاهتمام

١) الدلائل ص ١٩٠ .
٢) الدلائل ص ١٨٣ .

— بمواصلة البحث والدراسة للكشف عن أسرار هذا الحذف وبيان لطائفه .

وعبد القاهر في دراسته لظاهرة الحذف قد أشار — كما رأينا — إلي حذف المبتدأ والي حذف المفعول كما أشار إشارة عابرة إلي حذف الفعل أثناء حديثه عن حذف المبتدأ إذ يقول : " وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون فقد يضمرون الفعل فينصبون — كبيت الكتاب :—

ديار ميـة إذ مـي تساعفنـا .·. ولا يـرى مثلها عجـم ولا عـرب

أنشده بنصب " ديار " علي إضمار فعل كأنه قال : اذكر ديار مية " (١) ..

وسنراه بعد ذلك يشير إلي حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أثناء حديثه عن مجاز الحذف والزيادة ، أما ما عدا ذلك من صور الحذف المختلفة فلم يشر إليها ، كما لم يقف أمام آيات القرآن الكريم وما به من حذوف عجيبة واختصارات غريبة ، فلم يشر إلا إلي آيات معدودة عند حديثه عن حذف المفعول ، رغم أننا قد رأينا المرتضي قبله يشيد بما في القرآن الكريم من اختصارات وحذوف ، ويوصي بضرورة إفراد كتاب يتناول هذه الحذوف العجيبة بالدراسة والتوضيح ... " (٢) .

وربما كان السبب في ذلك أن عبد القاهر كان يعني بالكشف عن أسرار الحذف — وبيان دقائقه أكثر من اهتمامه بتتبع صوره المختلفة ، وما يدل علي ذلك أننا رأيناه حتى في دراسته لحذف المفعول الذي أطنب القول فيه ، ينبه إلي أنه مازالت هناك دقائق وأسرار لم يتوصل إليها . وكأنه بذلك يستحث الدارسين كي يستكملوا دراسة هذه الظاهرة بالنظر في الأساليب الرفيعة وتأملها ، حتي يستطيعوا الكشف عن أسرارها وإبراز دقائقها ولطائفها ....

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٧١

(٢) انظر ص ٩٤

" المجاز العقلي والحذف "

وفي حديث عبد القاهر عن المجاز العقلي والذي سماه : المجاز الحكمي ، يعرض لبيت الخنساء الذي تصف به ناقة فقدت وليدها ، فهي حزينة عليه ، مثلة بذلك حزنها علي أخيها صخر ، وهو :—

ترتع ما غفلت حتي إذا ادكرت ∴ فإنما هي اقبال وادبار (١)

فيرد علي من جعل البيت من قبيل حذف المضاف كسيبويه والمبرد (٢) ، مبينا أن الفرق شاسع بين حذف المضاف وبين المجاز الحكمي في بيت الخنساء .

وقد يشتبه علي البعض ممن يقرأون كلام عبد القاهر قراءة عابرة ، أن هناك تناقضا وتعارضا بين ما ذكره في الفرق بين المجاز الحكمي والحذف وبين ما قرره قبل ذلك عند حديثه عن الحذف ، ولكن من يتأمل ، يرى أنه لا تناقض ولا تعارض .

---

(١) البيت من المجاز العقلي بناء علي تعريف عبد القاهر له بأنه : " كل جمله — أخرجت الحكم المفاد بها ، عن موضوعه في العقل ، لضرب من التأول " أنظر أسرار البلاغة جـ٢ ص ٢٥٧ .

(٢) يقول سيبويه عن البيت : " من ذلك قول الخنساء :—

ترتع ما غفلت حتي إذا ادكرت ∴ فإنما هي إقبال وإدبار

فجعلتها الإقبال والإدبار مجازا علي سعة الكلام كقولك : نهارك صائم وليلك قائم ، ومن ذلك قول الشاعر وهو متمم بن نويرة :

لعمرك ما دهري بتأبين هالك ∴ ولا جزعا مما أصاب فأوجعا

جعل دهره الجزع .... ، وانما أراد : وما دهري دهر جزع ولكنه جاء علي سعة الكلام ، واستخفوا واختصروا . " الكتاب جـ١ ص ٣٢٧ .

ويقول المبرد : " كما قالت الخنساء :—

ترتع ما غفلت حتي اذا ادكرت ∴ فإنما هي اقبال وإدبار

يجوز أن تكون نعتتها بالمصدر ، ويجوز أن تكون أرادت : ذات إقبال وإدبار ، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه ، كما قال عز وجل : " ولكن البر من آمن بالله " فجائز أن يكون المعني : بر من آمن بالله ، وجائز أن يكون : ولكن ذا البر من آمن بالله ، والمعني يؤول إلي شيء واحد " الكامل جـ١ ص ٢٨٠ .

وقد رأينا فيما سبق أن سيبويه يشير إلي شواهد وأمثلة لأنواع مختلفة من فنون البلاغة ويضعها تحت باب الحذف والاضمار فكل ما جاء علي خلاف ظاهر المعني فهو من قبيل الحذف وسعة الكلام وذلك أن فنون البلاغة لم تكن قد حددت في ذلك الوقت .. أنظر ص من هذا البحث .

يقول عبد القاهر : " ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء :—

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت ∴ فإنما هي إقبال وإدبار

وذلك أنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة وإنما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة ذلك عليها ، واتصالـه بهـا ، وأنه لم يكن لها حال غيرهما ، كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار وإذا كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعيرت للإقبال والإدبار لمعنى غير معناهما الذي وضعت له في اللغة ومعلوم أن ليس هاهنا استعارة مما أردته في شيء "(١) .

ثم يرد علي العلماء الذين يجعلون البيت من قبيل حذف المضاف ، مبينا أن هناك فرقا كبيرا بين المعني الذي تقصده الخنساء بالبيت ، وبين حذف المضاف ، إذ يقول : " واعلم أن ليس بالوجه أن يعمد هذا علي الإطلاق صد ما حذف منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، مثل قوله عز وجل : " واسأل القرية " ومثل قول النابغة الجعدي

وكيف تواصل من أصبحت ∴ خلالته كأبي مرحب

وقول الأعرابي :—(٢)

حسبت بتمام راحلتي عناقا ∴ وما هي ويب غيرك بالعناق

وإن كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ، ويقولون إنه في تقدير :— فإنما هي ذات إقبال وإدبار ، ذاك لأن المضاف المحذوف من نحو الآية والبيتين في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد في المعني ، كمثل أن يحذف غير المبتدأ إذا دل الدليل عليه ، إني سائر مما إذا حذف كان في حكم المنطوق به ، وليس الأمر كذلك في بيت الخنساء ، لأنا إذا جعلنا المعني فيه الآن كالمعني إذا نحن قلنا فإنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر علي أنفسنا وخرجنا إلي شيء مذمـوم وإلي كلام عامي مرذول " (٣) .

(١) الدلائل ص ٢٩٢ ٢) ذو الخرق الطهوى يخاطب ذئبا
(٣) الدلائل ص ٢٩٢

ويضيف عبد القاهر : " فالوجه أن يكون تقدير المضاف في هذا على معنى أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره ، ولم يقصد إلى الذي ذكرنا من المبالغة والاتساع وأن يجعل الناقة كأنها قد صارت بجملتها إقبالا وإدبارا حتى كأنها قد تجسمت منهما ، لكان حقه حينئذ أن يجاء فيه بلفظ الذات فيقال : " إنما هي ذات إقبال وإدبار " (١) .

وهنا نرى البصير قد يشتبه عليه كلام عبد القاهر فيزعم أن هذا يتناقض مع ما قرره في باب الحذف فقد قرر هناك أن الحذف يفيد معنًى بلاغيا وأن تقدير المحذوف يُضيع هذا المعنى البلاغي ، ولذلك طالبنا أن نبتعد عن تقدير المحذوف وأن ننساه ونجد في نسيانه ليتسنى للمعنى جماله الذي أفاده الحذف يقول في ذلك : " وترى الناقد كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف وكيف تأنس إلى إضماره ، وترى — الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به : " (٢) ويقول : " ترى نهبة الكلام — وهيئته ترمي منك أن تنسى هذا المبتدأ ، أو تباعده من وهمك ، وتجتهد ألا يدور في خلدك ولا يمر لك في الخاطر . " (٣) .

ثم نراه هنا يقول : " إن المحذوف في حكم المذكور به ، فهو محذوف من اللفظ ومراد في المعنى ، فكيف ذلك ؟ ...

ثم إننا إذا طرحنا المحذوف في بيت الخنساء ولم ننظر إليه ، واجتهدنا ألا يدور في ذهننا ، وتفادينا إظهاره ، كما يريد عبد القاهر هناك ، لما فسد معنى البيت ولما فقدت المبالغة التي أرادتها الخنساء .

والذي أدى إلى هذا الاشتباه هو أننا نرى بعض الآيات الكريمة قد حذف فيها

(١) الدلائل ص ٢٩٣ ٢) الدلائل ص ١٧٥ ٣) الدلائل ص ١٧٤

ـ المضاف وأفاد حذفه المبالغة في الحكم أو الوصف ، من ذلك قوله تعالى : " ـ
" واسأل القرية " فقد أفاد الحذف المبالغة في انتشار خبر السرقة وذيوعه بين أهل القرية ، حتى أن القرية نفسها من ميان وشوارع وطرقات ومزارع وغير ذلك أصبحت كأنها عالمة بالخبر ، ولو سئلت عنه لأجابت .

وقوله سبحانه : " ولكن البر من آمن بالله " ، أفاد حذف المضاف المبالغة في وصف هؤلاء المؤمنين المتقين بالبر ، وأنهم قد زكت أنفسهم وقوى إيمانهم وازدادت تقواهم ، ووصلوا إلى حد صاروا فيه كأنهم البر نفسه ، ولو قدرنا المحذوف في الآيتين لضاع هذا السمو البلاغي الذي أفاده الحذف .

وكذلك بيت الخنساء إذا جعلناه من قبيل حذف المضاف وابتعدنا عن تقدير المحذوف ، واجتهدنا في نسيانه ، وإضماره بالنفس ، لأفاد المبالغة المطلوبة ، هكذا يتصور الإشكال لهؤلاء الذين يقرءون كلام عبد القاهر قراءة عابرة خاطفة .

والجواب عن ذلك : أن مراد عبد القاهر بقوله : المحذوف في قوة المنطوق به ـ أن المحذوف كالمذكور في إفادة أصل المعنى الذي يبني عليه الكلام ، فالكلام قبل الحذف كان له معنى أنشيء عليه ابتداء ، ثم جاء الحذف ليفيد معنى بلاغيا اقتضاه المقام .

فعبد القاهر عندما يقول : ـ المحذوف من الكلام في حكم المنطوق به ، يريد بذلك : ـ
أن المحذوف كالمذكور في إفادة أصل المعنى وعندما يقول : إذا قدرنا المحذوف ـ واعتبرناه في الكلام أدى ذلك إلى ضياع المعنى وفساده .... يريد بهذا

— المعنى البلاغي الذي أفاده الحذف ، فلا تناقض إذاً بين القولين .

أما بيت الخنساء ، فليست المبالغة فيه كالمبالغة في الآيات الكريمة ، وذلك أنها أرادت — كما يقول عبد القاهر — أن تخبر عن الناقة بأنها تجسمت من الإقبال والإدبار ، أرادت أن تخبر عن الناقة بذلك ابتداءً ، وأن تنشئ الكلام على هذا من أول الأمر ، فليس للكلام أصل يرجع إليه حتى نعتبره من قبيل الحذف وإنما هو صيغ وأنشئ على هذا ابتداءً .

والمبالغة في الآيات الكريمة : " واسأل القرية " ولكن البر من اتقى " ، "ولكن البر من آمن " ، معنى بلاغي أفاده الحذف ، وذلك أن للآيات أصلا ترجع إليه نقوله : " واسأل القرية " أصلها : سل أهل القرية وقوله : " ولكن البر ... " — أصلها : ولكن ذا البر ... ، وهذا المعنى الأصلي أصبح غير مراد ، وإنما المراد هو المعنى البلاغي الذي أفاده الحذف ، وهذا المعنى البلاغي الذي — أصبح هو المراد يضيع إذا ما أردنا تقدير المحذوف واعتباره في الكلام ، فطريق المبالغة في الآيات إذاً ، ليس هو طريقها في بيت الخنساء .

يقول الرماني عند حديثه عن الاستعارة في الآية الكريمة : " لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم " : " وجعل البنيان ريبة وإنما هو ذو ريبة ، والاستعارة أبلغ ، كما تقول : هو جبن كله ، وذلك أبلغ من أن يجعله ممتزجا ، لأن قوة الذم للريبة ، فجاء على البلاغة لا على الحذف الذي إنما يراد به الإيجاز في العبارة فقط " (١) .

يعني الرماني بذلك أن الله عز وجل أراد أن يخبر عن اعتقادهم ابتداءً بأنه

(١) النكت ص ٩٢

— ربية ، وأن يصوغ المعنى على هذا من أول الأمر ، للمبالغة في وصفهم بها ، وأن حمل الآية على الحذف لا يفيد هذا المعنى من التصوير والتخييل ، وهذا أصل لما قاله عبد القاهر في حديثه عن بيت الخنساء ، كما هو واضح ...." (١) .

وبهذا نرى أنه لا إشكال ولا تناقض في كلام عبد القاهر ، وإنما التناقض والإشكال ، في القراءة العجلة العابرة التي لا تفيد شيئا ...

" المجاز بالحذف "

رأينا ابن رشيق — وهو معاصر لعبد القاهر — يشير إلى المجاز بالحذف حين ذكر أن قوله تعالى : " واسأل القرية .. " يدخل في باب المجاز .." (٢) — .

كما رأينا الشريف الرضي قبلهما ، يشير إلى ذلك أيضا حين أطلق على الآية الكريمة : " واسأل القرية ... " أنها استعارة من أشهر الاستعارات وهو يقصد بذلك : مجاز الحذف ، وإلا فأي استعارة في الآية الكريمة ؟ . " (٣) .

ثم نرى عبد القاهر هنا يوضح هذا المجاز ، فيذكر أن الكلمة كما توصف بالمجاز إذا نقلت من معناها الأصلي إلى معنى آخر ، فكذلك توصف بالمجاز إذا تغير حكمها الإعرابي بسبب حذف المضاف ، وذلك لأن الإعراب تابع للمعنى وفرع عنه — كما قرر علماء النحو — ، وإذا تغير الإعراب الذي هو فرع المعنى وتابع له ، فقد تغير المعنى الذي هو أصل ، وهي تغير المعنى ، وجب وصف الكلمة حينئذ بأنها مجاز .

(١) انظر مذكرات عن كتاب : النكت للرماني إعداد د / أبو موسى ص ٨١ .
(٢) انظر ص ٥٢ (٣) انظر ص ٤٢

يقول عبد القاهر في بيان ذلك : " اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجـــاز لنقلك لها عن معناها — كما مضى — فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها ، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو : " واسأل القرية " ، والأصل : واسأل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقريـــة في الأصل وعلى الحقيقة هو الجـر ، والنصب فيها مجـاز ... (١)

فاذا لم يتغير الحكم الإعرابي للكلمة بسبب الحذف ، فلا توصف عند ئذ بالمجاز يقول عبد القاهر : " فإن الحذف إذا تجرد عن تغيير حكم من أحكام ما بقي بعـــد الحذف لم يسم مجازا ، ألا ترى أنك تقول : زيد منطلق وعمرو ، فتحذف الخبـــر ، ثم لا توصف جملة الكلام من أجل ذلك بأنه مجاز ، وذلك أنه لم يؤد إلى تغيير حكم فيما بقي من الكلام ، ويزيده تقريرًا أن المجاز إذا كان معناه أن تجوز بالشيء موضعه وأصله ، فالحـذف بمجـرده لا يستحق الوصف به ، لأن ترك الذكر وإسقاط الكلمة من الكلام لا يكون نقـلا لها عن أصلها ، إنما يتصور النقل فيما دخل تحت النطق فإذا امتنع أن يوصف المحذوف بالمجاز بقي القول فيما لم يحذف ، وما لم يحـــذف ودخل تحت الذكر لا يزول عن أصله ومكانه حتى يتغير حكم من أحكامه أو يتغير عن معانيه ، فأما وهو على حالة والمحذوف مذكور فتوهم ذلك فيه من أبعد المحال (٢)

وبهذا بين لنا عبد القاهر أن الكلمة إذا تغير حكم إعرابها بسبب الحذف وصفت بالمجـاز ، وإذا لم يتغير حكمها الإعرابي ، فليست مجازًا ، فلم يطلـــق القول بالمجـاز على كل ما فيه حـذف أو زيادة .

---

(١) أسرار البلاغة جـ ٢ ص ٢٨٦

(٢) أسرار البلاغة جـ ٢ ص ٢٨٦

يقول الخطيب : " وقد بالغ الشيخ عبد القاهر في النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة " (١) .

وقد فهم البعض من قول الخطيب هذا ، أنه يرى أن عبد القاهر قد أنكر المجاز بالحذف والزيادة " (٢) ، وهذا ما لا تفيده عبارة الخطيب فعبارته صريحة بأن عبد القاهر أنكر إطلاق القول بمجاز الحذف أو الزيادة وهذا ما قال به عبد القاهر كما هو واضح .

ومن المعلوم أن المجاز في اصطلاح البلاغيين يطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ، لعلاقة بين المعنى الأصلي لها والمعنى المستعملة فيه ، وقرينة ما تمنع من إرادة المعنى الأصلي ...

فهل إطلاق المجاز على الكلمة التي تغير حكمها الإعرابي بالمعنى الاصطلاحي للمجاز ، أم بمعنى آخر غير المعنى الاصطلاحي ؟

كان هذا موضع بحث ونقاش بين العلماء بعد عبد القاهر .. كما سنرى في الفصل التالي ... (٣) .

---

(١) بقية الايضاح جـ ٣ ص ١٧٠

(٢) انظر الإفصاح على الإيضاح د / الحجار ص ٢٠٨

(٣) انظر ص ١١٧

الفصل الثالث

دراسة الحذف بعد عبد القاهر

وقد اختلفت دراسة الحذف ، ودراسة البلاغة بصفة عامة ، بعد الامام عبد القاهر ، وسارت في اتجاهات متعددة .

نرى تأثر الزمخشري بعبد القاهر في دراسته لظاهرة الحذف في أساليب القرآن الكريم ، إذ نراه في كتابه : الكشاف ، يهتم بالكشف عن أسرار هذه الظاهرة وإبراز قيمتها البلاغية في آيات القرآن الكريم ....

ونرى السكاكي وأتباعه الذين اهتموا اهتماما كبيراً بتقرير القواعد ، ووضع الضوابط التي تضبط فنون البلاغة ومسائلها ...

ثم نرى ابن الأثير والعلوي ، ولكل منهما اتجاهه الذي يختلف عن اتجاه السكاكي ومدرسته ....

وسأتناول فيما يلي دراسة الحذف عند هؤلاء لنرى ما وصلت إليه دراستهم لهذه الظاهرة الأسلوبية ...

أولا : عند الزمخشري :-

كان الزمخشري في دراسته لظاهرة الحذف في أساليب القرآن الكريم متأثراً إلى حد كبير بدراسة عبد القاهر - فقد وجد في دراسته لهذه الظاهرة ، والكشف عن أسرارها خير منهج يسير عليه في دراسة الأساليب القرآنية ، والكشف عن قيمة الحذف فيها .

يقول أحد الدارسين : " وكان ضروريا أن يخلف عبد القاهر من يقوم بهذا العمل الجليل ، وما زالت الأجيال بعده تنتظر من ينهض به ، حتى قُيِّض له أحد أئمة المعتزلة ، وهو الزمخشري الذي برع في الشعر والنثر ، وأوتي من الفطنة ودقة الحس ، وروعة الشعور ما أعده خير إعداد لتلك المهمة ، وكأنما تجمعت في شخصه جميع أماني المعتزلة والأشعرية في تصوير بلاغة القرآن المعجزة ، وسرعان ما صمم أن يجعل ذلك وكده الأول من عمله فأقبل على الدراسات البلاغية ينهب منها وينهل ، ولم يلبث أن وجد خير مورد له ، كتابات عبد القاهر في دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، فدرسها حتى تمثلها تمثلا منقطع النظير ، وهو تمثل جعله يؤمن بأن المعرفة بالبلاغة وأنماطها وأساليبها ، لا تكشف فقط عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن ، بل تكشف أيضا عن خفايا معانيه وخبيئاتها ونفائسها المكنونة . " (١) .

وبهذه الروح كانت دراسة الزمخشري لأساليب الحذف في القرآن الكريم ، وكان تأثره بدراسة عبد القاهر واضحاً ، فنراه يقول في حديثه عن الآية الكريمة : " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (٢) :—

" للتي هي أقوم : للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدُّها أو للملة أو للطريقة ، وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف ، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه . " (٣) .

فهو يشير إلى حذف الموصوف في الآية الكريمة ، وما أفاده هذا الحذف من تفخيم وتهويل ، مبينا أن تقدير المحذوف ، يفقد عذوبة الحذف ، ويضيع جماله الذي أضفاه على المعنى من الفخامة والتفخيم .

---

(١) للبلاغة تطور وتاريخ د / شوقي ضيف ص ١١٠

(٢) الإسراء ٩

(٣) الكشاف جـ ٢ ص ٥٠٨

وقد رأينا عبد القاهر قبل ذلك يفيض فى بيان قيمة الحذف وبلاغته ، وكيف أن تقدير المحذوف يذهب بقيمة الحذف ويُفقِدُ المعنى البلاغى الذى جاء من أجله واضح هنا مدى تأثر الزمخشرى به فى ذلك .

ويشير الزمخشرىُّ إلى حذف جواب الشرط مبينا سره البلاغىَّ فيما يعرض له من آيات الذكر الحكيم ، فيقول فى حديثه عن الآية الكريمة :—

" فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم " (١) :— " فإن قلت : أين جواب لما ؟ ، : قلت : فيه وجهان أحدهما أن جوابه : " ذهب الله بنورهم " . والثانى : أنه محذوف كما حذف فى قوله : " فلما ذهبوا به " (٢) ، وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه ، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ فى أداء المعنى ، كأنه قيل : فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين فى ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء ، خائبين بعد الكدح فى إحياء النار ، فإن قلت : — فإذا تقدر الجواب محذوفا فهم يتعلق : " ذهب الله بنورهم؟ قلت : يكون كلاما مستأنفا . " (٣) .

فهو يرى أن حذف الجواب فى الآية أبلغُ فى أداء المعنى من ذكره لأنه يفتح الطريق أمام العقل للتصور والتخيل ، فيتصور ما يستطيع تصوره فى إدراك الجواب المحذوف ، وفى الوقوف على الحالة التى صار عليها القوم ، ولو ذكر الجواب لصار العقل مقيدا به .

---

(١) البقرة ١٧ (٢) يوسف ١٥

(٣) الكشاف جـ ١ ص ٥٥

وواضح هنا مدى تأثر الزمخشري بعبد القاهر في بيان القيمة الفنية للحذف ، فهو يذكر أن الحذف قد أعرب عن الصفة والحال التي صار عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى ، وقد رأينا عبد القاهر قبل ذلك يحدثنا عن قيمة الحذف بأننا نرى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، والامتناع عن أن يبرز اللفظ من الضمير أحسن للتصوير " (١) ويقول في حديثه عن الآية الكريمة : " ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب " (٢) .

" أي : لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم ، ويعلمون شدة عقابه — للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم ، فحذف الجواب كما في قوله : " ولو ترى إذ وقفوا على النار " (٣) ، وقولهم : " لو رأيت فلانا والسياط تأخذه " (٤) .

وواضح هنا مدى تأثره بالرماني في بيان السر البلاغي لحذف الجواب وإبراز قيمته الفنية ، وكيف أفاد المبالغة والتهويل من شأنه ، حيث إن النفس تذهب كل مذهب في تصور أنواعه وتخيل صنوفه . . . (٥) .

ويشير الزمخشري إلى أن تقدير المحذوف في آيات القرآن الكريم قد يحتمل احتمالات متعددة ، وهذا يؤدي إلى غزارة المعنى وتكثيره ، حيث إن كل احتمال

---

(١) انظر ص ٥٧ (٢) سورة البقرة ١٦٥ (٣) الأنعام ٢٧
(٤) الكشاف جـ ١ ص ١٥٩
(٥) انظر ص ٣٧

— منها يفيد معنى غير الذى يفيده الآخر ، والنص الكريم يتسع لكل هذه المعانى وهذا سر من أسرار الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم ، حيث نجد الآية منه تحتمل وجوهًا متعددة من المعانى ، وكل يأخذ منه بقدر ما يفتح الله عليه ويوفقه لفهمه وإدراكه ...

يقول الزمخشرى مبينا ذلك فى حديثه عن الآية الكريمة : " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ...." (١) :—

" لابد من مضاف محذوف تقديره : ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق أو مثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان فأنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ، ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ولا تفهم شيئا ولا تعى كما يفهم العقلاء ويعون ... وقيل معناه : ومثلهم فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم شيئا ، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفهمون أنهم على حق أم باطل ؟ ،

وقيل معناه : ومثلهم فى دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع ، إلا أن قوله : " إلا دعاء ونداء " ، لا يساعد عليه ، لأن الأصنام لا تسمع شيئا " (٢) .

ويشير الزمخشرى إلى حذف الفصول فى مواطن عديدة من كتابه مبرزًا السر البلاغى لحذفه فى كل موطن من هذه المواطن ، فيقول فى حديثه عن الآية الكريمة :—

" لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء ، " (٣) :— " وورود الفصل غير معدى إلى المبين ، إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ، ولا

(١) البقرة ١٧١ (٢) الكشاف جـ ١ ص ١٦٠ (٣) الحج ٥

— يحيط به الوصف . " (١) .

ويقول في حديثه عن الآية الكريمة : " قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى " (٢) : " أو أن يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك مالا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه ، وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب : وتحاش عن التفوه بالعظيمة . " (٣) .

فحذف المفعول في الآية الكريمة يدل على تعظيم الله تعالى وتقديسه ، وحرص سيدنا موسى وهارون عليهما السلام على تنزيهه سبحانه عما لا يليق به ، وعلى مراعاة حسن الأدب والتحلي بالصفات الحميدة عند مخاطبته عز وجل ، وذلك بحبس اللسان ومنعه من أن ينطلق ويتفوه بما لا يليق بالذات الإلهية ، ويشير الزمخشري بقوله :— " وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز " إلى القرينة الدالة على المحذوف فلابد أن تكون هناك قرينة تدل على المحذوف وترمز إليه ، وهي في الآية الكريمة قوله " علينا " إذ التقدير : — أن يفرط علينا أو أن يطغى عليك ، فحذف متصل الفعل الثاني وبقي متصل الفعل الأول رمزاً ودليلاً على المحذوف .

ويقوله في حديثه عن الآية الكريمة : " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله " (٤) : " وفي قوله تعالى : " لا تقدموا " من غير ذكر مفعول وجهان : — أحدهما : أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يتقدم ، والثاني : ألا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل :—

(١) الكشاف جـ ٣ ص ١١٤ (٢) طه ٤٥ (٣) الكشاف جـ ٣ ص ٥٢
(٤) الحجرات ١ .

- لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ، ولا تجعلوه منكم بسبيل ، كقوله تعالى :-
" هو الذي يحي ويميت . " (١) ، (٢) .

فعلى الوجه الأول يفيد الحذف في الآية الكريمة : الشمول والإحاطة بكل ما يقع في النفس ، ومما يمكن أن تتناوله التقدمة مما يقدم .

ثم يشير الزمخشري إلى حذف مفعول المشيئة أو الإرادة الواقعتين بعد أداة من أدوات الشرط فيذكر أن حذف المفعول يكثر حذفه ، ولا يكاد يذكر إلا إذا كان غريبا عجيبا ، وسبب ذلك أن للإيضاح بعد الإبهام والبيان بعد الإبطال موقعاً وأثراً في النفوس .

يقول الزمخشري مبينا ذلك في حديثه عن الآية الكريمة : " ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم " (٣) ، :- " ومفعول شاء محذوف ، لأن الجواب يدل عليه ، والمعنى : " ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ، ولقد تكاثر حذف الشيء إذا شاء وأراد ، ولا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله :-

.. فلو شئت أن أبكي دما لبكيته .. " (٤) .

وقوله تعالى : " لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا " (٥) ، " لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى " (٦) ، (٧) .

---

(١) غافر ٦٨ ٢) الكشاف جـ ٤ ص ٢٧٢ ٣) البقرة ٢٠
(٤) تكملة البيت : على ولكن ساحة الصبر أوسع ٥) الأنبياء ١٧ .
(٦) الزمر ٤ ٧) الكشاف جـ ١ ص ٦٦

ولا يخفى علينا مدى تأثر الزمخشري بعبد القاهر هنا ، إذ رأينا عبد القاهر قبل ذلك يفيض في الحديث عن حذف المفعول مبينا أسراره كاشفا عن دقائقه " (١) .

ويشير الزمخشري إلى حذف الجملة في أساليب القرآن الكريم مبينا السر البلاغي الكامن وراء حذفها فيقول في حديثه عن الآية الكريمة : " أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا " (٢) :— " فإن قلت : فهلا قيل : فضرب فانبجست ؟ قلت : لعدم الإلباس ، وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر ، وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به " (٣) .

ويقول في حديثه عن الآية الكريمة : " فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا — بآياتنا فدمرناهم تدميرا " (٤) . :— " والمعنى : فذهبا إليهم فكذبوهما ، فدمرناهم ، كقوله :— " أن اضرب بعصاك البحر فانفلق " (٥) ، أي : فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها ، لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني إلزام الحجة بمعجزة الرسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم . " (٦) .

ويتحدث الزمخشري عن قرائن الحذف ، فينبه إلى ضرورة أن يكون المحذوف من جنس المذكور الدال عليه فلا يجوز عنده بحال من الأحوال أن يخالف المحذوف المذكور ، ولو أداه ذلك إلى أن يتكلف في العبارة مجازاً حتى يكون المحذوف من جنس المذكور .

يقول في حديثه عن الآية الكريمة : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، فسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا "

(١) انظر ص ٦٣ ٢) الأعراف ١٦٠ ٣) الكشاف جـ٢ ص ١٣٢ ٤) الفرقان ٣٦
(٥) الشعراء ٦٣ ٦) الكشاف جـ٣ ص ٢٢٠ ٧) الاسراء ١٦

— أن : أمرناهم بالفسق ففعلوا ، والأمر مجاز ، لأن حقيقة أمرهم أن يقول لهم : افسقوا ، وهذا لا يكون فيقى أن يكون مجازا ، ووجه المجاز : أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات ، فكأنهم أمروا بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه ، وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر ، كما عللتهم أبناء أنبياء ، وقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم "(١)

فهو يرى أن المحذوف في الآية تقديره : أمرناهم بالفسق ، لدلالة المذكور وهو قوله : " ففسقوا فيها " عليه ، ولما رأى أن هذا التقدير لا يتمشى مع مبادئه — واتجاهات المعتزلة ، لأنهم يرون أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر ولا يريد إلا الطاعة والخير ، تكلف في الآية مجازاً ، فجعل الأمر بالفسق مجازاً لإيلاء النعمة وصبها عليهم ، وذلك لتسبب إيلاء النعمة في الفسق ، وهذا تكلف لا يجوز في الآية ولا ينبغي القول به ، لان إيلاء النعمة قد تسبب في الفسق والعصيان ، فالفسق والعصيان يجعلان مجازاً مرسلا لإيلاء النعمة وصبها على القوم ، كأن يقال : فسق القوم وعصوا بهم ، — ويراد بهذا : إيلاء النعمة وصبها عليهم ، أما الزمخشري فهو يريد أن يجعل الأمر بالفسق والعصيان مجازاً لإيلاء النعمة وصبها على القوم ، وكيف ذلك ؟ ... إنه تكلف لا يمكن تصوره .

ثم نراه مصرا على ذلك ويلح على ضرورة أن يكون المحذوف من جنس المذكور فيقول : " فإن قلت : هلا زعمت أن معناه : أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ قلت

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٥١٠

— لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز ، فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه ، ولو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ، ولو ذهبت تقدر غيره ، لقد رمت من مخاطبك علم الغيب ، ولا يلزم على هذا قولهم : أمرته فضربني ، أو فلم يمتثل أمري ، لأن ذلك منافٍ للأمر مناقضة له ، ولا يكون ما يناقض مأموراً به ، فكان محالاً أن — يقصد أصلاً حتى يجعل دالا على المأمور به ، فكان المأمور به عند الكلام غير مدلول عليه ولا منوي ، لأن من يتكلم بهذا الكلام ، فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به ، وكأنه يقول : كان مني أمر فلم تكن منه طاعة ، كما أن من يقول : فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول فإن قلت : هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء ، وإنما يأمر بالقصد والخير دليلاً على أن المراد : أمرناهم بالخير ففسقوا ؟ ، قلت : لا يصح ذلك لأن قوله : ففسقوا بدافعه ، فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعي إضمار خلافه ، فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه . (١) .

فهو يأبى أن يكون المحذوف شيئا آخر مقابلاً أو مخالفاً للمذكور الدال عليه ، بل لابد أن يكون من جنسه ، ويجيب عما عسى أن يوجه إليه من اعتراضات : فحال من أسند إليه الفعل لا ينظر إليها مادام النظر إليها يؤدي إلى تقدير محذوف يخالف المذكور ، والآية الكريمة ليست كقولنا : أمرته فضربني أو أمرته فلم يمتثل أمري ، لأن المفعول في المثال غير منوي ولا مراد إليه ، فالمراد :— كان مني أمر فلم تكن منه طاعة ، وهكذا يصر الزمخشري على ضرورة أن يكون المحذوف من جنس المذكور ، مدافعا عنه بكافة الوسائل متلمسا المجاز في الآية ، كما بينت .

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٥١٠ .

وقد رأينا للقاضي عبد الجبار في تقدير المحذوف في الآية رأيا آخر ، وذلك أنه لا يشترط أن يكون المحذوف من جنس المذكور ، بل قد يدل الشيء على ضده أو على ما يخالفه ، فالذي ينبغي مراعاته في دليل الحذف هو أن يدل على المحذوف دون لبس ولا غموض ، أما كونه من جنسه أو من غير جنسه ، فلا اعتبار لذلك ... (١) .

(وسأتناول ذلك بالتفصيل في الباب الثاني عند الحديث عن قرائن الحذف" (٢)

ثم يشير الزمخشري [illegible] إلى أن لكل من الإيجاز والإطناب مقامه الذي يحسن فيه ويعظم ، والذي ينبغي على البليغ أن يراعيه ، فلا يوجز في موضع الإطناب ولا يطنب في موطن الإيجاز فيقول في ذلك : "وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في مواردِ التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع ، أنشد الجاحظ :

يوحون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء (٣) .

فهو يشير هنا إلى أن النظرة إلى الإيجاز أو الإطناب يجب ألا تكون نظرةً جزئية ، بل ينبغي أن تكون نظرة كلية تتناول الموضوع كاملاً ، فالنظرة الجزئية إلى جملة أو عدة جمل ، لا تفيد في دراسة الإيجاز ولا الإطناب ، بل الذي يفيد هو النظرة الكلية الشاملة لجميع الموضع التي توصلنا إلى معرفة نوع الكلام ، وهل جاء مسايراً لما اقتضاه المقام من إيجاز أو إجمال أو من إشباع وتفصيل أم خالف ما اقتضاه المقام .

وهذه نظرة دقيقة من جار الله الزمخشري رحمه الله .

وعلى هذا النحو كانت دراسة الزمخشري لظاهرة الحذف وأساليب القرآن الكريم

---

(١) انظر ص ٤٦ (٢) انظر ص ١٨ ؟

(٣) الكشاف جـ ١ ص ٥٩

وقد رأيناه يهتم اهتماما كبيرا ببيان دقائقها والكشف عن أسرارها وغوامضها ..

ثانيا : عند السكاكي وأتباعه :-

نرى السكاكي في كتابه : مفتاح العلوم ، يهتم اهتماما كبيرا بإرساء القواعد ووضع القوانين والضوابط التي تضبط فنون البلاغة وتحدد مسائلها ، وهذا جهد محمود له ، ولم نر من علماء البلاغة من سبقه إلى وضع هذه الضوابط وتقرير تلك القواعد ولكن يؤخذ عليه أنه لم يشفع هذه الضوابط بتحليل الشواهد والنصوص التي توضحها .

فالقواعد وحدها لا تكفي في دراسة فنون البلاغة وفهم مسائلها ، وذلك لأن البلاغة قائمة على التذوق ، وإدراك أسباب الجمال ، وهذا لا يكون إلا بعرض الشواهد وتحليلها ، والوقوف على ما فيها من دقائق وأسرار ، وإنما تفيد القواعد وحدها في علم كعلم النحو أو الصرف ، أما في علوم البلاغة فلا بد أن تشفع هذه القواعد وتلك الضوابط بعرض النصوص وتحليل الشواهد .

والزمخشري والسكاكي قد اهتم بالجانب الأول فاستطاع أن يستنتج من كلام عبد القاهر والسكاكي وغيرهما من المتقدمين ، القواعد والضوابط التي تضبط فنون البلاغة وتحدد مسائلها .... ، ولكنه أهمل الجانب الآخر الذي يعنى بتحليل الشواهد وتذوقها والوقوف على دقائقها وأسرارها .... (1) .

---

(1) انظر البلاغة القرآنية د / محمد أبو موسى ص ٥٠٦

ونرى كثيرا من الدارسين المحدثين يتهمون السكاكي بأنه أفسد البلاغة بوضعه هذه الضوابط ، مدعين أنها حولت البلاغة إلي قوانين وقواعد جافة أشدّ ما يكون الجفاف .... (١) .

ولكن الحقيقة أن هذه القواعد ، قد هذبت فنون البلاغة وحددت مسائلها ، وكل ما يمكن أن يوجه إلي السكاكي من نقد ، هو أنه لم يشفع هذه القواعد بالنصوص والشواهد ففي ذلك تجلية لأسرار الأدب ، وتربية للأذواق والملكات .

وسنرى فيما يلي ، كيفية دراسة الحذف عند السكاكي إذ لم تأخذ دراسة السكاكي لظاهرة الحذف طابع الاستقلال ، وإنما جاءت موزعة في كتابه طبقا لمنهجه القائم علي التقسيم والتبويب ، فنراه عند حديثه عن أحوال المسند إليه يعرض للحال التي تقتضي حذفه ، وكذلك عند عرضه لأحوال المسند أو متعلقات الفعل يعرض للحال التي تقتضي الحذف في كل ، ثم يعرض مرة أخرى لدراسة هذه الظاهرة ، عند حديثه عن الإيجاز والإطناب .....

يقول السكاكي عند حديثه عن المسند إليه : " أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه ، فهي إذا كان المقام مستدعيًا له ، مع قرينة دالة عليه عند ذكر المسند ، والترك راجع إما لضيق المقام ، وإما للاحتراز عن العبث بناء علي الظاهر ، وإما لتخييل أن في تركه تسويلاً علي شهادة العقل ، وفي ذكره تسويلاً علي شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكم بين الشهادتين ، وإما لإبهام أن في تركه تطهيرًا للسان عنه ، أو تطهيرا له عن لسانك ، وإما للقصد إلي عدم التصريح ليكون لك سبيل إلي الإنكار إن مست إليه حاجة ، وإما لأن الخبر لا يطلع إلا له حقيقة ، كقولك : خالق لما يشاء ، فاعل

(١) أضواء البلاغة تطور وتاريخ د / شوقي ضيف ص ٢٨٨

— لما يريد ، أو ادعاء ، واما لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره ، كقولهم : نعم الرجل زيد ، على قول من يرى أصل الكلام : نعم الرجل هو زيد ، — واما لأغراض سوى ما ذكر مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات — " (١)

فهو هنا يضع لنا ضابطًا لجمله من الأسرار البلاغية التي تقتضي حذف المسند إليه ذاكرا في نهايتها أن حذف المسند إليه ليس مقصورا في هذه الأسرار .

وكأنه بهذا يستحث الدارسين إلى ضرورة الاهتمام بمواصلة البحث للكشف عن هذه الأسرار التي تقتضي حذف المسند إليه .

ورغم اهتمام السكاكي بالضوابط ، نراه ينزع أحيانا منزع عبد القاهر ، إذ يعرض بعض الأبيات التي ورد بها حذف المسند إليه ، ثم يشير إلى أن الحذف فيها لا يرجع لما ذكر من أسباب ، وانما يرجع لاعتبار آخر يدركه العقل السليم والطبع المستقيم ، وهو في هذا متأثر بعبد القاهر الذي رأيناه يحيل كثيرًا إلى النفس والذوق لإدراك جمال الحذف وسر بلاغته .

ومن هذه الأبيات التي ذكرها السكاكي قول الشاعر :—

قال لي كيف أنت قلت : عليل ∴ سهر دائم وحزن طويل

وقول الآخر :—

هو يسر على الدنيا مضيع لدينه ∴ وليس لما في بيته بمضيع

وقوله :—

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ∴ ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت (٢)

---

(١) مفتاح العلوم ص ٨٤ ٢) انظر المفتاح ص ٨٤

وعند حديثه عن أحوال متعلقات الفعل يشير إلي القرائن الدالة علي حذف الفعل ويحاول كعادته أن يضع الضوابط التي تضبط هذه القرائن فيقول : " وتلك القرائن كثيرة ، وأنا أضبط لك منها ههنا ما تستعين به علي درك ما عسي يشذ عن الضبط ، فأقول والله الموفق للصواب :ـ

منها أن يكون مفسّراً ، كنحو : إن ذو لوثة لأنا ، ولو ذات سوار لطمتني ، وهذا أبوك خير ، " إذا السماء انشقت " ..... ،

ومنها أن يكون هناك حرف إضافة ... كما إذا قلت عند الشروع في القراءة .. بسم الله ، فإنه يفيد أن المراد : بسم الله أقرأ ....

ومنها أن يكون الكلام جواباً لسؤال واقع ، نحو قوله تعالي : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله " ... ، أو جواباً لسؤال مقدر مثل أن يقول يكتب القرآن لي ، زيد ، وعليه بيت الكتاب :

∴ لبيك يزيد ضارع لخصومة ∴ " (١) .

ويستمر السكاكي في ضبط هذه القرائن التي تدل علي حذف الفعل ... وعند حديثه عن الإيجاز والإطناب يشير إلي هذه المواضع المتفرقة التي تعرض فيها لحذف المسند إليه ، والمسند والفضل ومتعلقاته ... ، ثم يعرف كلاً من الإيجاز والإطناب بانياً تعريفه لكل منهما علي كلام الأوساط وذلك لأن الإيجاز والإطناب أمران نسبيان لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء علي شيء عرفي .... (٢)

---

(١) المفتاح ر ١٠٨ ٢) انظر المفتاح ص ١٦٣

وسنرى العلماء فيما بعد يتعرضون له بالنقد ، ويعيبون عليه بناء الإيجاز — والإطناب على كلام الأوساط ، لأن كلامهم لا يعتبر في فصاحة الكلام وبلاغته .. (١)

وبعد ذلك يشير إلى صور الحذف المختلفة ، فيقول عن حذف الجمل : " وانظر إلى الفاء التي تسمى فاء فصيحة ، في قوله تعالى : " فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم " (٢) ، كيف أفادت : فامتثلتم فتاب عليكم وفي قوله : " فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت " (٣) : فضرب فانفجرت ، وتأمل قوله : " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتي " (٤) ، أليس يفيد فضربوه فحيي فقلنا : كذلك يحيي الله الموتي ؟ " (٥) .

وعلى هذا النحو كانت دراسة السكاكي لظاهرة الحذف ، وقد رأيناه مهتما بوضع القواعد وضبط المسائل ، وقد بلغ الغاية في هذا الشأن .

ولكنه لم يشفع هذه الضوابط بعرض الشواهد وتحليلها ففي ذلك تربية للأذواق بتجلية أسرار النصوص والكشف عن دقائقها كما ذكرت ، وإن كنا نراه ينزع أحيانا منزع — عبد القاهر الأدبي المتذوق ، فيعرض بعض الشواهد ، ثم يحيل إلى الذوق والتأمل لإدراك أسباب الجمال فيها ، والوقوف على قيمة الحذف ، وأسرار بلاغته .

فماذا بعد السكاكي ؟ :—

نرى الخطيب القزويني يضع كتاباً على مفتاح العلوم للسكاكي ، ويسميه : تلخيص المفتاح ، وكان حذفه تهذيب مسائل المفتاح ، ولذلك نراه يقدم بعض المسائل ويؤخر

---

(١) انظر ص ١١٥ (٢) البقرة ٥٤ (٣) البقرة ٦٠
(٤) البقرة ٧٢ (٥) مفتاح العلوم ص ١٦٤ .

- بعضها ويزيد عليه ما تجب زيادته ، وقد أسرف الخطيب في الإيجاز مما جعل العلماء يُفتنون بكتابه هذا ، فقامت عليه الشروح المختلفة والحواشي والتقارير .

وكانت دراسة الحذف في هذه الشروح والحواشي ، هي أن أي ظاهرة أسلوبية أخرى ، عبارة عن مجموعة القواعد والضوابط التي وضعها السكاكي ، يرددها العلماء في شروحهم وتقاريرهم ، فالمسند إليه يحذف لقصد أغراض هي كذا ... وكذا ..... والمسند كالمسند إليه يحذف لضيق المقام أو الاحتراز من العبث أو ... أو ...

والسكاكي لم يضع هذه القواعد كي يرددها العلماء في حواشيهم وشروحهم ، وإنما كان هدفه وغايته : ضبط وتحديد فنون البلاغة ومسائلها . وقد بلغ الغاية في هذا الشأن ، وكان الواجب على من أتي بعده من العلماء ، وقد وقفوا على هذه الضوابط ، أن يتذوقوها من خلال عرض النصوص وتحليل الشواهد ، وهذا ما لم نره ، اللهم إلا إشارات قليله ، وهي إما مقتبسه من كلام عبد القاهر ، أو من كلام الزمخشري في الكشاف ....

من ذلك مثلاً قول السعد : " وقد يكون حذف الشيء إشعاراً بأنه بلغ من الفخامة مبلغاً لا يمكن ذكره ، قال الله تعالى : " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (١) ، أي : الملة التي أو الحالة أو الطريقة " ففي الحذف فخامة لا توجد في الذكر " (٢) .

وواضح هنا مدى تأثره بالزمخشري في بيان سر الحذف في الآية الكريمة .....(٣)

(١) الإسراء ٩ ٢) المطول ص ٦٦ ٣) انظر ص ٩١

ثم نرى الخطيب يضع كتابا آخر لتوضيح التلخيص، سماه : الإيضاح لتلخيص المفتاح وكأنه شعر كغيره من العلماء الذين شرحوا تلخيصه بأن أسلوب التلخيص المشرِّف في الإيجاز في حاجة إلي بيان وتوضيح ، فوضع هذا الكتاب كالشرح له ، وقد ضمنه كثيرا من آراء عبد القاهر والزمخشري ، فصار أقرب إلي الروح الأدبية من كتاب المفتاح (١)

ولهذا نرى الخطيب في دراسته لظاهرة الحذف في كتاب : الإيضاح ، متأثراً إلي حد كبير بدراسة عبد القاهر ، فنراه يتحدث عن حذف المفعول بقوله : " ثم حذفه من الفعل : إما للبيان بعد الإبهام كما في فصل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، كقولك : لو شئتُ جئتُ أو لم أجيء أي : لو شئتُ المجيءَ أو عدمَ المجيء ، فإنك متي قلت : لو شئتُ علم السامع أنك علقت المشيئة بشيء ، فيقع في نفسه أن هنا شيئا تعلقت به مشيئتك بأن يكون أو ألاّ يكون ، فإذا قلت : جئتُ أو لم أجيء عُرِف ذلك الشيء ومثله قوله تعالي : " ولو شاء لهداكم أجمعين " (٢) .

وقوله تعالي : " فإن يشأ الله يختم علي قلبك " (٣) . وقوله تعالي : " من يشأ الله يضلله " (٤) ، وقول طرفة :ـ

فإن شئتُ لم تُرقِل وإن شئتُ أرقلت ... مخافةَ ملوي من القد محصَدِ

وقول البحتري :ـ

لو شئتَ عدت بارد تجد عودة ... فصلت بين عقيقة وزرود

وقوله :ـ

لو شئتَ لم تفسد سماحة حاتم ... كرما ، ولم تهدم مآثر خالد

فإن كان في تعلق الفعل به غرابة ذكرتَ المفعول لتقرره في نفس السامع وتؤنسه به (٥)

---

١) انظر البلاغة القرآنية د/أبو موسي ص ١٩ ٢) النحل ٩ ٣) الشورى ٢٤
٤) الأنعام ٣٦ ٥) بغية الإيضاح جـ١ ص ٢١٦

ويقول في موضع آخر : " .. وإما لدفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول البحتري :ـ

وكم ذدت عني من تحامل حادث .. وسورة أيام حززن إلي العظم

إذ لو قال : حززن اللحم ، لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكره ما بعده أن الحز كان في بعض اللحم ، ولم ينته إلي العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع من هذا الوهم ، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضي في اللحم حتي لم يرده إلا العظم " (١) .

وواضح هنا مدى تأثره بعبد القاهر حتي في الشواهد التي يعرضها فهي نفس الشواهد التي استشهد بها عبد القاهر ـ كما رأينا ..... (٢) ..

وبهذا نري أن الخطيب في دراسته لظاهرة الحذف في كتابه الإيضاح :ـ

ـ كان أقرب إلي الطريقة الأدبية ، التي تعني بتحليل الشواهد وتذوقها ....

---

(١) بغية الإيضاح جـ ١ ص ١١١
(٢) انظر ص ٧٣

ثالثا : عند ابن الأثـــير :—

وكانت دراسة ابن الاثير للحذف تختلف عن دراسة السكاكي وأتباعه فقد سلك في دراسته لهذه الظاهرة وغيرها من مسائل البلاغة ، طريقة أدبية ذوقية تعني بتحليل الشواهد وتذوقها ، ولم يهتم في دراسته بتحرير القواعد ووضع الضوابط ، فهذه مسألة قد بلغ السكاكي فيها الغاية ، فحرر القواعد والضوابط ، التي تجد فنون البلاغة ومسائلها ، ولم يتابعه ابن الأثير في ذلك ، وإنما سلك في دراسته طريقا آخر كان أقرب إلى منهج عبد القاهر والزمخشري ..

بدأ ابن الأثير حديثه عن الحذف بالإشارة إلى قيمته الفنية إذ يقول :—

" أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ، وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر . " (١)

واضح هنا مدى تأثره بعبد القاهر ، حتى أنه يذكر نص عبارته في بيان القيمة البلاغية للحذف .. (٢)

ثم يشير ابن الأثير إلى ضرورة قيام القرينة الدالة على المحذوف ، بينما أن تقدير المحذوف يذهب بالمعنى البلاغي الذي يفيده الحذف ، فيقول :—

" والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف ، فإنه لنوع من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ، ومن شروط المحذوف في حكم البلاغة ، أنه متى أظهر ، صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن " (٣) .

وقد رأينا عبد القاهر قبل ذلك يفصل القول في بيان جمال الحذف وإبراز قيمته

---

١) المثل السائر جـ ١ ص ٨١ ٢) انظر ص ٧٥

٣) المثل جـ ٢ ص ٨١ .

الفنية ، مبينا أن تقدير المحذوف ، والنظر إلي أصل الكلام قبل الحذف يذهب بجمال الحذف ، ويُضيع المعنى البلاغي الذي أفادة الحذف (١) .

ولا يخفي علينا مدى تأثر بن الأثير به في ذلك .

وبعد ذلك يشير ابن الأثير إلي صور الحذف المختلفة ، فيذكر أن حذف المفردات أربعة عشر ضربا ، وأن حذف الجمل أربعة أضرب ، ويبدأ ببيان حذف الجمل ، مكثرا في بيانها من الشواهد القرآنية ، ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما ورد عن العرب شعرا ونثرا ..

فالضرب الأول من أضرب حذف الجمل التي يذكرها ابن الأثير : حذف السؤال ، ويسمي بالاستئناف البياني ، ومن ذلك قوله تعالي :—

" ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه . هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك علي هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " (٢) ، والاستئناف واقع في هذا الكلام علي قوله سبحانه : " أولئك علي هدى " لأنه لما قال : " ألم ذلك " إلي قوله : " وبالآخرة هم يوقنون " اتجه لسائل أن يسأل : ما بال هؤلاء هل اختصوا بالهدى والفلاح ؟ ، فأجيب : " أولئك علي هدى .. " (٣) ونلاحظ أن هذا الضرب من الحذف يذكره البلاغيون عند حديثهم عن الفصل والوصل ويسمونه : شبه كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال أثارته الجملة الأولي .

ولكن : ما السر البلاغي لحذف هذا السؤال الذي أثارته الجملة الأولي ؟

السر البلاغي لهذا الحذف هو إثارة السامع وتحريكه وإيقاظ مشاعره وحواسه ، لكي يشارك في صنع الكلام ، والوصول إلي ما يرمي إليه المتكلم من أهداف ومقاصد " .

---

١) انظر ص ٦١ ٢) البقرة ١ — ٥

٣) انظر المثل السائر ج ٢ ص ٨٢

وبذلك يتمكن المعني في الذهن ويجد طريقه إلي الاستقرار والثبات .

يقول المبرد في حديثه عن بيت امرئ القيس :—

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

" فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف البالي ، قيل له : العربي الفصيح ، القحطاني اللقن ، يرمي بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلك من التذكير عيا ، قال جل وعز وله المثل الأعلي : " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله " (١) علما بأن المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب . " (٢)

الضرب الثاني : الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب كقوله تعالي " وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلي موسي الأمر ، وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر . " (٣) .

يقول ابن الأثير :— " كأنه قال : وما كنت شاهدا لموسي ، وما جري له وعليه ، ولكنا أوحينا إليك ، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به علي السبب الذي هو الوحي ، علي عادة اختيارات القرآن . " (٤)

ومن ذلك قوله تعالي : " فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه ، اثنتا عشرة عينا " (٥) ، أي : فضرب فانفجرت منه ، فاكتفي بالمسبب وهو الانفجار عن السبب وهو الضرب .

الضرب الثالث : الإضمار علي شريطة التفسير ، وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتي به في آخره ، فيكون الآخر دليلا علي الأول ، ومن ذلك قوله تعالي : "أفمن شرح الله صدره للإسلام ، فهو علي نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين " . (٦)

---

١) القصص ٧٣ ٢) الكامل جـ١ ص ٣٦
٣) القصص ٤٤ ، ٤٥ ٤) المثل جـ٢ ص ٨٣ ٥) البقرة ٦٠ ٦) الزمر ٢٢

والتقدير: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسي قلبه .. إلي غير ذلك من الشواهد العديدة التي يعرضها ابن الأثير. (١)

الضرب الرابع: ما ليس بواحد من هذه الأضرب الثلاثة، ونرى ابن الأثير يعرض تحت هذا الضرب الآيات القرآنية الكريمة التي ورد بها حذف الجملة أو الجمل في ميدان القصص القرآني، من ذلك قوله تعالي: " ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، وقال الملك ائتوني به " (٢)

يقول ابن الأثير مشيرا إلي الحذف في الآية الكريمة: " قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها: فرجع الرسول إليهم، فأخبرهم بمقالة يوسف، فصدقوا لها وتصدقوها، وقال الملك ائتوني به، والمحذوف إذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة، لأنه إذا ثبتت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه ." (٣).

ومن ذلك قوله تعالي: " وعرضنا عليه المراضع من قبل فقالت: هل أدلكم علي أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلي أمه " (٤).

فقد حذف من الآية عدة جمل، إذ التقدير: فأبا بوجا نعم، فدلتهم علي امرأة فجيء بها وهي أمه ولم يعلموا بمكانها، فأرضعته، ودل علي هذه الجمل المحذوفة قوله: " فرددناه إلي أمه ".

إلي غير ذلك من الآيات الكريمة التي يعرضها ابن الأثير مبينا فيها الجمل المحذوفة، ذاكرا أن هذا هو منهج القرآن الكريم في تناوله للقصص، حيث يكتفي بما هو المقصود من القصة، طاويا ما عداها من الأحداث، لدلالة المذكور من الكلام علي المحذوف.

---

١) انظر المثل جـ٢ ص ٨٥
٢) يوسف ٤٣، ٥٠
٣) المثل جـ٢ ص ٨٧
٤) القصص ١٢، ١٣

ثم يشير ابن الأثير إلي أن هناك من الحذوف ما يدق ويغمض ، ونحتاج فيه إلي التأمل والنظر حتي نصل إلي إدراك المحذوف فيها ، يقول في ذلك : " ومن حذف الجمل المفيدة ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ، ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها إذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوفات التي حذفت منها ، ثم إذا قدرت تلك المحذوفات سهل عليه تقديرها ببديهة النظر ، والذي أذكره الآن ليس كذلك ، بل إذا تأمله المتأمل وجده غير متصل المعني ، وإذا أراد أن يقدر المحذوف عسر عليه فمما جاء منه قوله تعالي : " وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ، وقالوا : ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ، اصبر علي ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب " (١) ، فهذا الكلام إذا تأمله المتأمل لم يجده متصل المعني ، ولم يتبين له مجيء ذكر داود — عليه السلام — رادفا لقوله تعالي : " اصبر علي ما يقولون " ، وإذا أراد أن يقدر ههنا محذوفا يوصل به المعني عسر عليه . " (٢)

ثم يذكر أن تقديره يحتمل وجهين الأول : اصبر علي ما يقولون وحذرهم وخوفهم بذكر قصة داود .. والثاني : اصبر علي ما يقولون واحفظ نفسك أن تزل وتذكر قصة داود .

وهذه إشارة دقيقة من ابن الأثير يوضح لنا بها ، دقائق الحذف وغوامضه في أساليب القرآن الكريم ، فحذوف القرآن الكريم قد تكون واضحة ظاهرة يسهل علي الناظر فيها أن يصل إلي المحذوف ويقف عليه وذلك لوضوح الدليل الذي يدل ويرشد إليه ، وقد تكون هذه الحذوف من الدقة والغموض بحيث يصعب علي الناظر فيها أن يدرك المحذوف فيحتاج إلي طول التأمل وإمعان النظر ، كما في هذه الآية الكريمة ، وذلك لخفاء القرينة الدالة علي المحذوف

١) ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ٢) المثل السائر جـ ٢ ص ٨٨

وغموضها والحاجة إلى تأمل النص ومراجعته حتى نقف على المحذوف فيها. ثم ينتقل ابن الأثير إلى حذف المفردات ، فيشير إلى حذف الفاعل بقوله : " الأول : حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل ، كقول العرب : أرسلت وهم يريدون جاء المطر ، ولا يذكرون السماء ، ومنه قول حاتم :—

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يريد : النفس ولم يجر لها ذكر ، وعلى هذا ورد قوله تعالى : "كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق [1] والضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر "[2] .

وقد رأينا العلماء في الفصل الأول كابن جني [3] وغيره يشيرون إلى هذا الحذف ويسمونه : الإضمار بدون تقدم اسم المضمر ، والغريب أن نرى ابن الأثير هنا يتهم ابن جني بأنه أنكر هذا الحذف ولم يجزه ، إذ يقول :— "وقد نص عثمان بن جني رحمه الله تعالى على عدم الجواز في حذف الفاعل "[4] والواقع أن ابن جني قد أجاز هذا الحذف وأشار إليه — كما ذكرت .

ويستمر ابن الأثير في الإشارة إلى صور الحذف المختلفة عارضا الشواهد والأمثلة لكل صورة يذكرها .

ثم يشيد ابن الأثير بجمال الحذف في القرآن الكريم وسهولته فيقول :— " فانظر أيها المتأمل إلى هذه الحذوفات المذكورة ههنا ، التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ، ودلالة الحال عليه وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون حذوفات الكلام "[5] .

ونرى ابن الأثير متأثرا إلى حد كبير بدراسة عبد القاهر والزمخشري في دراسته لظاهرة الحذف ، وقد وضح لنا ذلك عند حديثه عن قيمة الحذف وبلاغته حتى أنه ينقل نصوص عبارات عبد القاهر في ذلك ، كما يتضح لنا هذا التأثير ، عند حديثه عن حذف — المفعول هناك وأراد بعد أداء الشرط إذ يقول : " ولقد تكاثر هذا الحذف في شيء وأراد حتى أنهم لا يكادون يوجد وزون المفعول الا في شيء ←

---

١) القيامة ٢٦ ، ٢٧ ٢) المثل جـ٢ ص ٩١ ٣) انظر ص ٣٢
٤) المثل جـ٢ ص ٩١ ٥) المثل جـ٢ ص ٩٧ .

المستغرب ، كقوله تعالي : " لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلق ما يشاء " (١) ، وعلي هذا الأسلوب جاء قول الشاعر :ـ

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلو كان علي حد قوله تعالي : " ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى " (٢) ، لوجب أن يقول : ولو شئت لبكيت دما ، ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل إلي هذه لأنه ألين في هذا الموضع ، وسبب ذلك أنه كان بدعا عجيبا أن يشاء الإنسان أن يبكي دما ، فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر " (٣) .

فأثر عبد القاهر والزمخشري باد عليه في هذا وفي كثير غيره ...

ثم نري ابن الأثير ينكر أن يكون فهم العامة وأوساط الناس أساسا لتحديد كل من الايجاز والإطناب ، وكأنه بذلك يرد علي السكاكي الذي اتخذ من كلام العوام وأوساط الناس مقياسا لتحديد كل من الايجاز والإطناب ..

يقول ابن الأثير في ذلك : " والمذهب عندي في ذلك ما أذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطا معتبرا في اختيار الكلام ، لأنه لو كان شرطا لوجب علي قياسه أن يستعمل في الكلام الألفاظ العامية المبتذلة عندهم ، ليكون ذلك أقرب إلي فهمهم ، لأن العلة في اختيار الكلام إذا كان فهم العامة إياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها في اختيار المبتذل من الكلام ، فإنه لا خلاف في أن العامة إلي فهمه أقرب من فهم ما يقل ابتذالهم إياه ، وهذا شيء مدفوع ، وأما الذي يجب توخيه واعتماده ، فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الألفاظ بحيث لا تزيد هذه علي هذه مع الإيضاح والإبانة ، وليس علي مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه " (٤)

---

١) الزمر ٤ ٢) الأنعام ٣٥ ٣) المثل جـ٢ ص ٩٨
٤) المثل السائر جـ٢ ص ٧٣ .

والواقع أن فهم العامة وأوساط الناس يصلح أن يكون مقياسا لتحديد نوع الكلام من إيجاز أو إطناب ، لأن فهم العامة والأوساط غير كلامهم ، فالعامي يفهم كما يفهم البليغ ، ولكنه لا يستطيع التعبير عما يفهم ، فالذي يؤخذ على السكاكي هو جعله كلام العوام والأوساط أساساً لتحديد كل من الإيجاز والإطناب ، ولو أنه جعل فهمهم هو المقياس لصح ذلك وما عابه أحد ..

وعلى هذا النحو كانت دراسة ابن الأثير لظاهرة الحذف ، وقد رأيناه أقرب إلى منهج عبد القاهر ، ومتأثرا به إلى حد كبير ، في دراسة هذه الظاهرة ، والكشف عن أسرارها ، وبيان دقائقها وتجلية لطائفها وغوامضها .

ثانيا : عند العلوي :—

ونرى العلوي في دراسته لظاهرة الحذف متأثرا إلى حد كبير بدراسة ابن الأثير ولا يختلف عنه في دراسة هذه الظاهرة ، فهو يبدأ دراسته لها بالإشارة إلى قيمتها الفنية ومنبها إلى ضرورة وجود الدليل الذي يدل على المحذوف فيقول :— " اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف لأن موضوعه على الاختصار وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة ، بل أقول : لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته ، ولصار إلى شيء مستزل ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة ، ولابد من الدلالة على ذلك المحذوف ، فإن لم يكن هناك دلالة عليه ، فإنه يكون لغوا من الحديث ولا يجوز الاعتماد عليه ، ولا يحكم عليه بكونه محذوفا بحال " (١) .

ثم يمضي بعد ذلك لصور الحذف فيذكر أن الحذف قسمان : حذف الجمل وحذف المفردات ، وأن حذف الجمل أربعة أضرب : حذف جملة السؤال وحذف جملة السبب أو المسبب ، والإيضاح بعد الإبهام ، وحذف جمل أخر ليست

(١) الطراز جـ ٢ ص ٩٦

من هذه الأضرب الثلاثة ..، وحذف المفردات أنواع كثيرة .. وهذا هو ما فصله ابن الأثير في كتابة : المثل السائر — كما رأينا . (١)

فالعلوى في دراسته هذه الظاهرة لا يختلف عن ابن الأثير حتى في الشواهد والأمثلة ، نرى أغلبها مستمدا مما استشهد به ابن الأثير .. يقول مثلا عن حذف جملة السؤال : " الضرب الأول منها حذف الأسئلة المقدرة ويلقب في علم البيان بالاستئناف ،ثم هو يجرى على وجهين :

الوجه الأول : أن يكون استئنافاً بإعادة الصفات المتقدمة ،ومثاله قوله تعالى في صدر سورة البقرة : " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" إلى قوله : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " (٢)

والوجه الثاني : أن يكون الاستئناف واقعا بغير الصفات ،ومثاله قوله تعالى : " ومالي لا أعبد الذى فطرني وإليه ترجعون " ،إلى قوله : "فاسمعون (٣) فموقع الاستئناف هو قوله : " قيل ادخل الجنة" لأن ما هذا حاله ،من مظان السؤال .. " (٤)

وهذا هو ما ذكره ابن الأثير في حذف جملة السؤال (٥) .

وإذا رجعنا إلى كتاب الطراز نرى أن ما ذكره العلوى في دراسة هذه الظاهرة لا يختلف في شيء عما ذكره ابن الأثير في المثل السائر. (٦)

" مجاز الحذف"

رأينا فيما سبق دراسة عبد القاهر للمجاز بالحذف أو الزيادة ،وأنه يطلق هذا المجاز على الكلمة التي تغير حكم إعرابها بسبب الحذف أو الزيادة كقوله تعالى : " واسأل القرية" (٧) ،وقوله : فليدع ناديه" (٨) وقوله :— " وجاء ربك (٩)

---

١) أنظر ص١١٦ ٢) البقرة ١ — ٥ ٣) يس ٢٢ — ٢٧
٤) الطراز ج٢ ص— ٥) انظر ص ١١٠
٦) المثل ج— ٢ ص١٨١ والطراز ج٢ ص٩٢ وما بعدهما
٧) يوسف ٨٢ ٨) العلق ١٧ ٩) الفجر ٢٢

وقوله سبحانه : " ليس كمثله شيء " (١) ،فتقدير هذه الآيات : — سل أهل القرية ،فليدن أهل ناديه ،وجاء أمر ربك ،وليس مثله شيء فالمضاف إليه تغير إعرابه بسبب حذف المضاف ،كما أن لفظ مثل قد تغير إعرابه بزيادة الكاف فإذا لم يتغير حكم مابقي بعد الحذف فلا مجاز . (٢)

ونريد أن نصرف هنا : كيف اعتبر ماتغير حكمه بسبب الحذف أو الزيادة مجازاً ؟ وهل إطلاق المجاز عليه بالمعني الاصطلاحي المشهور للمجاز وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة ؟ أم بمعني آخر غير المعني الاصطلاحي ؟

يرى السكاكي أن إطلاق المجاز علي الكلمة التي تغير حكم إعرابها بسبب الحذف أو الزيادة عن طريق التشبيه ،فالكلمة التي تغير حكم إعرابها قد شابهت الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بجامع الانتقال عن الأصل في كل .

يقول السكاكي : " ورأيي في هذا النوع أن يعد ملحقا بالمجاز وشبيها به لما بينهما من الشبه وهو اشتراكهما في التعدي عن الأصل إلي غير أصل لا أن يعد مجازاً ،وبسبب هذا لم أذكر الحد شاملا له . (٣) .

ويرى بعض العلماء أن إطلاق المجاز علي الكلمة التي تغير إعرابها ، بالمعني الاصطلاحي المشهور للمجاز ،وذلك أن المجاز قد وضع ابتداء ومن أول الأمر شاملا للكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ،وللكلمة التي تغير حكم إعرابها بسبب الحذف أو الزيادة ،وبيان ذلك أن الإعراب فرع المعني ،فلا يتصور أن يتغير الإعراب بدون تغيير المعني ،أي أن الكلمة التي تغير إعرابها بالحذف أو الزيادة ، قد تغير معناها الذي وضعت له ..

يقول الدسوقي : " إن لفظ مجاز وضع لوضعين : أحدهما : الكلمة المستعملة

---

١) الشورى ١١ ٢) انظر ص ٨٧ ٣) المفتاح ص ١٨٥

في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة ، والثاني : للكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي ، فيكون إطلاق المجاز عليها حقيقة على هذا الاحتمال . " (١)

وبهذا تكون الكلمة التي تغير حكم إعرابها بسبب الحذف أو الزيادة ملحقة بالمجاز عن طريق المشابهة عند السكاكي ، ومجازاً عند كثير من البلاغيين .

---

١) شروح التلخيص جـ ٤ ص ٢٣١ .

"الفصل الرابـــع"

مقارنة بين الايجاز بالحذف والايجاز بغيره

يقسم البلاغيون الإيجاز قسمين : إيجاز حذف وإيجاز قصر، فإيجاز الحذف ما يكون بحذف جزء من أجزاء الكلام لدلالة غيره من الحال أو فحوى الكلام عليه، وهذا المحذوف قد يكون مفردا ، فضلة أو عمدا أو اسما ، وقد يكون جملة ، وقد يكون عدة جمل ، وقد رأينا في الفصول السابقة ، كيف نشأت دراسة الإيجاز بالحذف وكيف نمت وتطورت .

أما إيجاز القصر فهو بنية الكلام على تقليل اللفظ وتشير المعنى من غير حـــذف ، يقول الرماني : " والإيجاز على وجهين : حذف وقصر ، فالحذف : إسقاط كلمة للاجـــتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام ، والقصر : بنية الكلام على تقليل اللفـــظ وتشير المعنى من غير حذف " . (١)

ثم يشير الرماني إلى أن إيجاز القصر أدق وأفضل من إيجاز الحذف ، لأنه عبـــارة عن بناء الكلام وصياغته من أول الأمر على الإيجاز فالإيجاز يدخل في طبيعة تكيـــيفه ولاشك أن ما كان هذا شأنه يكون أدق وأفضل من إيجاز الحذف ، لأن إيجاز الحـــذف كان له أصل قبل الحذف ، فالكلام لم يصغ عليه ابتداء ، ثم هناك دليل يدل علـــى المحذوف ويرشد إليه . . .

يقول الرماني في ذلك : " فأما الإيجاز بالقصر دون الحذف ، فهو أفضل من الحذف وإن كان الحذف فاضلا ، للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع الـــتي لا يصلح ، فمن ذلك قوله تعالى : " ولكم في القصاص حياة " . (٢)
ومنه : " يحسبون كل صيحة عليهم " . (٣) ومنه " وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها " (٤)
ومنه " إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس " (٥) ومنه " إنما بغيكم على أنفسكم " (٦) ومنه

١ـ النمل ص ٧٦ ٢ـ البقرة ١٧٩ ٣ـ المنافقون ٤
٤ـ الفتح ٢١ ٥ـ النجم ٢٣ ٦ـ يونس ٢٣

" ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله "(١) ، وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير "(٢) .

ومن شواهده أيضا في القرآن الكريم قوله تعالى : "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين "(٣) فقد جمع سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة جميع مكارم الأخلاق ، ومنه قوله عز وجل : " هدى للمتقين "(٤) أي : هدى للضالين السائرين إلى الهدى بعد الضلال ، وغير ذلك من الآيات الكريمة .

وتقسيم الإيجاز إلى إيجاز حذف وإيجاز قصر هو الشائع لدى علماء البلاغة إلا أننا نجد بعض هؤلاء العلماء كابن الأثير في المثل السائر والعلوي في الطراز يجعلان الإيجاز قسمين : إيجاز حذف وإيجاز بغير الحذف ثم يقسمان الإيجاز بغير الحذف قسمين : إيجاز قصر وإيجاز تقدير ، يقول ابن الأثير : " وأما الإيجاز فقد عرفتك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه وهو ينقسم قسمين . أحدهما : الإيجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه ، والقسم الآخر : ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان ، أحدهما : ما ساوى لفظه معناه ، ويسمى : التقدير ، والآخر : ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر . "(٥) .

ثم يشير إلى أن الإيجاز بغير الحذف أفضل وأدق من إيجاز الحذف ، وذلك لاحتياجه هنا إلى مزيد من التأمل وإطالة التفكير والتروي فيقول : " وأعلم أن القسم الأول الذي هو الإيجاز بالحذف يتنبه له من غير تبصر كلفة في استخراجه لبيان المحذوف عنه ، وأما القسم الثاني فإن التنبه له عسر لأنه يحتاج إلى فضل تأمل وطول فكرة لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك إلا من رسخ قدمه في ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة "(٦)

---

١) فاطر ٤٣ ٢) النحل ص ٧٧
٣) الأعراف ١٩٩ ٤) البقرة ٢
٥) المثل السائر جـ ٢ ص ٧٨ ٦) المثل جـ ٢ ص ٧٨

ويقول السلوى : " أعلم أن من الإيجاز ما لا يكون فيه حذف يقدر من مفرد ولا جملة ويقال له : إيجاز البلاغة ، وينقسم إلى ما يساوى لفظه معناه من غير زيادة ويسمى التقدير وإلى ما يزيد معناه على لفظه ويسمى القصر ، وهذا القسم من الإيجاز له في البلاغة مرتع عليم ، ودقيق المجرى ، عصب المرتقى ، لا يخترعه من أهل هذه الصناعة إلا واحد بعد واحد ، وهما علم المطلوب قل المساعد " (١)

ومن أمثلة إيجاز التقدير قوله تعالى : " قتل الإنسان : ما أكفره : من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ، كلا لما يقض ما أمره " .

يقول ابن الأثير في تأويل هذه الآية مبينا إيجاز التقدير بها : " فقوله : — " قتل الإنسان دعاء عليه ، وقوله : ما أكفره " تعجب من إفراطه في الكفران بنعمة الله عليه ولا أسلوبا أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ، ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط منى تقارب طرفيه ، ولا أجمع للدلالة على قصر مدته ، ثم إنه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه إلى منتهى زمانه ، فقال : " من أى شىء خلقه " ، ثم بين الشىء الذى خلق منه بقوله : " من نطفة خلقه فقدره " أى : هيأه لما يصلح له ، " ثم السبيل يسره " أى : سهل سبيله ، وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير والشر ، والأول أولى لأنه تال لخلقته وتقديره ، ثم بعد ذلك يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريقى الخير والشر " ثم أماته فأقبره " أى : جعله ذا قبر يوارى فيه " ثم إذا شاء أنشره " أى : أحياه " كلا " : ردع للإنسان عما هو عليه " لما يقض ما أمره " أى : لم يقض من تطاول زمانه ما أمره الله به ، يعنى : أن إنسانا لم يخل من تقصير قط ، ألا ترى إلى هذا الكلام الذى لو أردت أن تحذف كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لأنك كنت تذهب بجزء من معناه ، والإيجاز : هو ألا يمكنك أن تسقط شيئا من ألفاظه . " (٢).

---

١) الطراز جـ ٢ ص ١١٩
٢) المثل جـ ٢ ص ١١٤

ويستمر ابن الأثير في عرض الآيات الكريمة شاهدا لهذا الإيجاز ، فمن ذلك قوله تعالى : "فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف" (١) ، فقوله سبحانه : "فله ما سلف" من جوامع الكلم ومعناه أن خطاياه الماضية قد غفرت له ، وتاب الله عليه فيها وأصبحت حسنات له .

وقوله تعالى : "من كفر فعليه كفره" (٢) ، فهي كلمة جامعة تغني عن ذكر ضروب من العذاب ، لأن من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة . ومنه قوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" ، وقوله عز وجل : "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . "

يقول ابن الأثير في هذه الآيات الكريمة : "وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دلت على تخويف وإرهاب ، تترك له القلوب أوجف ، وتقشعر منه الجلود ، وهي مشتملة مع قصرها على حال الإنسان منذ خلقه إلى حين حشره وحشر غيره من الناس ، وتصوير ذلك الأمر الفائق في أسهل لفظ وأقربه . " (١)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم ، ومن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام ، والتي يعرضها ابن الأثير شاهدا لإيجاز التقدير قوله عليه الصلاة والسلام "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات" فهذا الحديث من الأحاديث الجامعة للمعاني الكثيرة وذلك أنه يشتمل على جل الأحكام الشرعية ، فأن الحلال

---

١) المثل ج ٢ ص ٦ ، ١١ .

(١) البقرة ٢٧٥

(٢) فاطر ٣٩

والحرام أما أن يكون ظاهرا لكل الناس ، وأما أن يكون خافيا يشتبه عليهم ويحتمل التأويلات العديدة والمذاهب المختلفة .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " أنما الأعمال بالنيات وانما لكل أمرئ ما نوى " وقوله : " الضعيف أمير الركب " وفي حديث آخر :— "سيروا سير أضعفكم " ، وقوله " أعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنه يراك " ، فهذه الأحاديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم للأحكام الشرعية والأخلاق والآداب التي يجب أن تسود في المجتمع وأن يتحلى بها كل فرد من أفراد الأمة المسلمة .

ويستمر ابن الأثير في عرض شواهد الإيجاز بالتقدير من الآيات الكريمة ومن أحاديث النبي الأمين ومن أقوال الأعراب وحكم الحكماء وشعر الشعراء ثم يعرض للضرب الثاني وهو إيجاز القصر فيقسمه قسمين : الأول : ما دل لفظه على محتملات متعددة ، ويمثل التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ، ومن شواهد ذلك قوله تعالى : "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " ، يقول ابن الأثير : " فجمع في الآية جميع مكارم الأخلاق لأن في الأمر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن القبيح وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفي الإعراض عن الجاهلين ، الصبر والحلم وغيرهما "(١) كما أن في أخذ العفو المسامحة والإغضاء والصفح وغير ذلك ، ومن شواهد هذا القسم الذي يزعم ابن الأثير أنه يمكن أن نعبر عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ، قوله تعالى " أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " ، فأنه دخل تحت الأمن جميع المحبوبات من نفي الفقر وزوال النعمة وحلول النقمة وغير ذلك من أصناف المضار .

ومن ذلك قول عليه الصلاة والسلام : " من جشأ يرتع في الرياض الأنائق فعليه بآل حم " ، وقوله : " الخراج بالضمان " وغير ذلك ومنه قول السموأل الغساني :—

ولكن هو لم يحصل على النفر ضيمها : فليس إلى حسن الثناء سبيل

(١) المثل جـ٢ ص ١٢٤ .

يقول ابن الأثير :

" فأن هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر ، وغير ذلك ، فأن هذه الاخلاق كلها من شيم النفس ، لانها تجد بحصلها شيما أى : مشقة وعناء . " (١)

القسم الثانى : ما يدل لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه فى عدتها ، ومن ذلك قوله تعالى : " ولكم فى القصاص حياة " فلا يمكن التعبير عن هذه العبارة من الآية الكريمة إلا بألفاظ كثيرة ، لأن معناه أنه إذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فأوجب ذلك حياة للناس ثم يشير ابن الأثير إلى الوجوه العديدة التى تمتاز بها الآية الكريمة عن القول المأثور عن العرب " القتل أنفى للقتل " .

وتلك مادة جرى عليها البلاغيون ، فهم لا يذكرون الآية الكريمة : " ولكم فى القصاص حياة " إلا ويشيرون إلى الوجوه التى تفضل بها هذه الآية القولَ المأثورَ : " القتلُ أنفى للقتل " (٢) .

ولكن يؤخذ على ابن الأثير هذا التقسيم الأثير ، فتقسيمه إيجاز القصر إلى ما يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه عدتها ، وما لا يمكن فيه ذلك ، فالواقع أن إيجاز القصر الناطقة به الآياتُ الكريمةُ التى أشار إليها لا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه ، كقوله تعالى : " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " ، وقوله : " أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " وقول الرسول الأمين : " لا ضرر ولا ضرار " وقوله : " الخراج بالضمان إلى آخر هذه الآيات والأحاديث ، إذا أردنا التعبير عن معانيها فإننا نحتاج إلى ألفاظ كثيرة ، غير ألفاظ هذه الألفاظ التى عبر بها الله سبحانه وتعالى والتى نطق بها النبى صلى الله عليه وسلم .

ولقد أدرك العلوى صاحب الطراز ذلك ، وهو الذى تأثر إلى حد كبير جدا بابن الأثير حيث يشير إلى بعض آرائه ويقول بها وأن كان لا ينسبها إليه كما رأينا فى دراسته للحذف (٣) .

---

(١) المثل جـ ٢ ص ١٢٨

(٢) انظر روح المعانى جـ ٢ ص ١٠٥ ، والمثل جـ ٢ ص ١٢٦ ، وبغية الايضاح جـ ٢ ص ١١٩

(٣) انظر ص ١١٦

أدرجه ذلك فقسم الإيجاز بغير الحذف إلى إيجاز تقدير ، وإيجاز قصر ، ثم مثل بعض الشواهد التي استشهد بها ابن الأثير ، ولكنه لم يقسم إيجاز القصر كما فعل ابن الأثير ، بل يرى أن إيجاز القصر تزيد فيه المعاني على الألفاظ وتفوق ، ولا يمكن فيه التعبير عن تلك المعاني بمثل هذه الألفاظ وعدتها ، بل نحتاج في التعبير عنها إلى ألفاظ كثيرة تفوق هذه الألفاظ وتزيد عليها » .

يقول العلوي : " الضرب الثاني : في بيان الإيجاز بالقصر وهو الذي تزيد فيه المعاني على الألفاظ وتفوق ، وكتاب الله تعالى مملوء منه "(١) ، ثم يورد الأمثلة العديدة والشواهد الكثيرة التي يستشهد بها لهذا الضرب من الإيجاز ومعظمها شواهد مثل بها ابن الأثير .

ونلاحظ أن ما سماه ابن الأثير والعلوي بإيجاز التقدير ، وجعلاه قسما من قسمي الإيجاز بغير الحذف ، قد سماه غيرهما من البلاغيين بالمساواة وجعلوها قسما ثالثا من أقسام الكلام .

يقول أبو هلال : " ومما يدخل في هذا الباب : المساواة وهي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعاني ، لا يزيد بعضها على بعض ، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب "(٢) .

ويقول الخطيب : " والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد ، لا ناقصا عنه بحذف أو غيره ، ولا زائدا عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ، كقوله تعالى : " ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله "(٣) وقوله : " وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره "(٤) ويقول النابغة :—

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وأن خلت أن المنتأى عنك واسع "(٥)

---

١) الطراز ج ٢ ص ١٢٧
٢) الصناعتين ص ١٨٥
٣) فاطر ٤٣
٤) الأنعام ٦٨
٥) بغية الايضاح ج ٢ ص ١٨٣

وواضح أن هذا الاختلاف بينهم هو مجرد اختلاف في الاصطلاح ، فما اصطلح ابن الأثير والسلوى على تسميته إيجاز تقدير ، اصطلح البلاغيون على تسميته بالمساواة وقد ترتب على ذلك زيادة في أقسام الكلام عند البلاغيين إذ أصبح : إيجاز وإطناب ومساواة .

والواقع أن تقسيم البلاغيين الكلام إلى إيجاز وإطناب ومساواة يحتاج إلى دراسة ومراجعة (١) .

وخلاصة هذا الفصل :

أن الإيجاز بالحذف يختلف عن الإيجاز بغيره من عدة أمور :—

أولا : الإيجاز بالحذف يكون بحذف جزء من أجزاء الكلام ، ولابد فيه من قرينة تدل على المحذوف وتشير إليه ، وهذا المحذوف يجب نسيانه بعدم تقديره في الكلام ، وذلك لأن الحذف لا يكون إلا لمعنى بلاغي اقتضاه المقام فإذا ما أردنا تقدير المحذوف واعتباره في الكلام أدى ذلك إلى ضياع المعنى البلاغي الذي أفاده الحذف .

أما إيجاز القصر فلا يكون بحذف جزء من أجزاء الكلام وإنما هو عبارة عن بناء الكلام وصياغته من أول الأمر على تقليل الألفاظ وتكثير المعاني من غير حذف .

ثانيا : أن الإيجاز بالحذف وإن كان به نوع من الدقة والغموض وذلك لاحتياجه إلى معرفة المواضع التي يحسن فيها الحذف من المواضع التي لا يحسن فإن إيجاز القصر يعد أدق منه وأغمض لأن التنبه له صعب ولأنه يحتاج إلى مزيد من التأمل وإطالة التفكير حتى نقف على إدراك المعاني الكثيرة من الألفاظ القليلة .

---

(١) انظر مذكرات عن كتاب النكت درأ بو موسى ص ٥٦ .

ثالثا : هناك أنواع أخرى من الإيجاز بغير الحذف ، كإيجاز التقدير الذى أشار إليه ابن الأثير والعلوى ، وهو أن يكون اللفظ ساريًا للمعنى .

وهناك صور أخرى لإيجاز القصر أشار إليها الرمانى : كالإيجاز العلمى الذى يستخدم فى العلوم التعليمية ، وهو : أن يوجز المتكلم كلامه الذى أفاض فى شرحه فى ألفاظ قليله تفى بالمعانى الكثيرة التى أفاض فى شرحها وإيضاحها ، وكالإيجاز النفسى الذى يكون بتخير الألفاظ الحسنة الخفيفة على النفس ، وغير ذلك من الصور العديدة التى يشير إليها الرمانى . (١)

وكل هذه الأنواع والصور من الإيجاز تختلف عن إيجاز الحذف بأن الإيجاز بها ليس عن طريق الحذف ، وانما هو إنشاء الكلام وبناؤه ابتداء من أول الأمر على الإيجاز .

وبعد

فهذه الأنواع من الإيجاز بغير الحذف تحتاج إلى دراسة أخرى مستقلة لبيان أنواعها والكشف عن أسرارها ودقائقها ، والوقوف على معرفة وجه بناء الكلام من أول الأمر على تقليل الألفاظ وتكثير المعانى .

أما نحن فسنكتفى أعطى فرقا ومقارنة سريعة بينها وبين الإيجاز بالحذف الذى هو موضوع الدراسة .

---

(١) انظر النكت ص ٧٩ ، ٨٠

الباب الثاني

الحذف في أساليب القرآن الكريم

لقد وضح لنا في الباب الأول ، كيف نشأت دراسة الحذف ، ثم نمت وتطورت وقد رأينا البلاغيين في دراستهم لهذه الظاهرة ، يستشهدون بآيات القرآن الكريم ليبينوا المحذوف ودليل حذفه ، وكانت نظرتهم إلى الحذف في أساليب القرآن الكريم نظرة جزئية ، فهم يستشهدون بالآية أو بجزء منها لبيان صورة من صور الحذف .... وهذه النظرة الجزئية لا تكفي في دراسة الأساليب ، بل ينبغي أن تكون مصحوبة بنظرة كلية إلى سياق الآيات الكريمة وموضوعها حتى يتضح المقام الذي اقتضى الحذف ....

يقول الزمخشري : " وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز ، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع ... " (١)

ولهذا فإننا سنكشف في هذا الباب على أساليب القرآن الكريم ، لندرس ظاهرة الحذف في هذه الأساليب ، وسأبذل كل جهدي للكشف عن الأسرار والدقائق الكامنة وراء الحذف ، وذلك في ضوء النظرة الكلية لآيات الذكر الحكيم ....

وإتماما للفائدة ، رأيت أن أقسم الدراسة في هذا الباب إلى فصلين :ـ

الفصل الأول :

لدراسة صور الحذف المختلفة في أساليب القرآن الكريم والكشف عن أسرارها وتجلية دقائقها ....

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٥٠ ، وانظر البيان القرآني د / رجب البيومي ص ١٠٤

والفصل الثاني :

للحديث عن قرائن الحذف الدالة على المحذوف ... ، وهل هذه القرائن يوعى بها من أجل الدلالة على المحذوف أم تفيد معنى آخر لا يفيده المحذوف ..... ؟ .

وهل يشترط في هذه القرائن أن تكون من جنس المحذوف الدالة عليه أم يجوز أن تكون من غير جنسه ... ؟

هذا ما سنراه في الفصل الثاني ....

وفي خاتمة البحث ، ستكون لنا وقفة لتقييم دراسة البلاغيين لظاهرة الحذف ، في ضوء دراستنا لها في أساليب القرآن الكريم ، خلال هذا الباب ....

الفصل الأول
صور الحذف في أساليب القرآن الكريم

سنتناول في هذا الفصل دراسة صور الحذف المختلفة في أساليب القرآن الكريم لنكشف عن أسرارها ، ونبرز المعانيَ البلاغيةَ الكامنةَ وراء الحذف فيها ، وذلك في إطار الموضوع الكلي ، والموقف المتكامل ، حتى يتبين لنا المقام الذي اقتضى الحذف في الآيات الكريمة .

١ — حذف الحروف :—

قال الله عز وجل : " قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين "[1] ، والتقدير : قالوا : تالله لا تفتأ تذكر يوسف ، فحذف الحرف " لا " وهذا الحذف يشير إلى الحالة النفسية السيئة التي صار إليها إخوة يوسف ، وإلى ما يدور بداخلهم من ضيق وألم وحزن ، فلقد توالت الشدائد والأزمات عليهم حتى بلغت ذروتها في هذا الموضع ، ولننظر في الآيات السابقة لهذه الآية :—

" قالوا : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، قال : أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون . قالوا : يا أيها العزيز ، إن له أبا شيخا كبيرا ، فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، ... " إلى آخر الآيات الكريمة .[2]

فقد أُثبت لهم بالدليل سرقة أخيهم ، وأخذوا يستعطفون العزيز في أخذ أحدهم مكانه ، ولكن دون جدوى ، ثم هؤلاء هم يتذكرون

١) يوسف ٨٥ ٢) يوسف ٧٧ — ٨٥ .

تفريطهم من قبل فى يوسف ، ويتذكرون أن أباهم قد أخذ عليهم موثقا من الله ، فيأمرهم كبيرهم بالرجوع إلى أبيهم وإخباره بأمر السرقة ، وأن أمرها قد ذاع وانتشر فى القرية وبين العير ، ثم هذا هو يعقوب — عليه السلام — لا يصدقهم فى أمر السرقة ، رغم توافر الأدلة على صدقهم ، وتتفجر فى نفسه عواطف من اليأس والرجاء ، ويُعرض عنهم جائرا إلى الله بالشكوى ، ويكاد الأسى يمزق قلبه ، وهو شيخ كبير افترسه الحزن على وليدين محبوبين .

فهذه المواقف كلها كان لها أثر بالغ على إخوة يوسف ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وضاقت عليهم الكلمات ، فالنفس فى مثل هذا المقام تلجأ إلى الصمت ، وتعبر بالإشارة والهمس ، وجاء التعبير القرآنى معبرا عن هذه الحالات النفسية أدق تعبير وأقواه ، فكان حذف الحرف « لا » ولو ذهنا نقدر المحذوف فقلنا : قالوا : تالله لا تختأ تذكر يوسف ، لتولى هذا المعنى البلاغى الذى أفاده الحذف ، ولهذا رأينا البلاغيين دائما يشيرون إلى ضرورة تناسى المحذوف ووجوب إضماره فى النفس وعدم تقديره ...

وقال تعالى : « يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين »(١) والتقدير : يا يوسف أعرض ، فحذف حرف النداء ، وهذا الحذف يوحى بما يعانيه العزيز من ضيق وألم ، ويتضح لنا ذلك إذا تأملنا سياق الآيات الكريمة قبل هذه الآية : « واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب ، قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن ... »(٢) إلى آخر الآيات الكريمة .

فالعزيز يرى أمامه هذا المنظر فجأة فيندهش لما رأى ، ولا تسعفه الكلمات

١) سورة يوسف ٢٩ ٢) سورة يوسف ٢٥ — ٢٩

فيلوذ بالصمت ، وتنطق المرأة ، فتتهم يوسف بإرادة السوء ، ويرد يوسف فينفي عن نفسه هذه التهمة ، ويخبر بأنها هي التي راودته عن نفسه ، ثم يكون ما يكون من أمر الشاهد الذي يشهد بما تكون نتيجته براءة يوسف كل هذا والعزيز صامت لا يتكلم من هول المفاجأة ، وعنف الصدمة ، فلما ظهرت أمامه براءة يوسف همس بهذه الكلمات : " يوسف أعرض عن هذا " ، فحذف الحرف أوحى بهذا الجو النفسي الكئيب المؤلم الذي سيطر على العزيز فهمس إلى يوسف أن يعرض عن هذه الحادثة فلا يذكرها لأحد ، ثم اتجه إلى امرأته بالحديث : " واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين " ، إنه في حالة نفسية مؤلمة ، لا يدري أمامها ماذا يفعل سوى العمل على عدم انتشار تلك الحادثة ، فيطلب من يوسف كتمان هذا الأمر ، ويكتفي بتسجيل الذنب والخطأ على امرأته ، ولا يدري ماذا يفعل بعد ذلك ، وهناك سر آخر وراء الحذف في الآية الكريمة وهو الدلالة على وقوع حب يوسف في قلب العزيز ، وخاصة بعد ثبوت براءته من تلك التهمة الموجهة إليه ، ولهذا ناداه باسمه : " يوسف " ، ففي حذف حرف النداء ، وذكر يوسف باسمه ، ما يدل على مدى حب العزيز له ، وتقريبه إليه ، يقول الزمخشري : "يوسف حذف عنه حرف النداء لأنه منادى قريب مقاطن للحديث ، وفيه تقريب له ، وتلطيف لمحله " (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : " طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى " (٢) وقوله : " يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين " (٣) فحذف حرف النداء في الآيتين يوحي بقرب الله عز وجل من النبي صلى الله عليه وسلم وتكريمه له ، فقد ارتفعت المسافات وزالت الحواجز وأقبل الله سبحانه وتعالى على عبده يناديه : طه ، يس ، وفي هذا من

١) الكشاف جـ٢ ص ٣٦٠ ٢) سورة طه ١-٣
٣) سورة يس ١-٣

التكريم والتشريف ما لا يخفى .

ونلاحظ في الآية الأولى حذف الحرف "لا" والتقدير: طه. ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكره لمن يخشى لا لتشقى ، فحُذِفَ الحرف "لا" مع تقديم "لتشقى" على: "إلا تذكره لمن يخشى" ، فما السر البلاغي لهذا الحذف ؟ :— إنني أرى — والله أعلم بمراده — أن الله عز وجل قد أنزل القرآن الكريم ، من أجل التذكرة لمن أراد أن يذكر ، ولم ينزله سبحانه من أجل شقاء النبي وتعذيبه ونيله ما نال من أذى وهوان ، وهذا هو أصل المعنى قبل الحذف ولكن القوم أبوا إلا تعذيب النبي وإيذاءه والمبالغة في إهانته وفي احتقاره وأصروا على ذلك وعتوا عتوا كبيرا ، وكأنهم لم يروا في نزول القرآن الكريم إلا تعذيب النبي وشقاءه وإيذاءه ، ولهذا جاء التعبير القرآني الكريم بحذف الحرف "لا" ، ليصور هذا المعنى .. ومما حذف منه حرف النداء للدلالة على قرب المنادَى ، وأقبال المنادِي إليه بالتضرع والخضوع كلمة: "رب" كقوله تعالى: "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .." (١) ، وقوله: "ربنا لا تزغ قلوبنا ..." (٢) وقوله: — "ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد" (٣) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة فقد كثر نداء الرب في القرآن الكريم بدون حرف النداء ، والسر في ذلك هو الدلالة على قرب الله عز وجل من هؤلاء المؤمنين وتقريبهم إليه سبحانه ، فقد ارتفعت الحواجز وأزيلت الموانع وألغيت المسافات ، بحذف هذا الحرف ، وسر آخر وراء الحذف في الآيات الكريمة وهو أن كلمة "رب" أكثر استعمالا من غيرها في الدعاء ، فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها ، أطوع في الألسنة

١) البقرة ٢٨٦ ٢) آل عمران ٨ ، ٩
٣) آل عمران ١٩١ — ١٩٤ .

وأسهل فى مجارى الحديث .

وإذا تأملنا الآيات المذكورة رأينا ذكر الواو بعد كلمة "رب" فى مواضع كثيرة :ـ "ربنا ولا تحمل" ، "ربنا ولا تحملنا" ، "ربنا وآتنا ماوعدتنا" فهذه الواو عُطف بها المذكور بعدها على محذوف فى الكلام قبلها ، وحذف المعطوف عليه فى هذه الآيات ، يفيد أن هؤلاء المؤمنين يبتهلون إلى الله ويدعونه بما يصل إليه علمهم وتتسع له مداركهم ، فيرون فيه الصلاح والخير لدينهم ودنياهم أما ما لا يصل إليه علمهم ولا يدركه إلا الله عز وجل ، فهو متروك له سبحانه وكأنهم يقولون : ربنا حقق لنا ماترى فيه الخير والصلاح ولا تحمل علينا إصرا ..

ربنا حقق لنا الخير الذى لا يعلمه إلا أنت وآتنا ماوعدتنا على رسلك .... وهكذا ، فالحذف هنا يوحى بقوة إيمان هؤلاء وخضوعهم التام لله عز وجل ، فهم يدعونه بما يعلمون ويدركون أنه خير وصلاح ، تاركين مالا يصل إليه إدراكهم من وجوه البر والخير لله العليم الخبير .

ومن ذلك قولنا فى الصلاة : "ربنا ولك الحمد" ، أى: ربنا نحمدك ونشكرك ونقدسك ولك الحمد ، فحذف المعطوف عليه أفاد كل مافيه تنزيه وتقديس لله تعالى ، ولو ذكر لما أفاد هذا المعنى ..

وقال تعالى : "ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن"(1) ففى الآية حُذف حرف الجر ، والتقدير : وترغبون فى أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن وهذا الحذف يفيد تكثير المعنى ، حيث سوغ لنا أن نعتبر المحذوف: فى أو عن وفى ذلك مايحقق مصالح اليتامى ، ويحفظ أموالهن فقد يرغب الوصى أو غيره من المتسلمين فى نكاح اليتيمة لكونها غنية ، طمعا فى أموالها ، وقد يرغب

(1) النساء ١٢٧ .

عن نكاحها لا لشيء إلا لكونها فقيرة ، وليس هذا من خلق الإسلام ، لأنه إما هروب من أداء الواجب عند توهم النكاح من أجل الفقر ، وإما نكاح قد بني على الطمع وحب الأموال ، ولم يراع فيه مصلحة اليتيمة التي كثيرا ما حث الإسلام على حفظ أموالها وصيانتها ، قال تعالى : " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا "(١) ، ولهذا فقد تركت الآية الأمر عاما ، حرصا على تحقيق مصالح اليتامى ، فإذا رغب المسلم في نكاح اليتيمة فينبغي ألا تكون تلك الرغبة من أجل أموالها وإذا رغب عن نكاحها ، فينبغي ألا يرجع ذلك إلى فقرها وعدمها ..

وسر آخر وراء الحذف في الآية الكريمة وهو تحقيق السهولة في النطق ولننظر إلى تقدير المحذوف : في أَنْ تَنْكِحوهن ، أو عَنْ أَنْ تَنْكِحوهن نجد ثلاث مقاطع متحدة ومتوالية ، كل مقطع منها يتكون من حركة فسكون مما يجعل النطق بها ثقيلا على الألسنة ، والحذف يرفع هذا الثقل ويجعل النطق بالآية أطوع في الألسنة وأسهل ...

وفي كثير من آيات القرآن الكريم ، نرى الحرف قد يذكر في آية ثم يحذف في آية أخرى ، ولهذا الذكر وذاك الحذف أسرار بلاغية يتطلبها الغرض ويقتضيها المقام ، من ذلك قوله تعالى : " وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم "(٢) ، وقوله : " وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم "(٣) ، فحذف الواو في الآية الأولى وذكرها في الثانية ، والسر البلاغي وراء ذلك هو أن الآية الأولى ، تذكير من الله عز وجل مجرد تذكير بما حدث لبني إسرائيل ، من بطش فرعون وآله ، وفي الثانية يسند موسى عليه

١) النساء ١٠ ٢) البقرة ٤٩ ٣) ابراهيم ٦

السلام — إلى تذكير بني إسرائيل بنعم الله ، ويعدد عليهم تلك النعم ، فلم يكتف بذكر الإنجاء بل مهد له من أول الأمر بالتذكير بنعم الله ، فناسب ذلك تعداد النعم والفصل بين آحادها ، فكأنه جعل سومهم العذاب محنة مستقلة نجاهم الله منها ، وعطف عليها غيرها ، لذلك جيء بالواو بين النوعين ومعروف أن العطف بالواو يقتضي المشابهة ، فلو ترك هذا العطف لصار السوم والتذبيح نوعا واحدا ، ويكون الثاني تفسيرا للأول كالآية الأولى ..

ومن ذلك قوله عز وجل : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ... (1) فقد حذفت الواو بعد القولين الأولين ثم ذكرت بعد القول الثالث ، فما السر وراء ذلك ؟

لقد قرر العلماء أن الواو التي تدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة أو صفة بعد النكرة ، تفيد تأكيد لصوق الصفة بالموصوف أو الحال بصاحبها فمثلا : عندما نقول : جاء محمد ومعه أسرته ، هذه الواو أفادت تأكيد لصوق الجملة الحالية : معه أسرته ، بصاحب الحال : محمد ، وذلك عكس قولنا :— جاء محمد معه أسرته ، فإنها لا تفيد هذا التأكيد ... فذكر الواو في قوله تعالى : " سبعة وثامنهم كلبهم " يفيد تأكيد لصوق الحال بصاحبها ، وهذا يوحي بأن هذا القول ناتج عن علم ومعرفة ، ولذلك أتبعه بقوله : " ما يعلمهم إلا قليل " ، أما حذف الواو من القولين الأولين فإنه يفيد نفي هذا التأكيد وهذا يفسر بأن هذا القول ناتج عن جهل ورمى به جزافا ورجما بالغيب ولذلك ؟ تهمهما سبحانه بقوله : " رجما بالغيب " .

يقول الزمخشري : " فإن قلت : لما حذفت الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأولين ؟ قلت : هي الواو التي تدخل على الجملة

---

(1) الكهف ٢٢

الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ، ومررت بزيد وفى يده سيف ، ومنه قوله تعالى :—

" وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم " (١) ، وفائدتها : تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت ومستقر ، وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا : سبعة وثامنهم كلبهم ، قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ، ولم يرجموا بالغيب كما رجم غيرهم ، والدليل عليه أنه سبحانه أتبع القولين الأولين قوله : " رجما بالغيب " وأتبع القول الثالث قوله : " وما يعلمهم إلا قليل " (٢)

ونظير الآية السابقة قوله تعالى : " وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٣) وقوله : " وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون " (٤) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة التى يذكر الحرف فى آية منها ويحذف من آية أخرى شبيهة بها .. (٥) .

٢) حذف الجار والمجرور :—

قال تعالى : " وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا : نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين " (٦) ، ففى الآية حذف الجار والمجرور والتقدير :— وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله على محمد ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، والسر البلاغى لهذا الحذف هو أن الخطاب فى الآية الكريمة موجه لبنى إسرائيل أعداء الإسلام والمسلمين ، وفى حذف الجار والمجرور ، وعدم التصريح باسم النبى — عليه الصلاة والسلام — تأليف لقلوبهم ، واستمالة لهم ، لأن ذكره يثير ما فى قلوبهم من ضغائن وأحقاد للإسلام ، كما أن حذفه يجعل الدعوة عامة

---

١) الحجر ٤ ٢) الكشاف جـ٢ ص ٥٥٧ ٣) الحجر ٤
٤) الشعراء ٢٠٨ ٥) انظر آل عمران ١٨٤ وفاطر ٢٥ وانظر الزمر ٧١ ، ٧٣
٦) البقرة ٩١ .

عامة ،وا لامر الموجه إليهم شاملا ،فهى دعوة لهم كى يؤمنوا بكل الكتب وبجميع الانبياء ،وفى هذا جمع وتوحيد لما بثه هؤلاء اليهود من الفرقة بين الاديان ،، (١)

وقال تعالى : " قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ،كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون " (٢) والتقدير : قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا بمشاركة غيرهم ،خالصة يوم القيامة فحذف الجار والمجرور أفاد أن زينة الله وطيبات رزقه ،قد خلقت أساسا للذين آمنوا ، وأن الكفار وان شاركوهم فى التمتع بهذه الزينة وتلك الطيبات فهى مشاركة ينبغى السكوت عنها وطيبها وكأن الطيبات وزينة الحياة إنما خلقت للذين آمنوا وحدهم ولا يستحق التمتع بها سواهم .

يقول الزمخشرى : " فإن قلت: هلا قيل: هى للذين آمنوا ولغيرهم ؟ قلت : لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة ،وأن الكفرة تبع لهم ،كقوله تعالى : " ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير (٣) .

وقال تعالى : " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " (٤) والتقدير : ولا تعتدوا بالقتال أو فى القتال فحذف الجار والمجرور قد أدى الى تكثير المعنى حيث أفاد النهى عن البدء بالقتال والاعتداء كما أفاد النهى عن الاعتداء أثناء القتال ،فلا نقتل من لا يقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى ،ونكف عن قتال من ألقى إلينا السلم وكف عن الحرب ،ولا نقطع

١) انظر النباء العظيم د/ عبد الله دراز ص ١١٤ ٢) الاعراف ٣٢
٣) البقرة ١٢٦ ٤) البقرة ١٩٠
الكشاف جـ٢ ص ٧٩

الأشجار، تحرق الزرع، وغير ذلك من أنواع الاعتداءات، فحذف الجار والمجرور قد أفاد تكثير المعني وتعميم النهي، وهكذا كان ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة أو كما قال عبد القاهر.

وقال تعالي: " ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتي يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا " (١) أى: إن العهد كان مسئولا عنه فحذف الجار والمجرور يفيد المبالغة في وجوب الوفاء بالعهد والمحافظة عليه وذلك أن الحذف قد أدى إلي جعل العهد هو المسئول عن نقضه ونكثه، وهذا يومئ بالتوبيخ والتبكيت والوعيد لهؤلاء الذين ينقضون العهود والمواثيق ولا يوفون بها.

يقول الزمخشري: " كأن يقال للعهد: لم نكثت؟ وهلا وفي بك؟ تبكيتا للناكث، كما يقال للموءودة: بأى ذنب قتلت " (٢).

ولهذا جعل النبي صلي الله عليه وسلم نقض العهد آية من آيات النفاق فقال عليه الصلاة والسلام: " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ".

وقال تعالي: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون. فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولاتكفرون. ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون. ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين " (٣).

ففي هذه الآيات الكريمة نرى حذف الجار والمجرور في عدة مواضع، كما

---

١) الإسراء ٣٤ ٢) الكشاف جـ٢ ص ٥١٩
٣) البقرة ١٥١ — ١٥٥

نوع حذف المبتدأ ،ففي قوله : " ويزكيكم " حذف الجار والمجرور ،والمعني ويطهر نفوسكم من الشرك والأخلاق الهابطة والرذائل المقوتة .

فقد أفاد حذف الجار والمجرور تعميم التطهير وشموله لكل ماكان منتشرا بينهم في الجاهلية من العادات القبيحة والأخلاق الهابطة والرذائل المقوتة وفوق هذا كله التطهير من آثار الشرك وأدرانه .

وكذلك قوله : واستعينوا بالصبر والصلاة " أى : استعينوا بهما علي إقامة دينكم والدفاع عنه وعلي سائر مايشق عليكم من مصائب الحياة ومتاعبها الكثيرة وقد عدد سبحانه بعضًا من هذه المتاعب : الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ،فالسر البلاغي لحذف الجار والمجرور هو أن تشمل الاستعانة كل هذه الأمور ،وتعم كل مايطلب العون عليه من الله سبحانه وتعالي ،فالصبر صفة من صفات الأنبياء والمتقين ،والصلاة صلة بين العبد وربه تعطر بمناجاته فيها كل المشاق والصعاب ،ولهذا كانا جديرين بأن يأمرنا الله تعالي بالاستعانة بهما علي كل صعاب الحياة وآلامها ولبيان منزلة الصابرين عند الله وفضلهم قال تعالي : " وبشر الصابرين " ،وطوى المبشر به ليشمل كل أنواع الخير ،ويعم كل مايمكن أن يتصوره الإنسان ومالا يمكن أن يتصوره من أنواع النعيم التي أعدها الله لعباده الصابرين ونرى في الآيات كذلك حذف المبتدأ في قوله : " ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء " أى : لاتقولوا : هم أموات بل هم أحياء فحذف المبتدأ الأول كراهة أن تسند صفة الموت إلي الشهداء ،وحذف المبتدأ الثاني إسراعا إلي ذكر الحياة ووصفهم بها ..

وقال تعالي : " إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا " (١) .

---

(١) البقرة ٢٦ .

والتقدير في هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات التي ذكر فيها الكفر والإيمان الذين كفروا بالله ورسله وكتبه، والذين آمنوا بالله وكتبه ورسله وملائكته .. — والسر البلاغي لهذا الحذف هو شهرة المحذوف وذيوعه ، فقد اشتهر أن الكفر والإيمان لا يطلقان إلا ويراد بهما الكفر بالله ورسله وكتبه وملائكته .. أو الإيمان بهم ، هذه الشهرة أغنت عن ذكر الجار والمجرور في الآية الكريمة ..

وقد رأينا البلاغيين يشيرون إلى ذلك كثيرا ، فيذكرون أن الشيء يحذف لشهرته وذيوعه ، حيث تغني الشهرة والذيوع عن ذكره والتصريح به" (١) .

وقال تعالى : " إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون " (٢) .

والتقدير : فهل أنتم منتهون عن هذه الأفعال القبيحة ، والسر البلاغي لهذا الحذف هو أن المقام مقام حسم لهذه الأفعال وتلك العادات المنتشرة بين القوم ولانتشارها بينهم وتغلغلها في نفوسهم لم يأت التحريم حاسماً قاطعاً بل جاء تدريجيا : " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس" (٣) .

ثم : " لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" (٤) ، ثم جاء التحريم الحاسم القاطع في هذه الآيات : " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان .."

فالمقام إذاً ، مقام حسم وردع ، ومقام الردع والزجر تكفي فيه الإشارة وتغني فيه اللمحة عن الكلمات ، ولهذا جاء الحذف في الآية ليفيد أن هذه العادات ينبغي إزالتها ويجب التخلص منها ، وكأن حذفها من اللفظ يوحي بوجوب الانصراف عنها ، والقضاء عليها .

---

١) أنظر ص ١٥ / ٦٧ ٢) المائدة ٩١
٣) البقرة ٢١٩ . ٤) النساء ٤٣

ونلاحظ أن سياق الآيات يوحي بهذا الحسم وذلك الردع ،فالاستفهام في قوله : " فهل أنتم منتهون " ؟ ،ثم حذف جوابه ،لأنه يتحتم أن يكون بالاجابة السريعة ،ولقد أسرع القوم فأجلبوا أمر الله ،وانتهوا عما نهاهم ، ولكن الأسلوب مازال عنيفا شديدا : " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا " (١) ، أى : واحذروا مخالفة أمره ،فحذف المفعول لأنه يجب ألا تكون هناك مخالفة ،بل يجب التسليم الكامل والإجابة السريعة ، فلتسقط المخالفة من اللفظ ليكون سقوطها موحيا لهم ومنبئا بضرورة إزالتها والقضاء عليها ، وصيرورتها إلي عالم النسيان ..

وقال تعالي : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " (٢) ،والتقدير :أمرناهم بالطاعة ففسقوا والسر البلاغي لهذا الحذف هو أن المقام مقام إهلاك وتدمير لهؤلاء الذين عصوا أمر ربهم ففسقوا وطغوا وعثوا في الأرض فسادا فاستحقوا بذلك غضب الله وحق عليهم التدمير والتعذيب ،وكان حذف الجار والمجرور مفيدا أن الله عز وجل ، لا يريد أن يذكر لفظا يدل علي الطاعة أو الخير ،بل أراد سبحانه :أن يكون الأسلوب كله عنيفا شديدا صاخبا ،وهذا الأسلوب المنيف واضح في ألفاظ الآية الكريمة أردنا أن نهلك — أمرنا — ففسقوا — حق عليها القول — دمرناها تدميرا ،ثم في هذه الفاءات التي تدل علي سرعة تعاقب الأحداث ،وسرعة المؤاخذة والتدمير .

فالسر البلاغي لحذف الجار والمجرور إذا ،هو أن يظل الأسلوب عنيفا شديدا خاليا من كل ما هو طاعة أو خير .

---

١) المائدة ٩٢ ٢) الاسراء ١٦

ومن ذلك قوله تعالي : " إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر . " (١) والتقدير : إن شانئك هو الأبتر من الخير وسر الحذف هو ألا يذكر لفظ " الخير " بجوار لفظ " الأبتر " ليظل هكذا أبتر مجردا من كل ما هو خير وصلاح .

٣ — حذف المضاف :—

قال تعالي : " وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت : هل أدلكم علي أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . " (٢) فالمراضع : جمع مرضع ، والمعني : وحرمنا عليه ثدى المراضع ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

فما السر البلاغي لهذا الحذف ؟ لننظر في سياق الآيات الكريمة ، فهي تقص علينا خبر موسي — عليه السلام — وهو في المهد ، إذ ولد — عليه السلام في وقت يقتل فيه كل مولود من بني إسرائيل بأمر فرعون ، بناء علي نبوءة نبي بها فتلقيه أمه في اليم بوحي من الله بعد أن وعدها برده إليها : " إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . " (٣) وتدفق الأمواج بالطفل إلي قصر فرعون فيلتقطونه ويلقي الله بمحبته في قلب امرأة فرعون ، فتتخذه ولدا ، ثم يبحثون له عن مرضع ولكن الطفل يرفض الرضاعة من أى ثدى .

وتظهر هنا قيمة الحذف في : " وحرمنا عليه المراضع " ، فهو يفيد أن الطفل يرفض الرضاعة رفضا تاما ، وينفر من قبول النساء نفورا مطلقا ، ليس فقط من الثدى ولكن من الملمس وغيرها ، فهو يرفض أى محاولة ، وينفر من كل حيلة تقوم بها النساء لتهدئته وإرضائه ، ولنتصور منظر طفل صغير حديث الولادة ، وظل مدة طويلة بدون رضاعة ، إنه سيكون في صراخ مستمر وبكاء متصل ، فحذف المضاف

---

١) سورة الكوثر ٢) القصص ١١
٣) القصص ٧ .

أفاد المبالغة في نفور الطفل للرضاع وشدة نفوره من قبول الثدي ، ومما يقوى ذلك قوله : " وحرمنا " وكأن الطفل مكلف ، وهذه الثدي حرمت عليه فهو لا يقربها ، وبهذا تحقق وعد الله تعالى : " فرددناه إلى أمه كي تقر عينها " .

ومن ذلك قوله تعالى : " واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون " (١) ، أي : سل أهل القرية وأصحاب العير .

وسر الحذف أن إخوة يوسف — عليه السلام — يريدون أن يثبتوا لأبيهم وأن يؤكدوا له ، صدقهم فيما يخبرون ، فقد فرطوا من قبل في يوسف ، إذ ألقوه في غيابة الجب وادعوا أن الذئب قد أكله ، والآن يخبرونه أن ابنه الآخر الذي كان سلوًا له ، قد سرق ، وهم يعلمون أنه سينكر أمر هذه السرقة ، ولهذا أكدوا له الخبر : " إن ابنك سرق " ، " إنا لصادقون " ثم بالغوا في تصوير صدقهم بحذف هذا المضاف الذي يدل على أن أمر هذه السرقة قد شاع وانتشر بين أهل القرية وأصحاب العير حتى أن القرية وهي المباني والطرقات والأشجار والمزارع كادت تعلم به ، ولو سألتها لأجابت ، فما بالك بأهلها ؟ وحتى أن العير وهي حيوان أعجم كادت تفهم أمر هذه السرقة ، لكثرة دورانها على الألسنة ، فما بالك براكبيها ؟ ، فلا مجال إذًا ، لتكذيبهم والإنكار عليهم ، لأن الأدلة على صدقهم ظاهرة بينة " .

وقوله تعالى : " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم .. (٢) ، والتقدير : — حرم عليكم نكاحهن ، لأن الآية في سياق الحديث عن النكاح فقبلها : —

" ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا " ، وهذا الحذف يفيد المبالغة في تحريم النكاح ، كما يوحي

---

١) يوسف ٨٢ ٢) النساء ٢٣ .

~~كما يجيء~~ بتحريم كل مالا يليق بهن من عقوق ووحرمان وإساءة في قول أو عمل وهذا هدف من أهداف أسلوب الحكيم فالتحريم وإن انصرف إلي النكاح فإن حذف المضاف أفاد المبالغة في هذا التحريم وأوحي بالأولي خفي بتحريم كل مالا يليق بهن ..

وقوله تعالي : " إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير .. (١)

والتقدير : إنما حرم عليكم تناول هذه الأشياء والانتفاع بها فحذف المضاف وهذا الحذف يفيد المبالغة في تحريم تناول هذه الأشياء لما فيه من الضرر الذى يلحق الإنسان من تناولها ولهذا نراه يحذف الفعل ثم الجار والمجرور من نفس الآية الكريمة : فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه " إذ التقدير : فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه في تناوله لها فحذف الفعل والجار والمجرور يشير إلي أنه يجب تجنب هذه الأشياء ويتحتم تركها والابتعاد عنها إلا في الضرورة القصوى .

ولهذا رأينا علماء الأصول يقررون أنه إذا اضطر الإنسان لتناول الميتة فإنه يجب عليه أن يتناول منها بقدر ما يضمن له الحياة والبقاء ولا يجوز له الإكثار من تناولها لما في ذلك من الضرر المحقق .

فحذف المضاف ثم الفعل والجار والمجرور في الآية الكريمة يشير إلي وجوب تجنب هذه الأشياء ويبالغ في تحريم استعمالها والانتفاع بها بأى وجه من وجوه الاستعمال .....

---

١) البقرة ١٧٣ .

وقال تعالي : " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون " [1] ، والتقدير : مثل داعي الذين كفروا وحذف المضاف هنا يفيد الارتفاع بشأن الداعي وتنزيهه عن أن يذكر فى اللفظ ويقرن بهم لا .....

ومن ذلك قوله تعالي : " ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً " [2] أى : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، فحذف المضاف كراهة وقوع لفظ العذاب علي النبي — صلي الله عليه وسلم — ، وهذا يوحي بتكريمه — عليه الصلاة والسلام — وعظيم منزلته عند الله عز وجل .....

وقال تعالي : " نساؤكم حرث لكم " [3] ، والتقدير : فروج نسائكم حرث لكم ، فحذف المضاف هنا استقباحاً لذكره فى اللفظ ، كما قالت فاطمة رضي الله عنها : " ما رأيت منه ولا رأى مني " ، أى : ما رأيت منه عورته ولا رآها مني ، فحذفت المفعول وهو العورة استقباحاً لذكره فى اللفظ .....

وسر آخر للحذف فى الآية الكريمة ، وهو ظهور المضاف ووضوحه ، فلا أحد يجهل موطن الحرث من المرأة ، وفيه أيضا إيحاء وإشارة إلي الموطن الاستمتاع المختلفة بالمرأة من نظرة وملامسة وقبلة .... الي آخر ذلك ، ولو ذكر المحذوف لما أفاد هذا المعني ولكان الاستمتاع مقصوراً علي موطن الحرث فقط ...

---

(١) البقرة ١٧١
(٢) الإسراء ٧٤، ٧٥
(٣) البقرة ٢٢٣

وقال تعالى : " ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا : سمعنا وعصينا ، وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " (١) . . والتقدير : وأشربوا في قلوبهم حبّ العجل ، فحذف المضاف . . . . .

وهذا الحذف يصور لنا فرط إعجابهم بالعجل وافتتانهم به ، حتى أنهم اتخذوه إلهاً من دون الله . . . . . .

ونلاحظ في الآية الكريمة حذف المفعول الثاني في قوله : ثم اتخذتم العجل من بعده " ، أي : اتخذتم العجل إلهاً ، وهذا الحذف يفيد أن تأليههم للعجل لا ينبغي أن يكون ، بل يجب السكوت عنه تخليهم عن اعتقاده ، فهو من الشناعة والفظاعة بمكان ، وما كان ينبغي لهم أن يقدموا على مثل هذا الفعل ، ويعتقدوا مثل هذا الاعتقاد . . . . .

كما نلاحظ أيضاً حذف القول في قوله : " وخذوا ما آتيناكم بقوة " ، أي قائلين : خذوا . . . . وهذا الحذف يجعل الصورة التي صورت للجبل والتي تخيلناها له ، حاضرة في الأذهان وكأننا نشاهدها عند سماع قوله تعالى : — " خذوا ما آتيناكم بقوة . . . . " ، وهذا أشد تأثيراً في النفوس من الحكاية بالقول . . . كما سنرى . . . . (٢) .

وقال تعالى : " قالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم " (٣) ، والتقدير : لو نعلم

(١) البقرة ٩٢ ، ٩٣ (٢) انظر ص ١٦٨ (٣) آل عمران ١٦٧

— أن هذا المكان مكانُ قتال ،وذلك أن القوم كانوا أدرى الناس بأمور الحرب وأفانين القتال ،فالحذف هنا يشير إلي توبيخ هؤلاء المنافقين وتبكيتهم وتحقير شأنهم ، حيث أدى إلي وصفهم بالمجز فيما يفخرون ويكرهون أن يوصفوا بالمجز فيه ،فهم يتفاخرون بالشجاعة وحسن البلاء في القتال والمعارك ، وقولهم : لو نعلم قتالاً ، وصف لهم بعدم معرفة طرق القتال وأفانين الحرب ،وفي هذا من التوبيخ والتكيت لهم ما لا يخفي ... فلو كانوا صادقين ومؤمنين حقا لأدلوا بنصائحهم ،فالأمر شورى بينهم ،ولكنه النفاق والعناد والإصرار علي الكفر والضلال ...

وقال تعالي : " فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشي عليه من الموت " (١) ، أي : تدور أعينهم كدوران عين الذى يغشي عليه من مداناة الموت .....

وسر الحذف في الآية الكريمة هو أن المقام مقام خوف وفزع ،ومقام الخوف والفزع مقام همس وإشارات ولمح ،مقام تكفي فيه الإشارة وتغني فيه الهمسة ، بل يحسن فيه الصمت والسكوت .....

وسر آخر وراء هذا الحذف وهو مراعاة الدقة في النظم والسهولة في التعبير ولنتأمل : تدور أعينهم كدوران عين الذى يغشي عليه من مداناة الموت ، نرى فيه من الثقل الناتج من كثرة الإضافات ما يذهب بجمال المعني ، ويضيع حسنه وبهاءه ،ونرى حذف المضافات قد رفع هذا الثقل ،وجعل الكلام سهلاً في مجارى النطق ،وحافظ علي دقة التعبير وجمال النظم القرآني .....

(١) الأحزاب ١٩

— ومن ذلك قوله تعالى : " فقبضت قبضة من أثر الرسول "[1] ، والتقدير فقبضت قبضة من أثر حافر فرس الرسول ، ونرى فى هذا التقدير ثقلاً يفقد المعنى جماله ، ولهذا رأينا البلاغيين يشيرون إلى ضرورة تناسي المحذوف ، وعدم تقديره ، لأن تقديره يذهب بالمعنى البلاغي الذى من أجله كان الحذف

وحذف المضاف كثير جدا فى آيات القرآن الكريم ، ونكتفي منه بهذا القدر لنرى صور الحذف الأخرى وأسرارها البلاغية فى أساليب القرآن الكريم .

---

٤) حذف المبتدأ

قال تعالى : " ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه . هدى للمتقين "[2] ، والتقدير : ذلك الكتاب لا ريب فيه هو هدى ، والحذف هنا يشعر بالاتصال المباشر بين . : . " الكتاب " وبين " هدى " ولو ذكر المبتدأ فقيل : هو هدى لزال هذا الاتصال بين الكتاب وهدى ، إذ مع الذكر يكون : هدى خبرا عن ضمير الكتاب ، ومع الحذف فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أنه صفة مباشرة له ، ولهذا فإن الحذف يحقق القيمة الحقيقية ويرقى من شأن الكتاب إذ يجعله نفس الهدى ولم يقل " هاديا " مثلاً ، لأنه يريد أن يظهر قيمة الكتاب فى التأثير والعطاء ، فجعله نفس الهدى .....

---

(١) طه ٩٦ (٢) البقرة ٢ ، ١

وسر آخر لهذا الحذف وهو أن ذكر المبتدأ يؤدي إلي نوع من الثقل اللفظي ،إذ يصبح الترتيب : لا ريب فيه هو هدى ،فاجتمعت ثلاث ها ءات ، لا يفصل بينها إلا حرف واحد ،والهاء من حروف الحلق المعروفة بالثقل ، — فحذف المبتدأ يرفع هذا الثقل ويجعل الكلام سهلا في جريانه علي اللسان وأعضاء النطق .....

وقال تعالي : " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " (١) ، والتقدير : هذه الرؤيا أضغاث أحلام ....

والسر البلاغي لهذا الحذف هو تنزيه كلام الملك ،والارتفاع به عن أن — يوصف بهذا الوصف ،فالملأ في حضرة الملك ،وقد طلب منهم الفتوى لرؤيا ، التي رآها ،فكيف يجرأون علي وصف كلامه بأنه أضغاث أحلام ؟ ..
فحذف المبتدأ إذا أفاد أن كلام الملك أرفع وأنزه من أن يوصف بهذا الوصف لعلو مكانته وسمو منزلته .....

وقال تعالي : " قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا : أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون " (٢) .

---

١) يوسف ٤٣ ، ٤٤ ٢) الأنبياء ٤ ، ٥

والتقدير : بل قالوا : هذا القرآن الذى أتي به أضغاث أحلام ....

فحذف المبتدأ تحقيرا له — فى اعتقادهم — وكأنهم يكرهون أن يجرى اسم لهذا القرآن علي ألسنتهم ، فهي أرفع وأنزه من أن تتلوث بالنطق به ، وهذا يوحي بمدى تكبرهم وعنادهم ، فلقد أقروا له بالإعجاز ، ورغم ذلك أبوا إلا الإصرار علي الكفر والعناد ، والرفض للدعوة ، والتفنن فى اختلاق الأوصاف التي يعللون بها رفضهم وكفرهم ....

ومن ذلك قوله تعالي : " ولقد أرسلنا موسي بآياتنا وسلطان مبين إلي فرعون وهامان وقارون فقالوا : ساحر كذاب " (١) ، أى : هو ساحر كذاب ... وقوله : " وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا " (٢) ، أى : وقالوا : هذا القرآن أساطير الأولين ....

وقوله : " كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون " (٣) ، أى : هو ساحر أو مجنون .... فحذف المبتدأ فى هذه الآيات الكريمة ونحوها يشير إلي تحقيرهم لهذا القرآن واستهزائهم وسخريتهم من رسل الله — عليهم الصلاة والسلام — واعتقادهم أن هذا القرآن وهو لا الرسل لا يستحقون الذكر ، فألسنتهم أجل وأعظم من أن تتحرك وتنطق بأسمائهم ، هذا يوحي بمدى عنادهم وتكبرهم وإعراضهم عن قبول الحق والهداية ، ونلاحظ حذف الفاعل فى قوله : " فهي تملي عليه " وهذا الحذف يشير إلي تجاهلهم وإنكارهم لله عز وجل الذى أنزل القرآن للهداية والنور ، وكأنه مجهول — في

---

(١) غافر ٢٣ ، ٢٤ ٢) الفرقان ٥ ٣) الذاريات ٥٢

— فرعون — حقير — في اعتقادهم — لا يستحق أن يذكر في الكلام ولا أن تتفوه به ألسنتهم .....

وقال تعالى : " قال فرعون : وما رب العالمين ؟ قال : رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله : ألا تستمعون ؟ قال : ربكم ورب آبائكم الأولين . قال : إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون . قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال : لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين " (١) ، فحذف المبتدأ في هذه الآيات الكريمة في ثلاثة مواضع كما هو واضح ، وسر هذا الحذف هو أن موسي — عليه الصلاة والسلام — رأى ما عليه فرعون من تكبر وعناد ، ومن سخرية واستهزاء بما جاءه به ..... ففرعون قد جعل من نفسه إلهاً علي الأرض : " لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين " ، فهو لا يعترف بوجود الله ، ويسخر من موسي " ويؤكد أنه مجنون ، ولهذا أراد موسي — عليه السلام — أن ينزه اسم الله تعالي عن الذكر في هذا المقام ، فالله سبحانه وتعالي أكبر وأعظم من أن يذكر في مقام كهذا المقام الذي تكبر فيه فرعون وطغي واستعلي ، وهذا هو السر في حذف المبتدأ في الآيات الكريمة .....

يقول السيوطي : " لأن موسي — عليه السلام — استعظم حال فرعون وإقدامه علي السؤال فأضمر اسم الله تعالي تعظيما وتفخيما . " (٢) .

ومن هنا نرى : أن البلاغيين عندما يذكرون أن المبتدأ أو المسند إليه

---

(١) الشعراء ٢٣ — ٢٩ (٢) معترك الاقران جـ١ ص ٣٠٧

— قد يحذف تنزيهاً له عن الذكر وعن أن يتفوه به اللسان ، أو تنزيها للسان عن النطق به ، عندما يذكرون ذلك — إنما يستمدونه من أساليب القرآن الكريم ، ومما جاء في أساليب العرب الفصحاء .....

وقال تعالى : " إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم " (١) ، أي : ذلك متاع قليل ، فما السر البلاغي وراء حذف المبتدأ هنا ؟ : إننا نرى كثيراً من الكفار ينعمون في الدنيا ويعيشون في ترف ورغد من العيش ، نراهم يتمتعون بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة . والأنعام والحرث ، وينعم الله عليهم بالصحة والقوة ، فكأن المستمع والقارئ لقوله تعالى : " إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون " ، تحرك خياله فأخذ يتصور هذا النعيم الذي يعيش فيه الكفار وينعمون به ، ألا يعد هذا فلاحاً وفوزاً ؟ ، فجاءت الآية الثانية التي يسميها البلاغيون بالاستئناف — البياني لتجيب على هذا السؤال الذي أثارته الجملة الأولى ، وتخيله السامع وكأن الله عز وجل يقول لهم : إن هذا الذي تتصورونه ويدور في أخيلتكم متاع قليل زائل إذا ما قورن بنعيم الآخرة المقيم الدائم ، وكان حذف المبتدأ في الآية الكريمة مشيراً إلى أن هذا المتاع الدنيوي حقير ، لا يستحق الذكر ، فأين هو من متاع الآخرة ونعيمها ، إنه لا وجه للمقارنة بينهما ، ولهذا كان حقه الطي والحذف ليكون سقوطه من اللفظ دليلاً على حقارته وعدم الاعتداد به .....

ومن ذلك قوله تعالى : " لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد " (٢) ، أي : ذلك متاع قليل ، .

---

(١) النحل ١١٦ ، ١١٧ ٢) آل عمران ١٩٦ ، ١٩٧ .

وقوله : " قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون " (١) ، أي : ذلك متاع في الدنيا ... ، فحذف المبتدأ أشار إلى أن هذا التقلب ، وذلك التمتع لا قيمة له إذا قيس بمتاع الآخرة ونعيمها الذي أعده الله لعباده المؤمنين ولذلك يقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع " ، فحذف المبتدأ إذا يوحي بحقارة هذا المتاع الدنيوي ، وعدم الاعتداد به ، وأنه لا يستحق الذكر والتصريح ، فحقه أن يطوى من اللفظ ويطرح من الكلام ....

وقال تعالى : " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون " (٢) ، أي : هم صم وبكم وعمي .....

وسر الحذف هنا هو الإشارة إلى إعراض هؤلاء الكفار عن الدعوة ، وانصرافهم عنها ورفضهم التام لها ، حتى أنهم قد اشتهروا بهذه الصفات وأصبحت علما عليهم ، وصارت لا تطلق إلا انصرفت إليهم ....

كما نرى أن حذف واو العطف يوحي بأن هذه الصفات الثلاث قد اندمجت والتحمت وصارت شيئا واحدا فهم يوصفون بها جميعا وكأنها صفة واحدة ، وهذا يدل على اعراضهم الشديد ورفضهم قبول الدعوة ، حيث عطلوا جميع أدوات الإدراك لديهم فلا يسمعون ولا يتكلمون ، ولا يبصرون وكأنهم أبوا إلا محاربة الدعوة وصاحبها والإعراض عنها عنادا وتكبرا واستعلاء ، هكذا أفاد حذف المبتدأ مع حذف حرف العطف .

(١) يونس ٦٩ ، ٧٠ (٢) البقرة ١٧١

وقال تعالي : " ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم " (١) ، أى : فهم إخوانكم فى الدين ومواليكم فحُذف المبتدأ والسر البلاغي لحذفه هو أن النفوس متطلعة إلي الخبر ومتشوقة إليه ، فالإسراع بذكره يكون أوقعَ فى النفس وأشدَّ تأثيراً ، وذلك أن الله عز وجل أمرنا فى الآية الكريمة ، أن ننسب الابن إلي أبيه الحقيقي : " ادعوهم لآبائهم " ، فماذا يكون إذا لم نعلم من أبوه الحقيقي ؟ " فإن لم تعلموا آباءهم " ؟ وهنا تتطلع النفوس وتنتظر فى شوق معرفة الحكم فى ذلك ، فيكون الإسراع بذكر الخبر عندئذ أوقع فى النفوس وأشد تأثيرا ، وخاصة أن المبتدأ قد ذكر فى سياق الآية الكريمة ، فهو حاضر في الذهن ماثل أمام العقول ، فلا داعي يدعو لإعادته وذكره هنا ، وإلا كان ذلك عبثا وتكرارًا لا حاجة إليه ، ولهذا وجب حذف المبتدأ وطيه .....

ومن ذلك قوله تعالي : " ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء " (٢) ، أى : لا تقولوا : هم أموات بل هم أحياء ولكن لا تشعرون ..... فحذف المبتدأ الأول كراهة أن يوصفوا بهذه الصفة وأن تسند إليهم فى اللفظ وحذف المبتدأ الثاني إسراعاً إلي ذكر صفة الحياة والتصريح بها وهذا يوحي بما للمجاهدين من مكانة عالية ومنزلة سامية عند الله عز وجل ....

وقوله عز وجل : " وإذا تتلي عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ، قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ، النار ، وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير " (٣) .

---

(١) الأحزاب ٥ (٢) البقرة ١٥٤ (٣) الحج ٧٢

وقوله : " سأصليه سقر وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر "(١)
وقوله : " وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ما هيه ؟ نار حامية "(٢)
وقوله سبحانه : " كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة "(٣) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة .....

ففي هذه الآيات ، قد تقدم على المبتدأ المحذوف استفهام يشوق إلى الخبر ، ويجعل النفوس تتطلع إليه وتترقبه ، فحذف المبتدأ عندئذ ، والإسراع بذكر الخبر يكون أوقع في النفس وأشد تأثيراً ، كما أن في حذفه والإتيان بالخبر مجرداً عن الإسناد ، وفاجأة النفوس به في صدر جواب الاستفهام ما يفيد التفظيع والتهويل من شأنه .....

أي ما شأنها الخبر [المبتدأ]

وقال تعالى : " وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاماً ، قال : سلام قوم منكرون "(٤) ، أي : أنتم قوم منكرون أو هؤلاء قوم منكرون ، فحذف المبتدأ ، كما حذف الجار والمجرور والفصل والفاعل ، إذ التقدير : قالوا : نسلم سلاماً ، قال : سلام عليكم ، أنتم قوم منكرون .....

وسر هذا الحذف هو أن المقام مقام خوف وفزع ، ومقام الخوف يحلو فيه الصمت وتنفي فيه الإشارة ، فسيدنا إبراهيم عليه السلام عندما دخلوا عليه وبادلوا التحية ، همس في نفسه قائلاً : قوم منكرون " ، أي : هؤلاء قوم ، فحذف المبتدأ يوحي بما دخل نفسه من خوف وما انتابه من رعب عند رؤية الملائكة ، وهذا يوحي بذلك أيضاً رده التحية بلفظ واحد ، سلام ، ثم هذه الفاءات

١) المدثر ٢٦ ـ ٢٩ ٢) القارعة ٨ ـ ١١ ٣) الهمزة ٤ ـ ٦
٤) الذاريات ٢٤ ، ٢٥

— التي تشير إلى تلاحق الأحداث وتتابعها في سرعة خاطفة : « فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم فقال : ألا تأكلون ؟ ، فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ... » (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : « وجاءوا على قميصه بدم كذب قال : بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » (٢) ، وقوله : « قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم » (٣) ، والتقدير : فأمري أو فشأني صبر جميل .....

والسر البلاغي لهذا الحذف هو أن المقام مقام حزن وألم ، حيث فقد يعقوب يوسف — عليهما السلام — الذي كان يتنبأ باصطفاء الله له ، ثم فقد بعده أخاه الذي كان عزاءه وسلوى يسلو به يوسف ، وهذا ما يسمم في النفس الألم ويثير الحزن ويفجر الأسى ، ثم من الذي تسبب في ضياع يوسف وأخيه ؟ إنهم إخوتها وأبناؤه الذين سولت لهم أنفسهم أمراً وهذا الموقف من الأبناء تجاه أخويهما وأبيهم مما يثير في النفس أيضا الحزن والألم ، فالمقام إذاً مقام حزن يحلو فيه الصمت ، ويستعذب فيه السكون ، وتخفي فيه الهمسة عن الكلمات ، فليصمت اللسان ويترك العينين تفيضان بالدموع : « وتولى عنهم وقال : يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » (٤) .

وهذا هو السر البلاغي لحذف المبتدأ في الآيتين الكريمتين ....

---

(١) الذاريات ٢٦ — ٢٨ (٢) يوسف ١٨ (٣) يوسف ٨٣
(٤) يوسف ٨٤

٥) حـــذف الخـــبر

قال تعالى : " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات " (١) .

والتقدير : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا كمن يحاسب نفسه ويراقب الله في عمله ، فحذف الخبر المقابل للمبتدأ ، وهذا الحذف يفيد : أنه لا وجه للمقارنة بين الفريقين ، فهما متباعدان ومتباينان ، وينبغي ألا يذكر هذا بجانب ذاك ، لبعد منزلة المحذوف وشرف مكانته التي تسمو به عن أن يقرن بالمبتدأ المذكور .

وهذه ظاهرة مطردة في أساليب القرآن الكريم ، حيث يحذف المقابل في الاستفهام ، إما تشريفًا له وتكريما ، وترفعا به عن أن يقرن بالمبتدأ وإما تحقيرا له وانحطاطا به عن أن يقرن به ويذكر بجانبه ....

ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " (٢) ، أي : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه ، فحذف الخبر حتى لا يذكر بجانب المبتدأ ويترن به ، وذلك تحقيرًا له ، وتسفيها لأحلام هؤلاء القاسية قلوبهم ويوحي بذلك أنه : ذكر ما يدل على الخبر المحذوف بأسلوب التهديد والتوعد " فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " ....

---

(١) فاطر ٨

(٢) الزمر ٢٢

يقول التنوخي في هذه الآية الكريمة : " وسياق الكلام يقتضي أن يكون : أفمن شرح الله صدره كمن أقسى قلبه ، ومثل هذا يقتضي الأدب أن يكون منسوبا إلى العبد لا إلى الرب ، وأيضا يكون قد حصل الترديد بين المشروح قلبه ، والقاسي قلبه ، ويشبه أن يكون ذلك تسويه فأفرد القاسي قلبه ، وذكر على سبيل الذم فقط " (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : " أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة " (٢) ، وقوله : " أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض ... " (٣) وقوله : " أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ، وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون " (٤) .

فحذف الخبر في هذه الآيات الكريمة ونحوها يوحي بالتباعد والتباين بينه وبين المبتدأ إلى حد لا يتأتى معه أن يقترن هذا بذاك ، بل يتحتم فيه أن يحذف أحدهما ويطوى من الكلام ....

وقد نجد بعض الآيات الكريمة يذكر فيها الخبر المقابل في الاستفهام وذلك كقوله تعالى : " أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب " (٥) ، وقوله : " أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير " (٦) ، وقوله سبحانه : " أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة

(١) الأقصى القريب ص ٦٦ ٢) هود ١٧ ٣) الرعد ٣٣
(٤) الزمر ٢٤ ٥) الرعد ١٩ ٦) آل عمران ١٦٢

— من المحضرين "(١) ، فما السر في ذلك ؟ ...

إننا اذا تأملنا الخبر في هذه الآيات الكريمة رأينا أنه ليس المقابل للمبتدأ ، وإنما هو شيء آخر يتعلق بهذا المقابل ، وذكره في الآيات يحقق غرضا ويفيد فائدة لا تكون عند الحذف ....

ففي الآية الأولى ، ليس المقابل لمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق: : من هو أعمى ، وإنما المقابل له هو : من ليس يعلم ذلك ، والمعنى هو سبب عدا الجهل ، وكأن الله عز وجل أراد أن يذكر السبب الذي من أجله جهلوا آيات الله وانصرفوا عنها ، وأعرضوا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم ذلك السبب هو عمى بصائرهم وانطماس مداركهم ....

فالمذكور إذاً ليس هو الخبر وإنما هو سببه الذي أراد الله عز وجل بذكره تحقير هؤلاء وتبويخهم ، لانصرافهم عن الحق ورفضهم قبول الهداية .

وفي الثانية ليس المقابل لمن اتبع رضوان الله ، من باء بسخط منه تعالى ، — وإنما المقابل هو من لم يتبع رضوانه عز وجل ، فذكر سبحانه الجزاء الذي أعد لمن ترك رضوانه ، وهذا يوحي بالتهديد والوعيد لهم ...

وفي الثالثة : ليس المقابل لمن وعده الله وعدا حسنا فهو لاقيه يوم القيامة من متعه الله متاع الدنيا ، وإنما المقابل له هو من لم يعده سبحانه هذا

(١) القصص ٦١ .

- الوعد الحسن ، فحذف الخبر المقابل وذكر سببه وهو أن هؤلاء الكفار ، أرادوا الحياة الدنيا ، فمتعهم الله متاعها ، فإذا كان يوم القيامة كانوا من المحضرين في عذاب جهنم وبئس المصير ... ، فالمذكور في هذه الآيات الكريمة ونظائرها ليس هو الخبر المقابل للمبتدأ ، وإنما هو سبب من الأسباب التي تتعلق به ، والله عز وجل أراد بذكره توبيخ هؤلاء الكفار وتوعدهم لانصرافهم عن الحق ورفضهم الهداية والنور .

يقول سيد قطب معللاً لذكر المعنى مكان المقابل المحذوف في الآية الأولى : " إن المقابل لمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق ليس هو من لا يعلم هذا ، وإنما المقابل هو الأعمى ، وهو أسلوب عجيب في لمس القلوب وتجسيم الفروق ، وهو الحق في الوقت ذاته ، لا مبالغة فيه ولا زيادة ولا تحريف ، فالعمى وحده هو الذي ينشىء الجهل بهذه الحقيقة البينة الواضحة التي لا تخفى إلا على أعمى ..... " (١) .

وبهذا يتضح لنا أن حذف المقابل للمبتدأ في الاستفهام يكثر في أساليب القرآن الكريم ليوحي ببعد المنزلة بين الطرفين التي تحتم ألا يقرن هذا بذاك فإذا ذكر شيء مكان المقابل المحذوف ، فلكي يفيد مزيداً من البعد في المنزلة والمكانة بينهما ....

ومن الآيات الكريمة التي حذف فيها الخبر قوله تعالى : " والله ورسوله أحق أن يرضوه " (٢) . ، والتقدير : والله أحق أن يرضوه ، ورسوله

(١) في ظلال القرآن مج ٤ ص ١٠٥٦ ٢) التوبة ٦٢ .

ـ كذلك ، وسر هذا الحذف هو الإشارة إلى أن إرضاء الله هو نفس إرضاء الرسول ، فلا فرق بين الإرضائين : " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (١) وفيه إيحاء بأن الرسول الأمين لا ينطق إلا بأمر الله ووحيه ، : " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " (٢) ، كما يوحي هذا الحذف بوجوب الطاعة والانقياد التام لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فطاعته هي طاعة الله ورضاؤه هو إرضاؤه عز وجل .....

وقال الله تعالى : " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه " (٣) ، والتقدير : فحق وواجب أن لله خمسه .....

يقول الزمخشري في بيان سر هذا الحذف : " فأن لله خمسة : مبتدأ خبره محذوف ، تقديره : فحق أو فواجب أن لله خمسه ، كأنه قيل : فلا بد من ثبات الخمس فيه ، ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه ، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غيرَ واحد من المقدرات ، كقولك ، ثابت ، واجب حق ، لازم ، وما أشبه ذلك ، كان أقوى لايجابه من النص على واحد " (٤) .

وقال تعالى : " إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز .. (٥) والتقدير : إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لهم عقاب شديد وعذاب أليم ..

وسر هذا الحذف هو إفادة التهويل والتفظيع من شأن العقاب الذي أعد للكافرين ، حيث ترك للمخاطب أمر تخيل هذا العذاب وتصور أنواعه ، ليتخيل ويتصور ما يمكن تصوره ، فهو يفيد أن العقاب والعذاب الذي أعده الله للكافرين

(١) النساء ٨٠ ٢) النجم ٣ ، ٤ ٣) الانفال ٤١
(٤) الكشاف جـ ٢ ص ١٧٢ . ٥) فصلت ٤١

— يشمل كل ما يمكن أن يحيط به الوصف والتصور ، وما لا يمكن أن يوصف مما لا يعلمه ولا يحيط به إلا الله سبحانه وتعالى .

---

٦) حـــذف الفعـــل ...

وحذف الفعل في أساليب القرآن الكريم يأتي على ضروب مختلفة ، فقد يحذف الفعل وحده دون تعويض عنه ويبقى عمله من رفع ونصب ، وقد يحذف مع فاعله ويبقى عمله النصب في المفعول ، وقد يحذف مع إقامة المصدر مقامه وهو ما يسمى بالتعويض ...

فمن الضرب الأول حذف الفعل بعد أداة من أدوات الشرط كقوله تعالى : "إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ....." (١) .

وقوله : " إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ...." (٢) ، والتقدير : إذا كورت الشمس ... وإذا انكدرت النجوم ، وإذا انفطرت السماء ... إلى آخر الآيات الكريمة ، ودليل الحذف هو أن أدوات الشرط لا تدخل إلا على الأفعال كما يرى البصريون ، أما السر البلاغي لهذا الحذف فهو أن المقام في هذه الآيات الكريمة يقتضي التقرير والتأكيد ، لغرابة هذه الأفعال وهي : تكوير الشمس وانتثار الكواكب ، وتفجير البحار وبعثرة القبور ... إلى آخر تلك الأفعال ... فلغرابتها ولغرابة الظواهر التي تدل عليها ، اقتضى المقام التقرير والتأكيد ، لأن الناس لم يشهدوا مثلها

(١) التكوير ١ — ٩ ٢) الانفطار ١ — ٤

— من قبل ، ولن يشهدوا ذلك إلا مرة واحدة يوم البعث ، وفضلا عن غرابتها في نفسها ومخالفتها للسنن المعهود ، فإنها تتصل بقضية البعث اتصالا مباشرا ، والبعث كان مثار جدل ، وبحث إنكار ، والمناسب له التوكيد والتقرير ....

ولكن كيف أدى حذف الفعل في هذه الآيات الكريمة إلى إفادة التقرير ؟ وجواب ذلك : أن حذف الفعل يؤدي إلى تصدر الاسم ووقوعه في أول الجملة ، وعندئذ تتطلع النفوس وتنتظر في تشوق ، الحكم الذي ينسب إلى هذا الاسم ، فعند مجيئه يقع في النفس موقعه ويكون أشدّ تأثيرا ....

يقول عبد القاهر : " لا يؤتى بالاسم مبتدأ من الموامل إلا لحديث قد نوى إسناده إليه ... فإذا قلت : عبدُ الله ، فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا قام أو قلت خرج ، أو قلت : قدم ، فقد علم ما جئت به ، وقد وطأت له ، وقدمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس وقبله قبول المتهيء له المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوته ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك وأدخل في التحقيق " (١) .

ويقول الزمخشري في بيان السر البلاغي لحذف الفعل في الآية الكريمة :— " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا " (٢) :— " لو : حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء ، فلا بد من فعل بعدها في : " لو أنتم تملكون " ، وتقديره : لو تملكون فأضمر : تملك إضمارا على شريطة التفسير ، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو

١) الدلائل ص ١٥٩ ٢) الإسراء ١٠٠ ..

— ضمير منفصل ، وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم : فاعل الفعل المضمر ، وتملكون تفسيره ، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان ، فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ، وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر . "(١)

فالسر البلاغي لحذف الفعل إذاً ، هو إفادة الاختصاص كما في هذه الآية الكريمة ، أو إفادة التوكيد والتقرير ، كما في الآيات السابقة ....

ونلاحظ هنا كيف يفرق الزمخشري رحمه الله بين علمي الإعراب والبيان ، فعلم الإعراب يقتضي تقدير المحذوف لمعرفة وجه الإعراب والوقوف على أصل المعنى قبل الحذف ، أما علم البيان ، فيقتضي تناسي المحذوف وإخفاءه في النفس ، وعدم تقديره في الكلام ، وذلك لأن أصل المعنى لم يعد مراداً ، حيث إن الحذف قد أتى به ليفيد معنى بلاغيا ، ولو قدرنا المحذوف لفقد هذا المعنى الذي أفاده الحذف واقتضاه المقام .... وقد أشار البلاغيون إلى ذلك كثيرا — كما رأينا في الباب الأول ... "(٢)

ومن الآيات التي حذف فيها الفعل بعد أداة الشرط قوله تعالى : "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون "(٣) . والتقدير : وإن استجارك أحد من المشركين ... فحذف الفعل ليفيد التوكيد والتقرير الذي يقتضيه المقام ، وذلك أن استجارة المشرك بالنبي — صلى الله عليه وسلم — أو بالمسلمين ، من الأمور التي

١) الكشاف جـ٢ ص٥٤٣ ٢) انظر ص٦١/٨ ٣) التوبة ٦

— تنكر وتستغرب .

ونلاحظ في الآية الكريمة ، حذف فعل الشرط وأداته ، إذ التقدير : ثم أبلغه مأمنه إن لم يؤمن واستمر على كفره وشركه ، وسنرى السر البلاغي لحذف هذا الشرط وأداته عند دراستنا لحذف الشرط وجوابه فيما يلي ... (١)

ومما حذف فيه الفعل مع فاعله ، وبقي عمله النصب في المفعول ، قوله تعالى " وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ، قالوا : خيرا " (٢) ، أي : أنزل ربنا خيرا ، فحذف الفعل مع فاعله .....

وسر الحذف هنا أنه يفيد إسراع هؤلاء المؤمنين بذكر مضمون الجواب وهو المفعول " خيرًا " ولو ذكر الفعل فقيل : أنزل ربنا خيرًا لكان هناك تباطؤ في الإفصاح بمضمون الجواب ، والتصريح به .....

وهذا يوحي بقوة إيمان هؤلاء وشدة تقواهم ، ومدى إخلاصهم في طاعة الله وقبول هدايته ، ويتضح لنا ذلك ، إذا ما قارنا إجابة هذه الفئة المؤمنة التقية بإجابة الكفار قبل ذلك على نفس السؤال " وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا : أساطير الأولين " (٣)

فقد أنكروا الإنزال أصلا حيث لم يجروا الجواب على السؤال ، ثم جعلوا هذا القرآن أساطير الأولين ، وحذفوا المبتدأ تحقيرًا له واستهزاء به ، حتى لا يتفوهوا به ويجروه على ألسنتهم ، فيا بعد ما بين الفريقين ، فريق أخلص العبادة لله عز وجل ، فهم يسرعون بإجابته إسراعًا يدل على الإيمان

---

١) انظر ص ١٨٩ ٢) النحل ٣٠ النحل ٢٤

ـ الكامل والانقياد التام، وشريق أصر على العناد والتكبر، والسخرية والاستهزاء بما أنزل الله على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ....

يقول الألوسي : "وخيراً : مفعول لفعل محذوف، وفي اختيار ذلك دليل على أنهم لم يتلعثموا في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة، حيث عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا : هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء" (١)

ومن ذلك قوله تعالى : "فقال لهم رسول الله : ناقة الله وسقياها" (٢). وقوله : "انتهوا خيراً لكم" (٣)، والتقدير : ـ احذروا ناقة الله واحذروا سقياها ... انتهوا يكن خيراً لكم، فحذف الفعل وفاعله وصرح حذفه هو أن المقام مقام تحذير وتخويف، ومقام التحذير يقتضي الإيجاز ويحسن فيه الحذف، حيث يتقاصر الزمان عن الإتيان بالمحذوف بالذي يُحذَّر تكفيه الكلمة وتثنيه الإشارة كي يدرك الخطر ويقف على المحظور فيسارع إلى تجنبه والابتعاد عنه .

ومن ذلك حذف القول، فقد كثيراً في أساليب القرآن الكريم، فمنه قوله تعالى : "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" (٤)، والتقدير : يقولان : ربنا تقبل منا .. والسر البلاغي ـ لهذا الحذف هو أن تظل الصورة التي رسمت في ذهن السامع والمنظر الذي تخيله للبيت الحرام، ولإبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ وهما يرفعان قواعده، أن تظل هذه الصورة حاضرة في ذهنه، وماثلة أمامه، وهو يسمع هذا الدعاء، فعندما قال سبحانه : "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل"

١) روح المعاني جـ١٤ ص ١٣٠ ٢) الشمس ١٣ ٣) النساء ١٧١
٤) البقرة ١٢٧

— وقعت هذه الصورة فى ذهن السامع ، وتصور منظر البيت وإبراهيمُ وإسماعيلُ يرفعان قواعده ، وقوله بعد ذلك : " ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك .... " ، بحذف القول ، يجعل الصورة الأولى التي رسمت للبيت حية ، باقية وحاضرة فى ذهن السامع ، ولو ذكر القول فقيل :— يقولان ربنا تقبل منا .... لأدى ذكره إلي أن يترك السامع الصورة الأولي وينتقل إلي صورة أخرى محكية بالقول عن إبراهيم وإسماعيل وهما يدعوان ربهما بهذا الدعاء ، وليس لهذا من التأثير ما للأول ...

يقول سيد قطب رحمه الله فى هذه الآية الكريمة : " وكم فى الانتقال هنا من الحكاية إلي الدعاء من إعجاز فنّي بارز ، يزيد وضوحا لو فرضت استمرار الحكاية ، ورأيت كم كانت الصورة تنقص لو قيل : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، يقولان : ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ، إنها فى هذه الصورة حكاية ، وفى الصورة القرآنية حياة ، وهذا هو الفارق الكبير ، إن الحياة فى التعبير لتثبت متحركة حاضرة ، وسر الحركة كلُّهُ فى حذف لفظة واحدة وذلك هو الإعجاز " (١) .

وقوله تعالي : " وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلي بعض هل يراكم من أحد ؟ ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون " (٢) ، والتقدير : نظر بعضهم إلي بعض قائلين : هل يراكم من أحد ؟ فحذف القول لكي تظل الصورة التي تصورها السامع لهم ، وهي صورة الحذر والخوف الذى يبدو علي وجوههم وفى أعينهم ، عند سماعهم بنزول السورة والتي يصورها قوله تعالي :—

---

(١) التصوير الفني فى القرآن ص ١٥٠ ٢) التوبة ١٢٧ .

" نظر بعضهم إلي بعض " ، لكي تظل الصورة باقية وحاضرة في ذهنه وهو يسمع تساؤلهم : هل يراكم من أحد ؟ ، ثم انصرفوا علي هذه الحالة من الخوف والحذر والحيطة ، فحذف القول قد أحيا الصورة وجعلها حاضرة في ذهن السامع وهذا أشد تأثيرا ، وأكمل تصويرًا البيان حقيقة هؤلاء المنافقين ، وما ينطوون عليه ، من تدبير وكيد للإسلام ....

ونلاحظ في الآية الكريمة حذف جواب الاستفهام : " هل يراكم من أحد ؟ ، وهذا الحذف يوحي بشدة الحيطة وكمال الحذر ، حتي كأن جواب تساؤلهم كان همسا في الآذان لكي لا يسمع بذلك أحد من المسلمين ، وهذا يبين لنا شدة نفاقهم وخداعهم وكيدهم للإسلام والمسلمين ....

وعلي هذا النحو نري حذف القول قد جعل الصورة تمتد وتظل في ذهن السامع حسية وحاضرة أثناء سماعه لما يأتي بعد من دعاء أو أمر أو نهي ... أو غير ذلك ، وهو واقع كثيرًا في أساليب القرآن الكريم .... (١) .

ومن الآيات الكريمة التي حذف منها الفعل مع مفعوله ، قوله تعالي : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن : الله فأني يؤفكون " (٢) ، وقوله : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله .. (٣) .

وقوله : " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ، ليقولن الله .. (٤) : والتقدير : خلقهن الله ... خلقنا الله .... نزل الله ...

---

(١) انظر سورة الزمر ٣ ، غافر ٧، ٨ ، سبأ ١٥ ، البقرة ٩٣ ، ....
(٢) لقمان ٢٥ ٣) الزخرف ٨٧ ٤) العنكبوت ٦٣ .

والحذف في هذه الآيات الكريمة يشير إلي ما يدور بخلد هؤلاء من قلق واضطرابات نفسية ، حتي أنهم يأبون التصريح بنسبة هذه الأفعال إلي الله عز وجل ، رغم يقينهم بأنه سبحانه هو موجدها وهو فاعلها الحقيقي ، وهذا يوحي بعنادهم وتكبرهم ، وإصرارهم علي الكفر والضلال ، رغم وضوح الحق وظهوره لهم .....

ومن الآيات الكريمة التي حذف فيها الفعل وعوض عنه المصدر ، قوله تعالي : " فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتي إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء ... " (1) ، والتقدير : فاضربوا الرقاب ضربا ، فإما تمنون منا ... وإما تفدون فداءً ، والحذف هنا يوحي بالسرعة المطلوبة عند لقاء العدو ، فهو يصور الحدث واقعاً محققا بمجرد اللقاء ، وكأن الله عز وجل يريد من المؤمنين أن يعملوا سيوفهم في رقاب العدو بمجرد اللقاء دون انتظار ولا تمهل ... ومما يدل علي ذلك هذه الفاءات : فضرب الرقاب .. فشدوا الوثاق ... فإما منا بعد وإما فداءً ، فهي تفيد تعاقب الأحداث وتواليها في سرعة خاطفة ، ولهذا كان حذف هذه الأفعال في الآية الكريمة وإقامة المصادر مقامها مشيراً إلي وجوب الإسراع بتحقيقها بمجرد لقاء العدو ، نشراً للحق والعدل والخير ....

---

١) محمد ٤

٧) حـــذف الفاعـــــل

جاء حذف الفاعل في أساليب القرآن الكريم على ضربين :—

الضرب الأول : يحذف فيه الفاعل ولا ينوب عنه شيء .

والضرب الثاني : يحذف فيه الفاعل وينوب عنه المفعول أو غيره ...

فمن الضرب الأول قوله تعالى : " فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون "(١) وقوله عز وجل : "وكلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق "(٢) ، والتقدير : فلولا إذا بلغـــت الروح الحلقوم .... وكلا إذا بلغت الروح التراقي ....

والسر البلاغي لهذا الحذف هو أن المقام مقام رهبة وخشية ، فالآيات الكريمة جاءت في وصف ما يعتري المحتضر من عوارض الموت وسكراته ، وهو مقام يستدعي الرهبة والخشوع ، ويقتضي الإيجاز والاختصار ، كما يشير هذا الحذف إلـــى أن إسقاط الروح من الجسد وشيك الوقوع ، فكأن حذف الفاعل من اللفظ يوحـــي بقرب ذهاب النفس ، وانفصال الروح عن الجسد وصعودها إلى بارئها تبـارك وتعالى .

ومن ذلك قوله تعالى : " ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركـــاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون "(٣) ، والتقدير : لقد تقطع الأمـــر بينكم ، وهذا الحذف يفيد التعميم والشمول لكل ما كان بينهم من صلات وروابط ومن تجمع لتبادل الآراء والكيد للإسلام ، إلى آخر ذلك .... كل هـــذا

(١) الواقعة ٨٣ ، ٨٤ ٢) القيامة ٢٦ — ٣٠ ٣) الأنعام ٩٤

— قد تقطع بينهم ولم يعد له وجود ....

وقوله تعالي : " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتي حين "[1]. والتقدير : ثم بدا لهم السجن ... فحذف الفاعل ودل عليه قوله تعالي : — ليسجننه حتي حين " ، وسر هذا الحذف هو الإشارة إلي أن هذا الفاعل لم يكن له وجود ولا عزم عليه عزم ولا نية حتي وقت الكلام ، وإنما هو شيء بدا في خيالهم وتصوراتهم ثم عزموا عليه عزمًا أكيدا ، حيث دار في نفوسهم أن سجنه سيحسم الأمر ويقضي علي تلك الفتنة ومن هنا كان حذف الفاعل ووضع الفعل المضارع مكانه ليتسني لهم أن يعبروا عن حالتهم النفسية ، وإجماعهم الأكيد علي سجنه ، — فكانت هذه اللام وتلك النون : " ليسجننه " ، للإفصاح عن هذه الحالة النفسية وهذا الاجماع الأكيد علي سجن يوسف ....

أما الضرب الثاني الذي يحذف فيه الفاعل وينوب عنه المفعول أو غيره فهو كثير في أساليب القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالي : " يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان "[2] فحذف الفاعل في موضعين : يُصلب ، وقُضي ، والتقدير : وأما الآخر فيصلبه القوم فتأكل الطير من رأسه ، قضيت الأمر الذي فيه تستفتيان .....

وسر الحذف في الأول : الدلالة علي شدة المؤاخذة وشناعة الصلب وفظاعته حتي كأن الذي يصلب مجهول لا يعرف .....

وسر الحذف في الثاني : الدلالة علي قوة إيمان سيدنا يوسف — عليه السلام —

---

(١) يوسف ٣٥ (٢) يوسف ٤١

— فهو يكره أن ينسب الفعل لنفسه فيقول : قضيت الأمر ، بل حذف الفاعل ليوحي هذا الحذف بأن قضاء الأمر بتأويل الرؤيا ، كان بإلهام الله تعالى ووحيه ، وتعليمه إياه تأويل الأحاديث ، وهذا يدل على كمال إيمانه ، وخضوعه التام لله عز وجل .....

وقوله سبحانه : " وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الأمر واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين " (١) ، والتقدير وقلنا يا أرض ..... وغضنا الماء ..... ، وقضينا الأمر واستوت ..... وقلنا بعدا ....

والحذف هنا يدل على كمال قدرة الله تعالى ، وعظيم سلطانه وكبريائه ، فتلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل قادر على هذا القول الهائل ..... يقول الزمخشري : " ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء ، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر ، وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله ، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره : يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره ، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودى ، وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره . " (٢) .

وقال تعالى : " هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم

---

١) هود ٤٤ ٢) الكشاف جـ٢ ص ٣١١ .

— لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق " (١) فحُذف الفاعل في عدة مواضع من الآيات الكريمة ... وهذا الحذف أفاد التهويل والتقطيع من شأن العذاب ، حيث إن الآيات الكريمة مسوقة لبيان أحوال الكفار يوم القيامة ، فهم في جهنم يعذبون ، وهذه أصناف من العذاب ، ثياب قطعت من نار ، وحميم يصب من فوق الرؤوس ، يصهر جلودهم وما في بطونهم ولهم مقامع من حديد ، ثم لا سبيل هناك للهرب فالأبواب موصدة ، والحراسة مشددة ، فإذا أرادوا الخروج منها أعيدوا فيها .....

فحذف الفاعل في الآية الكريمة وبناء أفعالها للمفعول يصور لنا قوة الألم وفظاعة العذاب الذي يلاقيه الكفار في جهنم ، كما يوحي بكمال القدرة وعظيم الكبرياء لله عز وجل ، إذ لا يقدر على هذه الصنوف من العذاب إلا من كملت قدرته وقوى سلطانه وعظم كبرياؤه ....

وعلى هذا النحو نرى حذف الفاعل في الآيات الكريمة التي تصف مشاهد القيامة وعذاب جهنم ، نجد هذا الحذف يصور لنا شدة العذاب ويبين مدى هوله وفظاعته .... كقوله تعالى : " إذا زلزلت الأرض زلزالها ... " (٢) ، وقوله : " لنحسن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة ... " (٣) ، وقوله " وأزلفت الجنة للمتقين . وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم ..... فكبكبوا فيها هم والغاوون " (٤) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة ..... " (٥) .

(١) الحج ١٩ — ٢٢ ٢) الزلزلة ١
(٣) فصلت ٤٠ ٤) الشعراء ٩٠ — ٩٤
(٥) انظر سورة الزمر ٧١ ، القمر ٤٨ ، — — — —

وقال تعالى : " فلما بلغ معه السعي قال : يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين "(١) ، والتقدير : ياأبت افعل ما يأمرك الله به ... فحذف الفاعل وهو لفظ الجلالة ، كراهة أن ينسب الأمر بالذبح إليه سبحانه ، فلقد كان الأمر بالذبح ابتلاءً واختباراً من الله عز وجل لمدى قوة إيمان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .. ، ولم يكن لإرادة الذبح في حد ذاته ، فلما لبيا نداء الله ، واستجابا لأمره ، وأسلما ، وتله للجبين ، اهتزت السموات والأرض ، وتضرعت الملائكة إلى الله بالدعاء لنجاة إسماعيل ، فكان الفداء ، وكان الجزاء الحسن : " وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم "(٢) ، فالحذف إذاً لكي لا ينسب الأمر بالذبح إلى الله عز وجل ، فهو الرحمن الرحيم ، وهو الرؤوف بعباده ، فكيف يأمر بالذبح ؟ لقد كان الأمر به اختباراً وابتلاءً ، وليس لإرادة الذبح في حد ذاته ، وهو السر البلاغي وراء حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول في الآية الكريمة .

وقال تعالى : " فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وألقي السحرة ساجدين "(٣) والتقدير : — فغلبهم موسى بقوتنا ... وألقينا السحرة ساجدين .

فالحذف في قوله : " فغلبوا " ، يشير إلى أن هناك قوة خفية قاهرة هي التي غلبتهم وأبطلت سحرهم ، فالقوم كانوا مشاهير في السحر ، ولا يستطيع أحد أن يغلبهم ويبطل سحرهم إلا بقوة خارقة ، وأيضا لو أسند الغلب لموسى

(١) الصافات ١٠٢ (٢) الصافات ١٠٤ — ١٠٧
(٣) الأعراف ١١٨ — ١٢٠

ـ عليه السلام ـ فقيل : فضلبهم موسي ، كان هذا نصا علي أن لموسي فضلا في هذا القلب ، وليس الأمر كذلك فلقد أوجس موسي في نفسه خيفة عندما رأى حبالهم وعصيهم وخيل إليه من سحرهم أنها تسعي : " قلنا لا تخف إنك أنت الأعلي : " (١) .

فالحذف إذًا يشير إلي أن هناك قوةً خارقةً هي التي أيدت موسي ـ عليه السلام ـ وجعلت عصاه حيةً تسعي ....

والحذف في قوله : " وألقي السحرة " ، يشير إلي قوة الهزيمة التي لحقت بهم ، وأن هذه الهزيمة كانت مفاجأة لهم ، فلم يستطيعوا الصمود أمامها ، وخروا ساجدين لله صاحب هذه القوة وكأنما ألقاهم ملق ، وفاجأهم مفاجئ ، فأجبرهم علي السجود من حيث لا يشعرون .

وقال تعالي : " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم " (٢) ، والتقدير : ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قال كفار الأمم السابقة لرسلهم ... ، فحذف الفاعل هنا تحقيرًا له وإشارة إلي أنه لا يستحق الذكر في مثل هذا المقام الذي يخاطب فيه رب العزة رسوله ـ صلي الله عليه وسلم ـ ليخفف عنه الأذى والألم ويسليه بذكر هؤلاء الرسل فلقد كُذِّبوا كما كذب ، وأوذوا كما أوذي فالتكذيب والإيذاء هو الإيذاء : " أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون " (٣) فالفاعل إذًا لا يستحق الذكر في هذا المقام لحقارته وضعته ، وهذا هو سر حذفه وإسقاطه من الآية الكريمة ...

---

١) طه ٦٨ ٢) فصلت ٤٣ ٣) الذاريات ٥٣

ونلاحظ أن الآية الكريمة قد سكتت عن المقول ، وطوته ، وهذا يوحي بأنه ما كان ينبغي أن يكون مثل هذا القول ، ولا هذا التكذيب ، ولو كان لهؤلاء — المكذبين عقول تعقل لما أقدموا على مثل هذه الأفعال ....

وقال تعالى : " وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا " (١) فحذف فاعل " أنزلت " ، تعظيما ، وتنزيها عن الذكر في هذا المقام فإن الآية الكريمة تحكي عن هؤلاء المنافقين الذين أعرضوا عن القرآن الكريم واحتقروا التنزيل ، وهذا المقام يقتضي حذف الفاعل وهو لفظ الجلالة ، صيانةً له ، وتنزيها عن الذكر في مثل هذا المقام ....

وسر آخر لهذا الحذف وهو أن الفاعل مشهور ومعلوم لكل أحد ، فلا أحد يجهل أن فاعل الإنزال هو الله عز وجل ، ولهذا حسن حذفه .....

ونرى حذف الفاعل أيضا في قوله : " أيكم زادته هذه إيمانا " إذ التقدير : أيكم زادته هذه السورة إيمانا ، وهذا الحذف يوحي بمدى كراهيتهم للقرآن وتحقيرهم له ، حتى أنهم أبوا التصريح باسم " السورة " ، واكتفوا بالإشارة إليها " هذه " ، ويوحي أيضا بعنادهم وتكبرهم ، وبما يدور بداخلهم من قلق واضطرابات نفسية ، فهم يعلمون أن هذا القرآن معجز ، إذ عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، وهم الذين يتباهون بالفصاحة والبيان ، وبهرتهم آياته وعجيب نظمه ، حتى أنهم كانوا يتسللون ليلاً فيستمعون إليه ، وأقروا له بالإعجاز فقال قائلهم : إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى عليه " ، ومع ذلك أبوا إلا تحقيره ، والوضع من شأنه ...

(١) التوبة ١٢٤

وهذا يدل على ما هم فيه من ضيق وقلق واضطرابات ..

وكثيرا ما يحذف الفاعل في أساليب القرآن الكريم لشهرته وظهوره ، وانصراف الذهن له بمجرد سماع الفعل ، وذلك في آيات التشريع وبيان الأحكام ، كقوله تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " (١) .

وقوله : " كتب عليكم الصيام في القتلى " (٢) ، وقوله : " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم " (٣) ، وقوله : " أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة (٤) وغير ذلك من الآيات الكريمة التي حذف فيها الفاعل لشهرته وذيوعه ، وانصراف الذهن له بمجرد سماع الفعل ...

٨) حذف المفعول :-

وحذف المفعول واقع كثيرا في أساليب القرآن الكريم فمن ذلك قوله عز وجل : " ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذ تم العجل من بعده وأنتم ظالمون " (٥) والتقدير : ثم اتخذ تم العجل إلها من بعده ...

وسر البلاغي لهذا الحذف هو صيانة المفعول الثاني : "إلها" والارتفاع به عن أن يذكر في صحبة المفعول الأول " العجل " ، إشارة إلى بشاعة هذه الصورة ، وبيانا لفظاعتها ، وتنبيها للعقول السليمة بأن هذه الصورة صورة اتخاذ العجل إلها — ينبغي عدم تصورها في الذهن فضلا عن اعتقادها والإيمان بها .

يقول د / دراز : " فلم يقل : اتخذتم العجل إلها ، بل طوى هذا المفعول الثاني استبشاعا للتصريح به في صحبة الأول ، وبيانا لما بينهما من مفارقة ، وكم في هذا الحذف من تهجين وتهويل ، فرب صمت هو أنطق بالحكم وأنكى في الخصم (٦) .

---

١) البقرة ٢١٦ ٢) البقرة ١٧٨ ٣) البقرة ١٨٧
٤) المائدة ٩٦ ٥) البقرة ٩٢ ٦) النبأ العظيم ص ١١٩

وقوله تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك " (١)
أى : أرني ذاتك ، فحذف المفعول هنا يشير إلى عظم الذات الإلهية وقداستها واستحالة رؤيتها بهذه الأبصار القاصرة وموسى — عليه السلام — يدرك هذه الاستحالة ، ولذلك قال : " رب أرني " وأسند ليفيد قصده بدون لفظ ينص عليه صراحة ، فإنه — عليه السلام — لم يسأل الرؤية لنفسه ، وإنما سألها لقومه عندما قالوا : " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " (٢) ، وأسند الطلب لنفسه ليعلم القوم أن الرؤية ممتنعة عليهم من باب أولى ... فالذات الإلهية تدرك بما هو خفي مستتر وهو القلوب والبصائر ، وتستحيل رؤيتها بالأبصار القاصرة وهذا هو سبب حذفها وطيها من الكلام ..

وقال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم " (٣) .
والتقدير : إلا إذا تمنى هداية قومه وإيمانهم ، وذلك بأن يجاريهم في بعض الأمور حتى يدخلوا في الدين ويؤمنوا بالله ، وعندئذ يستطيع تقويم اعوجاجهم وبيان أسس الدين ومبادئه لهم ، ومن شواهد ذلك : — قصة ابن أم مكتوم التي نزل فيها قوله تعالى : معاتبا النبي — صلى الله عليه وسلم : — " عبس وتولى أن جاءه الأعمى .. " (٤) .

وقصة زينب بنت جحش وزوجها زيد ، والتي نزل فيها قوله تعالى : — " وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " (٥) .

فحذف المفعول في الآية الكريمة يشير إلى وجوب التخلي عن هذه التمنيات والمضي بأسس الدعوة وأصولها كاملة دون نظر إلى أي اعتبارات أخرى فالمبادئ والأسس التي شرعها الله لا تقبل اجتهادات البشر وحساباتهم فيها تكن هذه

١) الأعراف ١٤٣ ٢) البقرة ٥٥ ٣) الحج ٥٢
٤) عبس ١ ، ٢ ٥) الأحزاب ٣٧ .

الاجتهادات فهي قاصرة ومشوبة بالخطأ والضعف والواجب عدم التعويل عليها بل ينبغي تركها والابتعاد عنها ، ولهذا السبب أسقط المفعول من اللفظ في الآية الكريمة ...

يقول سيد قطب رحمه الله : " إن الله عز وجل يريد أن تمضي الدعوة على أصولها الكاملة ، وفق موازينها الدقيقة ، ثم من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر فالكسب الحقيقي للدعوة في التقدير الإلهي الكامل غير الشوب بنقص البشر وتقديرهم هو أن تمضي على تلك الأصول وفق تلك الموازين ، ولو خسرت الأشخاص في أول الطريق ، فالاستقامة الدقيقة الصارمة على أصول الدعوة ومقاييسها ، كفيل أن يثني هؤلاء الأشخاص أو من هم خير منهم إلى الدعوة في نهاية المطاف ، وتبقى مثل الدعوة سليمة لا تخدش ، مستقيمة لا عوج فيها ولا انحناء . " (١)

وفي قوله : " ألقى الشيطان في أمنيته " أي : ألقى وساوسه ومكايده ، فحذف المفعول ، وحذفه يوحي بأن وساوس الشيطان ومكايده لا تبقى في نفس المؤمن فمصيرها الزوال السريع والفناء العاجل ، لأن الله عز وجل يمحوها : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته " ولذلك كان سقوطها من اللفظ موحيا ومؤذنا بفنائها العاجل وزوالها السريع ، وعدم استقرارها في النفوس المؤمنة المطمئنة .

وقال تعالى : " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه " (٢) أي : يخوفكم أولياءه ، يقول البقاعي مبينا السر البلاغي لحذف المفعول في الآية الكريمة :—

" المعنى : يخوفكم أولياءه ، لكنه أسقط المفعول الأول إشارة إلى أن تخويفه يؤول إلى خوف أوليائه ، لأن أولياء الرحمن إذا ثبتوا لأجله أنجز لهم ما وعدهم من النصرة على أولياء الشيطان ، وإلى أن من خاف من تخويفه ، وعمل بموجب خوفه ففيه ولاية تصح إضافته إليه قلت أو كثرت . " (٣) .

---

١) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٣٣ ٢) آل عمران ١٧٥

٣) نظم الدرر ج ١ ص ٤٢٤ .

وقال تعالي : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز " (١) أي : لأغلبن الكفار ، فحذف المفعول تحقيرًا له وإشارة إلي أنه لا يستحق الذكر الذكر في صحة هذه الدعوة المختارة من رسل الله ، بل يجب أن يتنزه الكلام عنه بطيه وحذفه وهذا هو سر حذفه في الآية الكريمة .. وكثيرًا ما يحذف المفعول ليفيد حذفه التعميم والشمول لكل ما يمكن أن تتصوره العقول وتدركه ، فمن ذلك قوله تعالي : " والله يدعو إلي دار السلام ويهدي من يشاء إلي صراط مستقيم " (٢) . أي : يدعو الناس جميعًا إلي الجنة إذ يأمرهم بما يؤدي إليها ، فحذف المفعول أفاد تعميم الدعوة واتساعها لتشمل جميع الخلق ، أما الهداية فهي خاصة بمن اهتدى وأطاع ولذلك صرح بها بالمفعول : " يهدي من يشاء .. "

وقوله تعالي : " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " (٣) أي : فهم لا يبصرون شيئا ..

وقوله تعالي : " ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه " (٤) ، وقوله : " قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم .. (٥) .

وقوله : " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (٦) أي يهدي الناس جميعا

وقوله تعالي : " فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم .. (٧) أي : لنبين لكم دلائل قدرتنا وكمال إرادتنا ، مما لا يمكن الإحاطة به ولا تحديده في الكون إلي غير ذلك من الآيات الكريمة التي حذف فيها المفعول ليفيد التعميم والشمول ، ولبيان أنه لا يمكن تحديده ولا الإحاطة به .. " وقال تعالي : " أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد ، وإنني بريء مما تشركون (٨) ، أي : قل لا أشهد أن مع الله آلهة أخرى ، وهذا الحذف يوحي بضرورة إزالة هذا المفعول حتي من اللفظ

---

١) المجادلة ٢١ ٢) يونس ٢٥ ٣) يس ٩
٤) العنكبوت ٦ ٥) الأنعام ١٤ ٦) الإسراء ٩
٧) الحج ٥ ٨) الأنعام ١٩

فضلا عن اعتقاده والإيمان به ، فالله عز وجل يأمر نبيه — عليه الصلاة والسلام — أن يوقع على أسماعهم براءته من هذه الشهادة ، وترفعه عنها : " قل لا أشهد " وسكت عن المفعول ليكون ذلك إشارة إلى أنه لا ينبغي مجرد اللفظ بها ، فما بالنا بمن يعتقدونها ويؤمنون بها ؟ ، ومن ذلك قوله سبحانه : " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا " (١) ، أي : واحذروا مخالفتهما ، فسكوت الآية عن المفعول يوحي بوجوب الابتعاد التام عن هذه المخالفة ، وبضرورة الطاعة والانقياد المطلق لله ولرسوله .

وقال تعالى : " وتول عنهم حتى حين . وأبصر فسوف يبصرون " (٢) والتقدير وأبصروا أعده الله لك من ألوان النعيم ، فسوف يبصرون ما أُعِّد لهم من ألوان العقاب وصنوف العذاب .

والحذف في الآية الكريمة أفاد المبالغة في تصوير النعيم الذي أعده الله لرسوله — عليه الصلاة والسلام — وللمؤمنين ، كما أفاد التهويل من شأن العذاب وتصوير شدته وفظاعته ، ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وفي جهنم من ألوان العذاب ما يعجز البيان عن وصفه ولكشف عنه ...

يقول الألوسي : " وأبصر فسوف يبصرون " : تسلية لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — إثر تسلية ، وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد ، ما في إطلاق الفعلين عن المفعول من الإيذان ظاهرا بأن ما يبصره — عليه الصلاة والسلام — حينئذ من فنون المسار ، وما يبصرونه من فنون المضار ، لا يحيط به الوصف والبيان . " (٣) .

وقال تعالى : " ما ودعك ربك وما قلى " (٤) أي : وما قلاك ...

فذكر المفعول مع التوديع وحذفه مع القلي ، وسبب ذلك هو تحاشي خطاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم — : ما قلاك بإيقاع القلي عليه لما فيه من الطرد والإبعاد

---

١) المائدة ٩٢ ٢) الصافات ١٧٩
٣) روح المعاني جـ٢٣ ص ١٥٧ ٤) الضحى ٣

وشدة البغض — ولو وقع ذلك في سياق النفي — فإن الذوق البلاغي يقتضي هذا الحذف ، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحض اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة واللقاء .

وقد اطرد في أساليب القرآن الكريم حذفُ مفعول المشيئة والإرادة إذا وقعتا بعد أداة من أدوات الشرط ، كقوله تعالى : " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " (١) ، أي : من يشأ إضلاله ، ومن يشأ هدايته ، فحذف المفعولين لدلالة جواب الشرط عليهما ...

وقوله تعالى : " ولو شاء لهداكم أجمعين " (٢) ، وقوله : " ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا " (٣) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة التي حذف فيها مفعول المشيئة أو الإرادة لدلالة جواب الشرط عليه ..

والسر البلاغي لهذا الحذف هو أن للبيان بعد الإبهام وقعَه في النفوس وتأثيرَه فيها ، فإن الشيء إذا أدرك بعد تقدم ما يحرك ويثير لمعرفته يكون أوقعَ في النفوس وأشدَّ تأثيرا ..

فمثلا قوله تعالى : " من يشأ الله يضلله " عندما نقرأ : " من يشأ الله " ونمسك نرى إبهاماً بسبب حذف المفعول ، تتطلع النفوس لمعرفته وتترقب بيانه فإذا جاء بعد ذلك : " يضلله " زال هذا الإبهام ، ووقع في النفوس موقعه لأنها أدركته بعد تطلع وترقب .. وحذف مفعول المشيئة والإرادة يطرد بعد أداة الشرط ، ما لم يكن هذا المفعول غريبا أو عجيباً ، فإنه يجب ذكره والتصريح به ، كقوله تعالى : " لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين " (٤)

---

١) الأنعام ٣٩ ٢) النحل ٩
٣) الفرقان ٥١ ٤) الأنبياء ١٧

وقوله : " لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلق ما يشاء سبحانه " (١) والسبب في ذكره عندئذ أن جواب الشرط لا يدل عليه إذا حذف والحذف بلا دليل يدل علي المحذوف غير جائز في أساليب القرآن الكريم ، ولا في لغة القوم ، ولهذا وجب ذكر المفعول عند غرابته حتي لا يحدث ليس في فهم المعني وإدراك المراد .

وقد أفاض عبد القاهر — رحمه الله — في الحديث عن حذف مفعول المشيئة والإرادة ، وبيان قيمته البلاغية ، وعرض لذلك الشواهد المختلفة من أساليب القرآن الكريم ، ومما ورد منه في كلام العرب الفصحاء (٢) .

٩ — حذف الصفة أو الموصوف

ومن حذف الصفة في أساليب القرآن الكريم قوله تعالي : " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " (٣) ، والتقدير : يأخذ كل سفينة صالحة ، بدليل قوله : " فأردت أن أعيبها " فحذف الصفة هنا يصور لنا أن هذا الملك قد بلغ حدا جعله يستولي علي كل سفينة يراها ، سواء أكانت صالحة أم معيبة ، ذات قيمة أم لا قيمة لها ، ولو ذكرت الصفة فقيل : يأخذ كل سفينة صالحة ، لزال هذا التصوير الذي يوحي بطمع الملك وجشعه ..

وقال تعالي : " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا " (٤) أي : تتخذون منه سكرا قبيحا ورزقا حسنا ، فوصف الرزق بالحسن يوحي بأن السكر ليس حسنا ، ويدل علي مدى قبحه ، فقد تدخل الإنسان وحول رزق الله إلي سكر يذهب العقول ويؤذيها ..

ولكن ما السر البلاغي وراء حذف هذه الصفة ؟

إذا تأملنا سياق الآيات الكريمة ، وجدنا هاتين فضل الله وتعدد نعمه

---

١) الزمر ٤ ٢) انظر ص ٧٢ من هذا البحث
٣) الكهف ٦٩ ٤) النحل ٦٧ .

علي عباده : " والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون " وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون " فالمقام مقام تعداد لنعم الله سبحانه وبيان لآياته الدالة علي قدرته وكمال سلطانه ، وهذا يقتضي أن يتنزه الأسلوب عن ذكر هذه الصفة — وإن كان الإنسان هو سبب وجودها — ولهذا سكتت الآيات عن هذه الصفة وعلوتها ، واكتفت بإشارة الصفة الأخرى إليها ، وذلك حتي يكون لفظ الآيات خاليا من كل شائبة ..

فإن ذلك يتلاءم مع المعني المقصود من الآيات الكريمة ..

وقال تعالي : " وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل " (١) والتقدير : وكذب به قومك المعاندون ، لأن القوم لم يكذبوه — صلي الله عليه وسلم — جميعا بل منهم من كذب وتولي عن آيات ربه ، ومنهم من آمن وصدق .. ، وحذف الصفة هنا يوحي بكثرة هؤلاء المكذبين ، وقلة عدد المؤمنين ، وذلك في بدء الدعوة لأن الآية مكية ، تصف أحوال أهل مكة وموقفهم من الإسلام ، فلقد كذبوا النبي عليه الصلاة والسلام — وكفروا برسالته ، ولم يؤمن به إلا نفر قليل ، فقوله سبحانه : " وكذب به قومك " ، بحذف الصفة يوحي بأن هؤلاء المكذبين كثرة هائلة ، وأن المؤمنين قلة ضئيلة لا تكاد تذكر بجانب هذا العدد الهائل من المكذبين حتي كأن القوم جميعا قد كذبوا بآيات الله وأعرضوا عنها ...

وقال تعالي : " قال : يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين " (٢) . والتقدير : إنه ليس من أهلك الصالحين ، وهذا الحذف يوحي بأنتفاء الأهلية بزوال القرابة بين

---

١) الأنعام ٦٦ ٢) هود ٤٦ .

نوح — عليه السلام — وابنه ، لعدم إيمانه ، ويشير إلي أن القرابة التي يعتد بها ويعول عليها هي قرابة الدين والإيمان ، فرابطة الدين أقوى من أية رابطة أخرى سواها ، ويوحي الحذف أيضا بوجوب التخلي عن المشركين ، وترك ولا يتهم والقضاء علي أية علاقة تربط المسلم بالكافر ، فإذا كانت رابطة الأبوة والبنوة ، وهي أقوى الروابط ، قد زالت وانتفت بسبب كفر الابن ورفضه الهداية ، فما بالنا بأية رابطة أخرى غيرها من صداقة أو مصاهرة أو نحو ذلك ؟

ومما حذف فيه الموصوف من آيات القرآن الكريم ، قوله تعالي :—

" لقد رأى من آيات ربه الكبرى " (١) ، أي : لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى فحُذف الموصوف ، وسر هذا الحذف هو الإشارة إلي عظم هذه الآية التي رآها النبي — صلي الله عليه وسلم — ليلة الإسراء والمعراج والدلالة علي أنها تفوق هذه الآيات التي نراها في الكون حتي كأن هذه الآية التي رآها النبي — عليه الصلاة والسلام — من جنس آخر غير جنس هذه الآيات ، وهذا هو سر حذف الموصوف في الآية الكريمة ..

ومن ذلك قوله تعالي : " وعندهم قاصرات الطرف عين ، كأنهن بيض مكنون (٢) وقوله : " وعندهم قاصرات الطرف أتراب " (٣) ، وقوله :— " فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان " (٤) فحذف الموصوف في الآيات وتقديره : نساء قاصرات الطرف وسر هذا الحذف هو الإشارة إلي أن نساء الجنة يفقن نساء الدنيا جمالا وحسنا وبهاء ، ويوحي بهذا البعد الشاسع بينهما ، حتي كأن نساء الجنة جنس آخر يفوق النساء ، فهن ليس نساء بل حور عين قاصرات الطرف يقول صلي الله عليه وسلم :— " لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض

١) النجم ١٨ ٢) الصافات ٤٨ ، ٤٩
٣) ص ٥٢ ٤) الرحمن ٥٦

— لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لاضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض . (١)

وسر آخر لحذف الموصوف في الآيات الكريمة وهو الدلالة علي أنه قد اشتهر بهذه الصفة ، وغلبت عليه حتي أن الصفة لا تطلق إلا انصرفت إليه ، وهذا أيضا يوجي بالجمال والحسن والبهاء ، إذ اشتهرت نساء الجنة بهذه الصفات التي تدل علي الجمال والعفة والحسن وعلي الحياء المطلوب من كل امرأة .

وقال تعالي : " وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (١) . أي : أتبعناهم في هذه الحياة الدنيا ....

والحذف هنا يوحي بحقارة فرعون وجنوده وبدناءة شأنهم ، حيث إن الآيات مسوقة لتحقيرهم وتوبيخهم ، فلا يتأتي من ذلك التصريح بلفظ الحياة الذي يدل علي الرفعة والسمو ، والحركة والنماء ، بل ينبغي الاكتفاء بذكر الصفة : " الدنيا " فهذا الوصف فيه من الهبوط والانحطاط ما يصور لنا مدى حقارتهم وضعة شأنهم .

يقول البقاعي : " فقال الدنيا ولم يقل : الحياة لأن السياق لتحقير أمرهم ودناءة شأنهم . (٢) .

وقال تعالي : " من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخري (٣) والتقدير : ولا تزر نفس وازرة نفس أخري ، وواضح أن هذا التقدير فيه من الثقل ما ذهب بجمال النظم القرآني ، ويفقد حسنه وجماله ، والحذف يرفع هذا الثقل ويجعل الكلام سهلا في جريانه علي اللسان وأعضاء النطق .. وقال تعالي : " فمكث غير بعيد (٤) ، أي : زمنا غير بعيد .. وحذف الموصوف هنا يوحي بقصر هذه المدة التي مكثها الهدهد بعيدا عن سليمان فهي مدة قصيرة للغاية حتي أنه من البلاغة إسقاطها وعدم إطلاق لفظ الزمن عليها .

(١) القصص ٤٢ ٢) نظم الدرر ج٣ ص٥٥٨ ٣) الإسراء ١٥ ٤) النمل ٢٢

(١) الترغيب والترهيب لزكي الدين المنذري ج٤ ص٥٣٥

ومن ذلك قوله تعالي :—

" قال : ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلي عذاب النار وبئس المصير " (١)

أي : أمتعه متاعا قليلا ، فحذف الموصوف يوحي بحقارة هذا المتاع وضعته ، وأنه لا يعتد به ولا ينظر إليه ، فأين هذا من متاع دائم أعد الله لعباده المؤمنين في دار البقاء ..

١٠ — حذف الشرط وأداته :—

قد يحذف فعل الشرط وأداته ويبقي جوابه ، فمن ذلك قوله سبحانه : " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتي يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " (٢) ، والتقدير : ثم أبلغه مأمنه إن لم يسلم .

والسر البلاغي لهذا الحذف هو الإشارة إلي أن من سمع كلام الله تعالي وأمعن النظر فيه ، وفكر بجوار النبي — صلي الله عليه وسلم — وشاهد عن قرب هذه الصفوة من عباد الله وهم يتدارسون كلامه ، وينفذون تعاليمه ويستجيبون لتوجيهات النبي — عليه الصلاة والسلام — من عاش هذه الحياة الصافية النقية فمن المحال أن يرفض الإسلام ويبقي علي شركه ، وهذا هو سر الحذف في الآية الكريمة ، فهو يوحي بأنه لا ينبغي البقاء علي الشرك ، ورفض الإسلام بعد معرفة حقائقه وتعاليمه التي تدعو إلي المحبة والمساواة وتطهير النفوس ، وأنه لا يرفض الإسلام عندئذ إلا معاند مكابر ، يأبي إلا الإصرار علي الكفر والعيش في ظلام الوثنية والجهل ، فهذا المشرك المستجير قد أقام مدة طويلة بجوار النبي صلي الله عليه وسلم — بدليل الحرف " ثم " ، وهذه المدة كافية لسماع كلام الله وتدبر معانيه ، وكافية أيضا لأن يكف مطاردوه عن طلبه ، فهو إذا قد سمع

١) البقرة ١٢٦ ٢) التوبة ٦

القرآن وتوفر له الايمان ، فلا ينبغي له بعدئذ أن يرفض الإسلام ، ويبقى على شركه ، وإلا فهو عاند مكابر مصر على الضلال والجهل ، هكذا أعطى حذف الشرط وأداته ...

وقوله تعالى : " وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث ، ولكنكم كنتم لا تعلمون " (١) ، والتقدير : إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث ، والحذف هنا يفيد أنه لا سبيل إلى الإنكار فكيف ينكر ما هو واقع وشاهد ، فكأن حذفه من اللفظ يوحي بأنه لا مجال لإفكاره عندئذٍ ، وقال تعالى : " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم " (٢) ، والتقدير : إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم .. وسر هذا الحذف هو تنبيه المؤمنين إلى وجوب التخلي عن مثل هذه الصفات ، فالمؤمن الحق ليس من صفاته الرياء وحب الافتخار والتباهي ، وإنما صفاته التواضع والخضوع لله عز وجل ، فإذا مَنَّ الله عليه بنصره شكر وعلم أن هذا فضل من الله ونعمة توجب الشكر والحمد ، وابتعد كل البعد عن الافتخار والرياء ، فإنها صفات رذيلة يسمو الإسلام بالمؤمنين عن الاتصاف بمثلها ، فحذف الشرط وأداته يوحي بوجوب نبذ هذه الصفات والقضاء عليها ، وبضرورة التواضع والخضوع لله ، والتحلي بالصفات الحميدة والأخلاق الكريمة الطيبة ..

وقال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون " (٣) والتقدير : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق ..

والسر البلاغي لهذا الحذف هو تعظيم الله سبحانه ، وتنزيهه عن أن يتلفظ

---

١) الروم ٥٦ ٢) الانفال ١٧
٣) المؤمنون ٩١

— الإنسان بهذه الافتراضات ، وأن يظل نفسي الآلهة مستمراً غير مقترن بما يناقضه ولو في اللفظ ....

يقول التنوخي : " وإنما حذف ههنا تحفظاً للتلفظ بذلك ، فضلاً عن اعتقاده ، وإبقاءً لنفسه غير مقارن لما يناقضه لفظاً . " (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات . " (٢) .

والتقدير : إذ لو ركنت إليهم لأذقناك ... ، فحذف فعل الشرط وأداته ... وسر هذا الحذف هو الإشارة إلى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يستحيل كل الاستحالة من هذا الفعل ، فكيف يركن إليهم ، وقد ثبته الله تعالى ؟ .. وفي هذا تشريف وتكريم له — عليه الصلاة والسلام — ، وإيماءٌ بمكانته الكريمة ومنزلته العالية عند الله عز وجل ، كما يوحي بذلك حذف المضاف من الآية الكريمة كراهة أن ينسب العذاب إليه لفظاً ، إذ التقدير : إذ لو ركنت إليهم لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات ... " (٣) .

أهمية الحذف

(١) حذف الإيجاز

ويحذف الجواب كثيراً في أساليب القرآن الكريم لأسرار بلاغية مختلفة ، فقد يحذف الجواب ليفيد التهويل والتفظيع ، وقد يحذف ليفيد حذفه أنه مما لا يحيط

(١) الأشباه والنظائر ج ٥ ٢) الإسراء ٧٤ ، ٧٥ ٣) انظر ص ١٤٧ حذف المضاف

— به الوصف ولا تتسع له العبارة ، ولأنه لن يتحقق فيجعل حذفه دليلاً وإيحاءً بعدم تحققه ، إلى غير ذلك من الأسرار البلاغية المختلفة الكامنة وراء حذف الجواب .

ومن الآيات الكريمة التي حذف فيها جواب الشرط ، قوله تعالى :— " ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون " (١) ، والتقدير : لو ترى ذلك لرأيت أمراً هائلاً ، فحذف الجواب هنا يفيد التهويل والتفظيع من شأن حذفه الحال التي عليها الظالمون في هذا الوقت ، إذ هم في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم ليتلقوهم قائلين لهم بأسلوب السخرية والتنديد : " أخرجوا أنفسكم " ، ولو الموت عليهم في هذا الوقت وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة ، وملائكة العذاب في حالة تأهب لإذاقتهم العذاب ، لرأيت ما يعجز البيان عن وصفه لهوله ، وفظاعته ...

والآيات الكريمة التي حذف فيها جواب الشرط وأفاد حذفه التهويل والتفليع وأنه شيء لا يحيط به الوصف ولا يدركه البيان ، هذه الآيات كثيرة جداً ، من ذلك قوله : " ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب " (٢) ، وقوله : " ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم " (٣) ، وقوله :— " ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال : أليس هذا بالحق ؟ ... " (٤) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة : ...

---

(١) الأنعام ٩٣ (٢) سبأ ٥١
(٣) السجدة ١٢ (٤) الأنعام ٣٠

وقال تعالي : — " وسيق الذين اتقوا ربهم إلي الجنة زمرا حتي إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " (١) فحذف جواب " إذا " والسر البلاغي لحذفه هو أن تذهب النفس كل مذهب في تصور هذا النعيم الذي أعد للمتقين ، وبيان أن هذا النعيم لا يمكن أن يحيط به وصف ولا يدركه تصور ...

وقال تعالي : " ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " (٢) — التقدير : لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ولجري علي موجب ميله الجبلي وهذا علي القول بإثبات هم له — عليه السلام — إلا أنه هم غير مذموم .....

يقول الزمخشري : " فإن قلت : كيف جاز علي نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها ؟ ، قلت : المراد : أن نفسه مالت إلي المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وغلمه ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه ، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والمزائم ، وهو يكسر منه ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ علي المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمي هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع ، لأن استعظام الصبر علي الابتلاء حسب عظم الابتلاء وشدته ، ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين " (٣) .

والسر البلاغي لحذف الجواب هنا وإسقاطه من الآية الكريمة هو الإشارة إلي الإيمان القوي الخالص لسيدنا يوسف — عليه السلام — فلقد بلغ إيمانه حدا

١) الزمر ٧٣ ٢) يوسف ٢٤ ٣) الكشاف جـ٢ ص ٣٥٥

— لا يتأتي معه التصريح بهذا الجواب ، فوجب حذفه واسقاطه من الكلام ليكون ذلك موحيًا بأنه من المطال الجمع بين هذا الجواب وذلك الإيمان القوى الخالص ، ولو فى اللفظ .

وقال تعالي : " وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين " (١) ، والتقدير وإذا قيل لهم اتقوا .. أعرضوا ، بدليل الآية بعدها : " وما تأتيهم من آية ...

وسر هذا الحذف هو الإشارة إلي أن هذا الإعراض ما كان ينبغي أن يكون بل كان الواجب التخلي عنه والإسراع إلي إجابة الداعي .... فسقوط الجواب من اللفظ وسكوت الآية الكريمة عنه يوحي بوجوب ترك الإعراض ، والتخلي عنه والإسراع إلي الإيمان وإجابة الداعي ، حتي يرحمهم الله تعالي ويتحقق لهم الفوز والنجاة ... ومن ذلك قوله تعالي : " ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتي إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل علي المؤمنين " (٢) ، والتقدير : — حتي إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم .... أصابتكم الهزيمة أو تخلي الله عز وجل عنكم ... ونحو ذلك ....

وسر هذا الحذف هو أن تترك النفس لترى وتتصور ما يمكن أن يكون بعد عصيان المؤمنين وتنازعهم فى الأمر من بعد أن مَنَّ الله عليهم وأراهم ما يحبون ،

---

(١) يس ٤٥ (٢) آل عمران ١٥٢ .

الحذف

— كما يفيد البحث أيضاً أن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يصل بنسبة الهزيمة إلى هؤلاء المؤمنين ، ولذلك قال عز وجل بعد أن طوى هذا الجواب : " ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين " ، وفي هذا إيحاء للمؤمنين بألا يكون للفشل والتنازع في الأمر والمعصية أن مكان بينهم ، بل ينبغي أن — يسود بينهم الصفاء والإخلاص ، وأن يجتمعوا على المحبة والتعاون ، ويوحدوا صفوفهم ، ويعملوا من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا .....

وقال تعالى : " قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين "(١) والتقدير : ألستم على الحق وأنتم على الباطل إن كان من عند الله وكفرتم به .... فطوى الجواب واكتفى بإقامة الدليل عليه : " إن الله لا يهدي القوم الظالمين " لأن في طيه والسكوت عنه استمالة لهم وترغيباً في قبول الحق من مواجهتهم بصريح لفظ الجواب ، لما في هذه المواجهة من تسجيل للظلم والباطل عليهم ، فيكون هذا سبباً في نفورهم وإعراضهم عن الحق وقبول الإسلام ، وهذا هو سر الحذف في الآية الكريمة .....

وقال تعالى : " وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور "(٢) ، والتقدير : وإن يكذبوك فاصبر فما يصيبهم مثل هؤلاء الرسل فقد كذبوا وأوذوا مثلك ، وحذف الجواب هنا يوحي بقوة احتمال النبي — صلى الله عليه وسلم — وعظم صبره ، واجتهاده في تبليغ الدعوة مهما أصابه من أذى القوم

---

(١) الأحقاف ١٠ (٢) فاطر ٤

— وتكذيبهم ، وأن هذا الصبر قد بلغ حدا لا يتأتى معه أن يصرح بأمره — عليه الصلاة والسلام — به ، وإذ كيف يؤمر بالصبر وهو الصبور على أذى قومه ؟ ، ولهذا حذف الجواب في الآية الكريمة .....

ومن ذلك قوله تعالى : " إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين "[1] ، والتقدير : إن تحرص على هداهم فلا فائدة في حرصك ، لأن ضلالهم مستمر ، لا يتبدل ولا يتغير ....

وسر حذف الجواب هنا أن في ذكره تثبيتاً لعزيمة النبي — صلى الله عليه وسلم وإضماناً من جهده ، في تبليغ الدعوة ، ومن حرصه الشديد على هدايتهم وإيمانهم ولهذا حذف الجواب واكتفي بالدليل عليه : " فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين "...

وقوله تعالى : " فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين "[2] ، والتقدير : فإن تولوا فلا لوم عليك ولا قصور من جهتك ، لأنك أديت واجبك من تبليغ الرسالة ، وليس عليك هداهم " .....

فالحذف هنا فيه حث للنبي — صلى الله عليه وسلم — على بذل المزيد في تبليغ الدعوة ، حيث إن في التصريح ينفي اللوم والتقصير عنه — عليه الصلاة والسلام — دعوة إلى التكاسل وعدم الاجتهاد في تبليغ الرسالة ، ولهذا سكتت الآية

---

(١) النحل ٣٧ (٢) النحل ٨٢

— عن الجواب واوتد ليكون في هذا السكوت حث للنبي — عليه الصلاة والسلام — علي مضاعفة الجهد في تبليغ الرسالة ، ومما يقوى ذلك أسلوب القصر الذى جعل دليلا علي المحذوف : " إنما عليك البلاغ المبين " ، ففيه قصر لمهمة النبي — عليه الصلاة والسلام — علي التبليغ والإبانة ، ففي هذا ما يجعل النبي — صلي الله عليه وسلم — يبذل قصارى جهده لتأدية هذه المهمة علي خير وجه وأكمله ....

وحذف الجواب لإفادة التهويل والتفظيع كثيرٌ جداً في أساليب القرآن الكريم ومنه غير ما سبق قوله تعالي : " لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون " [1] .. والتقدير : لو يعلمون ذلك لأسرعوا إلي فعل ما لا يوصف ولا يدرك ...

وقوله سبحانه : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم " [2] — أى : لولا فضل الله عليكم ورحمته لأذاقكم أنواع العذاب والعقاب التي لا تدرك ولا يحيط بها الوصف لفظاعتها وهولها ....

وقوله تعالي : " فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين " [3] ، أى : فلما أسلما وتله للجبين حدث ما حدث مما لا يمكن وصفه ولا إدراكه .....

إلي غير ذلك من الآيات الكريمة .....

---

(١) الأنبياء ٣٩ (٢) النور ١٠ (٣) الصافات ١٠٣ — ١٠٥

١٦) حـــذف الجمـــلة :

وحذف الجمله نراه كثيراً في أساليب القرآن الكريم ، والجمله المحذوفة قد تكون سبباً لحذف ودل عليه المسبب ، وقد تكون سوءاً ، وقد تكون مسبباً عن سبب مذكور في الكلام ، وقد تكون معطوفة أو معطوفا عليها ، .... وقد تكون غير ذلك .

ونوع الجملة المحذوفة لا يعنينا بالدرجة الأولى ، لأنه من السهل أن نعرف ونحدد نوع هذه الجملة المحذوفة ... ، وإنما الذي أهتم به ، هو الكشف عن الأسرار البلاغية التي من أجلها تحذف هذه الجمل ، ولم كان إسقاطها أقوى للمعنى من التصريح بها ....؟

فمن الآيات الكريمة التي حذف فيها الجملة قوله تعالى : " وإذ استسقى موسى لقومه ، فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا "[1] . أي : فضرب فانفجرت ، فحذف جملة السبب وهي : فضرب ، ودل عليها قوله : " فانفجرت " ، لتسبب الانفجار عن الضرب .....

والسر البلاغي لهذا الحذف هو الإشارة إلى سرعة امتثال سيدنا موسى عليه السلام — وخضوعه التام لأوامر الله ، ومبادرته لتنفيذها ، فقد أمره الله عز وجل بضرب الحجر عندما طلب الاستسقاء لقومه ، فلم يتردد ولم يتمهل ليفكر : كيف سينبع الماء من الحجر الصلد بضرب العصا ؟ وإنما أسرع بتلبية الأمر وتنفيذه لإيمانه القوي بقدرة الله تعالى ....

---

١) البقرة ٦٠

ولطائف

يقول البقاعي : " وطوى هذا المنظر من الضرب لإنباء " فانفجرت " عليه من البلاغة وبداعة الحسن ولطافة الرونق لحذفه ، والدلالة على سرعة الامتثال وعلى أن المؤثر في الحقيقة إنما هو الأمر بالضرب لا الضرب نفسه " (١) .

والآيات التي حذفت فيها الجملة ليفيد الحذف سرعة وقوع الحدث وتحققه كثيرة في أساليب القرآن الكريم ، ومنها قوله : " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله : موتوا ، ثم أحياهم " (٢) ، أي فماتوا ثم أحياهم ، فالحذف هنا أفاد : سرعة تحقق الموت ، حتى أن وقوعه كان أسرع من النطق به وهذا يوحي بكمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه ..

وقوله عز وجل : " فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا " (٣) ، أي : فاستجبنا له ففتحنا أبواب السماء فالحذف هنا يشير إلى سرعة الإجابة لدعاء نوح — عليه السلام — فكان الطوفان الذي أهلك القوم ولم ينج من الغرق سوى نوح ، ومن آمن معه : " وما آمن معه إلا قليل " (٤) ، وهذا يوحي بطغيان القوم وإصرارهم على الاستمرار في الكفر والضلال ، فنوح عليه السلام — لم يدع ربه إلا بعد أن يئس من إيمانهم وأوحي الله إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، عندئذ قال : " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا " (٥) .

---

(١) نظم الدرر جـ ١ ص ٩٨ (٣) البقرة ٢٤٣
(٢) القمر من ١٢ (٤) هود ٤٠ (٥) نوح ٢٦ — ٢٧

ومن هنا كانت الإجابة السريعة ، وكان هلاك القوم ، وهذا هو سر الحذف في الآية الكريمة ، ومما يوحي بهذه السرعة أيضا تلك الفاءات : فدعا .... فانتصر .... ففتحنا .... ، فهي توحي بتلاحق الأحداث وتعاقبها في سرعة فائقة ....

وقوله تعالى : " فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم " (١) ، أى : فضرب فانفلق .. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي أفاد الحذف فيها تحقق الحدث وسرعة وقوعه .....

وقال تعالى : " وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " (٢) ، أى الآن تؤمن وقد عصيت قبل ....

وسر الحذف هنا هو الإشارة إلى أن هذا الإيمان لا اعتداد به ولا اعتبار لوقوعه بعد فوات الأوان ، وقد كان ينفع هذا الإيمان ويعتد به لو وقع في أوانه حين طلب منه موسى أن يؤمن برجاء بالبينات ، ففي هذا الوقت ، طغى وتكبر وقال : " أنا ربكم الأعلى " (٣) ، ثم حين أدركه الغرق أخذ يعلن الإيمان : " آمنت ... " ولهذا جاء الرد والتوبيخ : " آلآن وقد عصيت قبل ... " فسكوت الآية الكريمة عن هذه الجملة مع الاستفهام وتقديم الظرف ، يفيد التوبيخ والتحقير من شأن فرعون ، فقد انقضى الزمن الذى ينفع فيه الإيمان صاحبه ، أما الآن فلا اعتداد ولا فائدة لما يصدر من إيمان ، فليطو من اللفظ

(١) الشعراء ٦٣ ٢) يونس ٩٠، ٩١ ٣) النازعات ٢٤

— ليكون ذلك إشارة إلي أنه لا ينفع ولا يفيد .....

ومن ذلك قوله عز وجل : " قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ، ماذا يستعجل منه المجرمون . أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون "(١)

أى : آلآن تؤمنون وقد كنتم به تستعجلون ....

فحذف الجملة يوحي بأن هذا الإيمان لا فائدة منه ولا اعتبار له لصدوره في غير أوانه ، وكأن حذفه من اللفظ ينبيء بأنه لا قيمة له ولا اعتداد به ، فهو غير موجود أصلا .....

ونلاحظ في الآية الكريمة حذف الجملة المعطوف عليها بعد همزة الاستفهام والتقدير : أكفرتم ثم إذا ما وقع ....

وهذا الحذف يفيد أن كفرهم هذا ما كان ينبغي أن يكون ، بل كان يجب أن يحل محله الإيمان والطاعة ولكنهم كفروا واستمروا علي كفرهم حتي حان وقت وقوع العذاب ، ويوحي بذلك الحرف " ثم " الذى يفيد امتداد الكفر واستمراره فكسوت الآية الكريمة عن هذه الجملة يوحي بأن هذا الكفر الذى استمروا عليه طوال حياتهم ، ما كان ينبغي أن يحدث بل كان يجب أن يحل محله الإيمان والطاعة .....

ومن ذلك قوله تعالي : " ولقد أتوا علي القرية التي أمطرت مطر السوء

---

(١) يونس ٥٠ ، ٥١

... أفلم يكونوا يرونها ؟ .. بل كانوا لا يرجون نشورا " [1] والتقدير : أعموا فلم يكونوا يرونها ؟ .. والحذف هنا يشير إلى أن هذا العمى لم يتحقق بل هم مبصرون رأوا القرية وأدركوا ما حدث لها ، ولكن لإصرارهم على الكفر واستمرارهم في الضلال لم يتعظوا ، فكأنهم عميان بالعمى وهكذا يكثر حذف الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام في أساليب القرآن الكريم ، كقوله : " أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم .. " [2] ، وقوله : " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " [3] ، وقوله : " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " [4] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ، والتقدير في هذه الآيات : أكفرتم وعجبتم .... أقعدوا فلم يسيروا .... ، أيتبعونهم ولو كانوا لا يعقلون ....

ونرى هذا الحذف يفيد أن معاني هذه الجمل لا يمكن بحال أن تكون هي كان يجب أن يحل محلها معان أخرى كالآية الأولى والثالثة ، أو أنها لم تتحقق فجعل حذفها دليلا على عدم تحققها كالآية الثانية .....

وقال تعالى : " قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون " [5] والتقدير : وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون ، والحذف هنا يوحي بأن هؤلاء مصرون على الاستمرار في الكفر والضلال ، فقد أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، ولكن الله الذي يعلم سوء نجواهم ويدرك ما تخفيه ضمائرهم يعلم أنهم كاذبون في هذا القسم ، ولذلك جاءت الآية الكريمة بترك هذه الجملة المعطوفة : " يؤمنون " ، ليكون ذلك موحيا

---

(١) الفرقان ٤٠ ٢) الأعراف ٦٣، ٦٩ ٣) غافر ٨٢
(٤) البقرة ١٧٠ ٥) الأنعام ١٠٩

—

— بأن إيمانهم لن يتحقق وأنهم مصرون على الاستمرار في الكفر والضلال ....

وقال تعالى : " وجاء السحرة فرعون قالوا : إن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين "(١) ، والتقدير : نعم إن لكم لأجرًا وإنكم لمن المقربين ....

وسر الحذف هنا هو الإشارة إلى المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي ستكون لهؤلاء السحرة عند فرعون ، إذا ما تحقق لهم النصر والغلبة على موسى ، وكأن فرعون يقول : لهم : إن لكم مقاما أرفع ومنزلةً أسمى ، إذا تحقق لكم النصر ... فستكونون من المقربين إليّ ويجب أن تنسوا مسألة الأجر هذه ، ولا تذكروها ، فإن مثلكم لا يطلب أجرًا بل يطلب ما هو أسمى من ذلك ، يطلب التقريب مني ، ونيل محبتي وتكريمي ....

وهذا يوحي بمدى اهتمام فرعون بذلك الأمر ومدى الحديد على أن ينتصر السحرة فيتحقق له القضاء على ما جاء به موسى .. وهذا يدل على مدى تكبره وعناده ، وإصراره على الكفر والضلال .

وقال تعالى : " ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم "(٢) .. أي : إذا حلفتم وحنثتم ، وفي هذا الحذف تحذير من كثرة الحلف وإيحاء بضرورة تجنب الحلف بالله عز وجل ما أمكن ، " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم "(٣) . — فالحذف قد جعل الكفارة واجبة بمجرد الحلف مع أنها لا تجب إلا بالحنث في اليمين ، وهذا يوحي بضرورة أن يسمو الإنسان باسم الله تعالى ، وينزهه عن الترديد

(١) الأعراف ١١٣ ، ١١٤ ٢) المائدة ٨٩ ٣) البقرة ٢٢٤

— ومثل هذه الأيمان ، نجد قوله سبحانه في نفس الآية الكريمة — " واحفظوا أيمانكم " ، يقوى هذا المعني ويؤكده .....

وقال تعالي : " فمن كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر "[1] والتقدير : من كان مريضا أو علي سفر فأفطر فعدة ....

وقال : فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه "[2] ، والتقدير : من اضطر غير باغ ولا عاد فأكل فلا اثم عليه ..... من اضطر فأكل غير باغ ولا عادٍ

وقال : " فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم "[3] أي : من اضطر ..... فأكل غير متجانف .....

وحذف هذه الجمل يشير إلي أن الإنسان يجب عليه الا يلجأ إلي الأخذ بهذه الرخصة إلا عند الضرورة القصوى ، عندما يكون الصوم أو الجوع فيه أذى وضرر للمسلم ، حيث يقرر الإسلام أنه : " لا ضرر ولا ضرار " أما إذا انتفي الضرر والأذى ، فيجب الصوم وتجنب أكل الميتة ، ولهذا رأينا علماء الأصول يضعون الشروط التي تبيح للمريض أو المسافر أو المضطر الأخذ بهذه الرخص ، فالمسافر يجب أن يبدأ في سفره من قبل الفجر ، ويجب أن تكون المسافة مسافة قصر ..... والمريض يجب أن يكون مرضه شديداً لا يتأتي معه الصوم ، وأن يأمره الطبيب المسلم بالإفطار ..... والمضطر يجب أن يكون في عدم أكله الميتة خشية الموت ..... وهكذا .....

---

(١) البقرة ١٨٤ (٢) البقرة ١٧٣ (٣) المائدة ٣

فحذف هذه الجمل من اللفظ يشير إلى الحذر عند الأخذ بهذه الرخص ويوحي بأن واجب المؤمن ألا يلجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى .....

وقال تعالى : " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً " (١) ، أي : وأحسنوا بالوالدين إحسانا ، وهذا الحذف يوحي بتكريم الوالدين ومنزلتهما العظيمة عند الله عز وجل ، حيث جعل ذكرهما متصلا به سبحانه ، وكأنه داخل في حكم القضاء بعبادته ، وفي هذا من التكريم والتعظيم ما لا يخفى ولو ذكرت الجملة المحذوفة فقيل : وأحسنوا بالوالدين ، لما أفاد هذا المعنى من التشريف والتكريم .....

يقول التنوخي : " وحذف الفعل ليتصل ذكر الوالدين بذكره تعالى تعظيما لأمرهما وإشعاراً بدخول الإحسان إليهما في حكم القضاء بعبادته تعالى " (٢) .

ومن ذلك قوله تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً " (٣) ، أي : وأحسنوا بالوالدين إحسانا ، فقد أوحى الحذف بشرف الأبوين وعظم منزلتهما عند الله تعالى ، وبما يجب لهما من الاحترام والتوقير ، حيث جعل ذكرهما متصلا بذكره تعالى ، وكأن الإساءة إليهما داخلة في حكم الإشراك به سبحانه وتعالى ، وهذا مبالغة فيما يجب لهما من الإحسان والتكريم وحسن المعاملة .....

---

(١) الإسراء ٢٣ (٢) الأقصى القريب ص٦٢ (٣) الأنعام ١٥١

ومن حذف جمله الاستئناف قوله تعالي : " إن الذين يفترون علي الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم " (١) ، وهو ما يسميه البلاغيون بالاستئناف أو شبه كمال الاتصال ، وذلك بأن تكون الجملة الأولي مثيرة لسؤال تقع الثانية جواباً له ، فعندما قال سبحانه : " إن الذين يفترون علي الله الكذب لا يفلحون : " تحرك خيال السامع وأخذ يتصور أنواع النعيم التي ينعم بها الكفار في الدنيا ، وكان هذا مبعث سؤال مضمونه : وما هذا النعيم الذى يتمتعون فيه ؟ فجاء الجواب :—

" متاع قليل ولهم عذاب أليم " ونلاحظ في الآية الكريمة حذف المبتدأ في صدر الجواب ، أى : ذلك متاع ، وهذا الحذف يشير إلي حقارة المتاع ويوحي بأنه لا يستحق الذكر لحقارته وزواله السريع ..... " (٢) .

ومن ذلك قوله تعالي : " وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء " (٣) فقوله : " وما أبرئ نفسي ، هذه الجملة أثارت الذهن وحركت السامع ليسأل كيف لا يبرئ يوسف نفسه وهو التقي النقي ؟ .

وما السبب وراء ذلك ؟ ، فجاء الجواب : " إن النفس لأمارة بالسوء " وغير ذلك من الآيات الكريمة التي حذفت فيها جمله السؤال ولكن ما السر البلاغي لهذا الحذف ؟ .....

السر البلاغي لهذا الحذف هو أن اللغة العربية من مميزاتها إثارة السامع وتحريك خياله ليشارك المتكلم في الكلام ، فيتخيل ويتصور ما لم يصرح به ، وبهذا يتقرر المعني ويكون أشدّ تأثيراً وأوقع في النفوس .....

---

١) النحل ١١٦ ، ١١٧ ٢) انظر حذف المبتدأ ص١٥ ٣) يوسف ٥٣

يقول المبرد معلقاً حديثه عن البيت :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

" فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصّل فقال : كأنه رطباً العناب ، وكأنه يابساً الحشف البالي ؟ ، قيل له : العربي الفصيح الفطن اللقن ، يعربي بالقول مفهوماً ويرى ما بعد ذلك من التكرير عياً ، قال جل وعز ، وله المثل الأعلى : " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله " (١) ، علماً بأن المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب " (٢) .

---

١٣) حذف الجمل

وحذف الجمل ورد كثيراً في أساليب القرآن الكريم ، في مجال القصص حيث نرى بين أجزاء القصة القرآنية أحداثاً قد تركت ، وعلى العقل أن يجد في تصورها والوقوف عليها ، وذلك لأن القصص القرآني يعالج كثيراً من القضايا ويتناول عديداً من المواقف التي تحتاج إلى سرد الأخبار وعرض الأحداث المتعددة .....

فمن خصائصه أنه يحتاج إلى كثير من البيان حتى يكمل بناء القصة وتؤدي غرضها الجمالي والأخلاقي ، ومن هنا كانت القصة ميداناً للاختصارات والحذوف

---

(١) القصص ٧٣ ٢) الكامل جـ ٢ ص ٣٦

— وفي حاجة ماسة إلي التركيز والإجمال ومن ذلك قوله تعالي : " ولقد آتينا موسي الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا . فقلنا اذهبا إلي القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا " (١) . والتقدير : فذهبا إليهم ودعواهم إلي الإيمان فكذبوهما واستمروا علي التكذيب والكفر فدمرناهم ...

ففي حذف هذه الجمل تحريك للسامع وإثارة لحسه وشعوره كي يشارك المتكلم في الحديث بذهن يقظ وشعور نشطة فيستطيع أن يقف علي ما صرح به المتكلم ، ثم يمتد به الخيال والتصور ليدرك هذه الجمل المطوية ، ويقف علي معانيها ، فما من شك في أن المعني إذا أدرك بذهن يقظ ومدارك نشطة قوية ، تتصور وتتخيل وتشارك المتكلم في الوصول إلي ما لم يفصح عنه الأسلوب ما من شك في أن هذا المعني يكون أقوى تأثيرا وأوقع في النفس من المعني الذى يصلها سهلا سائغا دون يقظة ولا نشاط ..... لأن المعني الأول يرسخ في النفس ويستقر ويثبت ، أما الثاني فيظل طافيا وسرعان ما يذهب ويتولي دون أن يترك في النفس الأثر المطلوب ، وهذا سبب عام في كل حذف من حذوف القصص القرآني الكريم .....

وسر آخر وراء الحذف في الآية الكريمة وهو الإشارة إلي امتثال موسي وهارون — عليهما السلام — وسرعة إجابتهما لله عز وجل حتي كأن التدمير والإهلاك قد ترتبا علي الأمر بالذهاب ، لأن موسي وهارون ، لم يتوانيا في تنفيذ الأمر .....

---

(١) الفرقان ٣٤ ، ٣٥

ومن ذلك قوله تعالي : " وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت : هل أدلكم علي أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلي أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون " (١) .

والتقدير : فذهبت إليهم أخته ودخلت عليهم فقالت : هل أدلكم .... — فقبلوا ذلك منها فدلتهم علي أمه فجاءت وكلموها في إرضاعه ،فقبلت فرددناه إليها وحذف هذه الجمل يصور لنا السرعة في إنجاز الوعد الذى وعده الله تعالي أهوسي حين قال : " .... إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين " (٢) ،ولهذا تم عرض الأحداث في سرعة فائقة يطوي ما يستطيع العقل إدراكه منها ثم باستخدام هذه الفاءات : .... فالنقطة ... فيصرت به ... فقالت ... فرددناه ... ، التي تفيد طي الزمن وتقصير المسافات ،وذلك من أجل الإسراع بتحقيق وعد الله وإنجازه ، ثم رأينا الآيات الكريمة تفيض في الحديث بعد أن تم تحقيق الوعد :—

" فرددناه إلي أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون " ، لأن الغرض الذى من أجله كان الإسراع قد تم وتحقق ...

وإذا قرأنا قصة " يوسف" —عليه السلام " رأيناها مليئة بالجمل المحذوفة والأحداث المطوية بين أجزائها المختلفة .... ،فمن ذلك قوله تعالي : " قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون . فلما ذهبوا به وأجمعوا أن ... " (٣) أى : فوافق أبوهم وأرسله معهم ،فلما ذهبا .... وقوله : " وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف .... " (٤)

(١) القصص ١٢ ، ١٣ (٢) القصص ٧ (٣) يوسف ١٤ ، ١٥
(٤) يوسف ٤٥ ، ٤٦

أى : فأرسلوني إليه فأرسلوه فجاءه وقال له : يوسف أيها الصديق ... ...

وقوله : " ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " وقال الملك ائتوني به ... " (١) أى فرجع الرسول إلي الملك وأخبره بتأويل يوسف لرؤياه فقال الملك : ائتوني به .....

وقوله سبحانه : " وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين " (٢) ، أى : فذهبوا إليه وأحضروه فلما كلمه قال : إنك اليوم لدينا ... إلي غير ذلك من الجمل التي طويت والأحداث التي سُكِتَ عنها بين أجزاء هذه القصة الكريمة ....

ونلاحظ أن هذه الأحداث المتروكة بين أجزاء القصة القرآنية تختلف طولاً وقصراً ، فقد تكون أحداثا سريعة لا تستغرق زمنا ، وقد يمتد بها الزمن فتستغرق أياما طويلة ، وقد يطول بها الزمن فتشمل مرحلة كاملة من مراحل العمر ....

فمن الأحداث السريعة قوله تعالي : " فأتيا فرعون فقولا : إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني إسرائيل . قال : ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين " (٣) والتقدير : فأتيا وأخبرا بذلك وطلبا منه كما أمرهما الله به ، فقال : ألم نربك فينا . .....

وقوله تعالي : " اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت : يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم " (٤) .

---

(١) يوسف ٤٩ ، ٥٠ ٢) يوسف ٥٤ ٣) الشعراء ١٦ — ١٨

(٤) النمل ٢٨ ، ٢٩ .

أى : فذهب إليهم بالكتاب وألقاه إلي الملكة فقالت : يا أيها الملأ ... فالمحذوف في الآيتين جملٌ قصيرةٌ لا يستغرق تصورها زمنا طويلا ، وقد أفاد هذا الحذف سرعة إجابة موسي وهارون — عليهما السلام — لنداء الله ، حتي كأن الزمن يتقاصر عن الإتيان بهذه الجمل المطويه ، كما يوحي الحذف في الآيه الثانية بخضوع الهدهد وامتثاله لأمر سليمان — عليه السلام — حيث انطلق مسرعا إلي هؤلاء القوم مما أدى إلي حذف هذه الجمل والسكوت عنها ، لأن إجابة الهدهد كانت أسرع من أن تذكر في اللفظ وتتحدث عنهما الآيات ....

ومن الأحداث التي طال زمن وقوعها قوله تعالي : " فرددناه إلي أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين [1] ، فقد سكتت الآيات عن هذه السنوات الطويلة التي نشأ فيها موسي — عليه السلام — وتربي ، حتي بلغ أشده واستوى ، فلا نعلم كان بعد رده إلي أمه لترضعه ، ولا كيف تربي في قصر فرعون ، ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة ولا كيف كان مكانه في القصر أو خارجه بعد أن شب وكبر ولا كيف كانت عقيدته وهو الذى يصنع علي عين الله : " وألقيت عليك محبة مني ولتصنع علي عيني " [2] سكتت الآيات عن كل هذه الأحداث وطوتها لتخبرنا بالمرحلة القادمة من حياته — عليه السلام — عندما بلغ أشده واستوى ....

---

(١) القصص ١٣ و ١٤

(٢) طه ٣٩

ونظير ذلك قوله تعالي : " وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين " (١) فقد طوت الآيات هذه السنين الطويلة التي نشأ فيها ـ يوسف عليه السلام ـ وما وقع فيها من أحداث ، لتخبرنا عنه بعد أن بلغ أشده وآتاه الله الحكمة ، وعلمه تأويل الأحاديث .

ومن ذلك قوله تعالي : " يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا " قال رب أني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ... إلي قوله .... فأوحي إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا " يايحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا " (٢) ، فقد طوت الآيات هذه السنين التي ولد فيها يحيي ـ علية السلام ـ ثم نشأ حتي وصل إلي هذه السن التي يوحي إليه فيها ، وسكتت عما وقع له من أحداث في تلك المرحلة ، لتصوره لنا بعد ذلك وقد صار نبيا يوحي إليه .....

وعلي هذا النحو كان القرآن الكريم في عرضه لأحداث القصص يبرز منها ما يراه ضروريا وأساسيا في بناء القصة وتكوينها ويطوى ماعدا ذلك مما يستطيع العقل إدراكه والوقوف عليه ....

ويرجع السر البلاغي لحذف هذه الأحداث في القصص القرآني إلي أمرين :ـ

الأول :ـ

ألا يشغل الذهن بهذه الأحداث الفرعية ، وتلك الجمل المطوية

---

(١) يوسف ٢١ ، ٢٢ (٢) مريم ٧ ـ ١٢

— التي يسهل إدراكها من السياق ، من التمعن في الأحداث الأساسية وعن النظر الدقيق فيما يهدف إليه القصص القرآني من تسلية الرسول — صلى الله عليه وسلم — والتسرية عنه ، ومن المؤمنين معه رضوان الله عليهم ، ومن تحذير وإنذار لكفار مكة ، وبما تديها ، ومن إرساء لقواعد الدين وبناء أحكامه وأسسه ، وغير ذلك مما يهدف إليه القصص القرآني الكريم ....

يقول التنوخي ممثلاً لحذف الجمل في قصة يوسف — عليه السلام — " ولما كانت هذه الجمل معلومة بالضرورة ، وقصة يوسف — عليه السلام طويلة ، حذفت منها هذه الجمل المعلومة بالضرورة تخفيفاً ، وكان حذفها أحسن من الإتيان بها ، لأن سماعها يشغل عن تأمل ما في القصة مما يحتاج إلى تأمله وهو كثير . " (١)

الأمر الثاني :— تحريك العقول وإثارتها لكي تتخيل هذه الأحداث وتصل إلى إدراك تلك الجمل المحذوفة ، وبهذا يصبح الإنسان القصة القرآنية بأحاسيسه وجميع مشاعره ، فيكون لها عندئذ من التأثير في النفوس والاستقرار في الوجدان ومن الثبات والرسوخ ما لا يكون إذا مر بهذه الأحداث المتروكة ....

وإذا ما تركنا هذه الأحداث التي تطوى بين أجزاء القصة القرآنية لنتأمل طريقة القرآن الكريم في عرض القصص ، رأينا التنوع في تناول هذه الأحداث فتارة نرى التفصيل والإسهاب ، وتارة نرى الإيجاز والإجمال ، وذلك يرجع إلى المقام والغرض الذي من أجله جاء القصص القرآني ....

---

(١) الأقصى القريب ص ٦١

فإذا كان المقام مقام تسلية للرسول — صلى الله عليه وسلم — وتسرية عنه رأينا التفصيل في عرض أحداث القصة ، وذلك كما في سورة يوسف — عليه السلام — وكما في سورة القصص .....

وإذا كان المقام مقام إنذار وتحذير لأهل مكة رأينا الإيجاز الشديد والعرض الخاطف ، والاكتفاء بما يحقق الغرض من الإنذار ، وطي ما عداه من أحداث ، وذلك كما في سورة القمر فإن الغرض منها إنذار أهل مكة وتحذيرهم إذ يقول سبحانه في أول السورة : " اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغني النذر " (١) .

ثم يقول عز وجل في ختامها : " أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر . " (٢) ، ولهذا رأينا السورة تتعرض بإيجاز شديد لقصة نوح وهو وصالح ولوط وفرعون ، وتكتفي بذكر ما حل بكفارهم من عقاب جزاء كفرهم وتطوي ما عدا ذلك من أحداث .

تقول الآيات الكريمة عن قصة نوح — عليه السلام : " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا : مجنون وازدجر ، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر ، فكيف كان عذابي ونذر . " (٣) .

(١) القمر ١ — ٤ (٢) القمر ٤٣ (٣) القمر ٩ — ١٦

واذا ما قارنا هذه الآيات الكريمة بما ورد في سورة هود — عليه السلام — نجد الإيجاز الشديد هنا والعرض السريع ، ونجد أن الأحداث قد اختصرت وطويت .... ، فأين الجدال الذى طال بين نوح وقومه هناك ، كي يقنعهم بالتخلي عن الكفر وترك العناد والإقبال على الله تعالى والإيمان به ، حتى قالوا له : " يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين " (١) .....

ثم أين أمر الله له يصنع السفينة ، وكيف كان القوم يسخرون منه كلما مروا عليه ، وهو يجيبهم : " إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون " — فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم . " (٢) ..... وأين الآيات التي تصف السفينة وهم يركبونها وهي تجري بهم ، ونداء نوح لابنه ورفض الابن الركوب ، ثم اتجاه نوح إلى الله داعيا : " رب إن ابني من أهلي (٣) وكيف رد الله سبحانه وتعالى عليه ... " إنه ليس من أهلك " (٤) ... كل هذه الأحداث قد طويت ، واكتفت الآيات بالإشارة السريعة إلى نجاة نوح ومن آمن معه بالسفينة ، وإبراز موقف قومه من العناد والتكذيب ، وما أصابهم من الإغراق والإهلاك ، وذلك لأن المقام يقتضي هذا الإيجاز تحقيقا لردع أهل مكة وتحذيرهم من مثل هذا التكذيب والكفر .....

ونظرة أخرى لأساليب القصص القرآني نرى أن الأحداث العديدة أو القصة كلها قد توجز في عدة كلمات أو في آية واحدة ، وهذا ما سماه الرماني بالإيجاز الذى يستخدم في العلوم القياسية إذ يقول : " والإيجاز على وجهين " —

١) هود ٣٢ ٢) هود ٣٨ ، ٣٩ ٣) هود ٤٥
٤) هود ٤٦

أحدهما : إظهار النكته بعد الفهم لشرح الجمله ، والآخر إضمار المعني بأتم ما يمكن من العبارة ، والوجه الأول يكون كثيرا في العلوم القياسية ، وذلك أنه إذا فهم شرح الجملة كفي بعد ذلك حفظ النكته ، لأنها تكون حينئذ دالة ومغنية عن التعلق بها في نفسها لتعلق النكته بها ، فهذا الضرب من الإيجاز لا يكون إلا بعد أحوال متقررة من الفهم لشرح الجملة ، فحينئذ تكون النكته مغنية " (١)

ومن ذلك قوله تعالي في سورة طه : " وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت علي قدر يا موسي واصطنعتك لنفسي . " (٢) ، فهذا عرض خاطف وإيجاز شديد لما تم شرحه وتفصيله في سورة القصص " ، من استغاثة الرجل الذي من شيعته بموسي ، واستجابة موسي له ، وقتله الذي من عدوه ، ثم فراره إلي مدين ، ثم عودته بعد قضاء الأجل ، فهذه الأحداث قد تم شرحها في سورة القصص في خمسين تقريباً ، ثم هي هنا في سورة " طه " توجز إيجازاً شديداً في أقل من سطرين . .....

ونحو ذلك قوله تعالي في سورة " يوسف " : " ورفع أبويه علي العرش وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجائكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم " (٣)

فهذه الآية الكريمة إيجاز شديد وعرض سريع لأحداث القصة بعد أن تم شرحها وتفصيل مشاهدها المختلفة ، فالذي يقرأ القصة يقف علي أحداثها

(١) النكت ص ٧٩ ٢) طه ٤٠ ٣) يوسف ١٠٠

— بفهم تام وإدراك كامل ، ثم يقرأ هذه الآية الكريمة فيقع في خياله ويتصور ذهنه جميع أحداث القصة ومشاهدها .....

يقول ابن أبي الإصبع : " اختصر القصة كلها في هذه الآية ، لأنه ذكر أصول الأسباب المستلزمة جميع المسببات التي هي جملة القصة ، فإن قوله : " هذا تأويل رؤياي من قبل " ، اقتصر على ذكر رؤياه التي كانت سبب حسد إخوته حين فعلوا به ما فعلوا ، وذكر خروجه من السجن الذي كان سببا في الملك الذي كان سببا في اجتماعه بأبيه وإخوته ، فكأنه قد اقتص جميع القصة مختصرة لمن يشارك في علمها ، فالأولى لعلم تفاصيلها ، والثانية لعلم جملها ." (1) ..... " وبعد " ...

فهذه إشارات قليلة إلى طي الجمل واختصار الأحداث في القصص القرآني ، أما طريقة القرآن ومنهجه الرائع في بناء القصص القرآني وعرض أحداثه فلا تتسع لها هذه الدراسة ، وإنما تحتاج إلى دراسة أخرى مستقلة ....

---

(1) تحرير التحبير ص ٤٧٠

الفصل الثاني

قرائن الحذف

لابد في الحذف من قيام القرينة التي تدل على المحذوف وترشد إليه ، فالعرب لم يحذفوا من كلامهم إلا ما قام الدليل عليه ، لأن حذف ما لم يقم الدليل عليه مناف للغرض الذي وضع الكلام ، ويؤدي إلى حدوث اللبس والإشكال في فهم المعنى وإدراك المراد ...

وقد رأينا في الباب الأول اهتمام العلماء بالتنبيه إلى ضرورة قيام القرينة التي ترشد إلى المحذوف وتدل عليه ، فهم لا يتحدثون عن ظاهرة الحذف إلا ويشيرون إلى القرينة الدالة على المحذوف فيما يعرضونه من شواهد وأمثلة ..

وإذا تأملنا صور الحذف المختلفة في أساليب القرآن الكريم رأينا وجود الدليل الذي يدل على المحذوف في كل صورة من هذه الصور ، فليس في القرآن الكريم حذف لم يقم الدليل عليه ، فمثلاً قوله تعالى : "وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً" (١) أي : أنزل ربنا خيراً ، فحذف الفعل والفاعل ودل عليهما قوله تعالى " ماذا أنزل ربكم " ...

وقوله تعالى : "فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم" (٢) فقد حذف جواب الشرط وتقديره : فإن تولوا فلا لوم علي أو فلا عذر لكم عندي ، ويدل على المحذوف قوله : " فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم " وقوله عز وجل : " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ..." (٣) ، أي : حرم عليكم نكاحهن ، فحذف المضاف ودل عليه قوله تعالى قبل هذه الآية مباشرة : " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف" (٤)

---

١) النحل ٣٠ ٢) هود ٥٧ ٣) النساء ٢٣ ٤) النساء ٢٢

وقوله تعالى : " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا "[1] أي تتخذون منه سكرا قبيحا ورزقا حسنا ، فحذفت الصفة " قبيحا " ، ودلت عليها الصفة المذكورة بعد وهي قوله : " حسنا " ... وهكذا ترى أنه ليس في القرآن الكريم حذف إلا وهناك الدليل الذي يدل على ما يحذف ويشير إليه ..

وليس معنى ذلك أن الحذف هو عبارة عن إسقاط كلمة ثم الإتيان بكلمة أخرى تدل عليها لأننا إذا تأملنا القرينة الدالة على المحذوف في الآيات الكريمة ، نجد أن هذه القرائن بالإضافة إلى دلالتها على المحذوف ، تفيد معنى لا يفيده ذلك المحذوف .

فقوله تعالى : " وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك "[2] دل قوله : " فقد كذبت رسل من قبلك " ، على جواب الشرط المحذوف ، وأفاد في نفس الوقت معنى لا يفيده الجواب وهو تسلية الرسول — صلى الله عليه وسلم — والتسرية عنه بذكر هؤلاء الرسل عليهم السلام — وما حدث لهم ، وكيف قوبلت دعوتهم بالرفض والتكذيب ...

وقوله تعالى : " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ... "[3] ، دل قوله : " فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " على الخبر المحذوف وأفاد : تهديد هؤلاء الكفار قساة القلوب وتوعدهم بالعقاب — والعذاب ...

وقوله تعالى : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها "[4] أي : أمرناهم بالطاعة ففسقوا ، فقد دل قوله : " ففسقوا فيها " على الجار والمجرور والمحذوف وأفاد في نفس الوقت معنى آخر وهو عصيان أهل تلك القرية وإقدامهم على الفسوق فاستحقوا بذلك التدمير والتعذيب .... وهكذا ترى أن قرينة الحذف لم يؤت بها ...

---

1) النحل ٦٧ 2) فاطر ٤ 3) الزمر ٢٢ 4) الإسراء ١٦

ـ أجل الدلالة على المحذوف فقط ، وإنما تفيد معنى آخر لا يفيده المحذوف .

وقد يحتمل المعنى أكثر من تقدير للمحذوف وعندئذ يجب علينا الإستعانة بأمور أخرى من خارج النص لتحديد المحذوف وتعيينه ، من ذلك : قوله تعالى : " فذلكن الذى لمتننى فيه " (١) ، فقد حذف المضاف وتقديره يحتمل أموراً ثلاثة :ـ

أولها :ـ فذلكن الذي لمتننى فى مراودته بدليل قوله : " تراود فتاها عن نفسه "(٢)

وثانيها :ـ فذلكن الذى لمتننى فى حبه بدليل قوله : " قد شغفها حبا " (٣)

وثالثها :ـ فذلكن الذى لمتننى فى شأنه وأمره ، فيدخل فيه المراودة والحب ولكن العادة تحدد المحذوف وتعينه إذ يتحتم أن يكون تقديره : المراودة دون الحب أو الشأن ، لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه واختياره ، والتى يقدر على أن يدفعها عن نفسه ويقاومها ، وكذلك لا يقدر الشأن أو الأمر لدخول المحبة فيهما ، والعادة قد حددت وعينت المراودة .

وقوله تعالى : " وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... "(٤) فقد حذف المضاف فى الآيتين وتقديره يحتمل أمرين :ـ

أولهما :ـ وما أفاد الله على رسوله من أموالهم ... ومن أموال أهل القرى .

وثانيهما :ـ وما أفاء الله على رسوله من رقابهم ... ومن رقاب أهل القرى .

---

١) يوسف ٣٢ ٢) يوسف ٣٠ ٣) يوسف ٣٠ ٤) الحشر ٦ ، ٧

والوقوع هو الذي حدد المحذوف وعينه إذ يجب أن يكون تقديره الأموال دون الرقاب ، لأن الذي قد وقع ورون لنا هو أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد ملك أموال بني النضير وأموال أهل القرى ، ولم يملك الرقاب منهم ... إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي يحتمل المحذوف فيها أكثر من تقدير ... (١)

وإذا تأملنا القرائن الدالة على المحذوف رأينا أن هذه القرائن قد تكون من جنس المحذوف الدالة عليه وهذا هو الغالب، وقد تكون من غير جنسه ومن ذلك :ـ

قوله تعالى : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " (٢) ، والتقدير : أمرناهم بالطاعة ففسقوا فقد دل قوله : " ففسقوا " على الجار والمجرور : " بالطاعة " ، وهو من غير جنسه ، وقوله عز وجل : " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون "(٣) ، والتقدير : تتخذون منه سكرا قبيحا ورزقا حسنا ، فقد دلت الصفة المذكورة وهي :" حسنا " ، على الصفة المحذوفة " قبيحا " ، والمذكور ليس من جنس المحذوف، بل مضاد له كما هو واضح ...

ومنه قول المتنبي :

أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرهم وأتيناه على الهرم

والتقدير : وأتيناه على الهرم فساءنا ، فقد دل قوله : " فسرهم " على الجملة المحذوفة : " ساءنا " ، والمذكور مضاد للمحذوف، أي : ليس من جنسه، ومنه قول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

---

١) انظر الإشارة إلى الإيجاز ص ٣ ـ ٨ ٢) الإسراء ١٦ ٣) النحل ٦٧

ـ أن : إذ يقتلونكم فتوسهم في السلم ، فقد دل قوله : " عند الوغى " على " في السلم " المحذوف وهو ليس من جنسه ... إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي دلت فيها القرينة على المحذوف وهي ليست من جنسه ...

ولكننا نرى بعض العلماء كالعلامة الزمخشري وأبي هلال العسكري ، وغيرهما — يشترطون في المحذوف أن يكون من جنس المذكور الدال عليه ، يقول الزمخشري في حديثه عن المحذوف في الآية الكريمة : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها .(١) " فإن قلت : هلا زعمت أن معناه : أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ ، قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز ، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه ، وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن ففسقوا يدل عليه ، وهو كلام مستفيض يقال : أمرته فقام ، وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ، ولو ذهبت تقدر غيره فقد رميت من مخاطبك على الغيب ... (٢)

ولما رأى رحمه الله ـ أن تقدير المحذوف : " أمرناهم بالفسق " ، يؤدي إلى تجويز أن الله سبحانه وتعالى يأمر بالفسق والعصيان ، حمل الآية على المجاز فقال " وإذا أردنا : وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل أمرناهم ففسقوا ، أي : أمرناهم بالفسق ففعلوا ، والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم أن يقول لهم : افسقوا وهذا لا يكون نهى أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز : أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه ، وأنه خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية

١) الإسراء ١٦ ٢) الكشاف جـ٢ ص ٥١٠

— فآثروا الفسق ، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم " (١)

ولا وجه للمجاز في الآية الكريمة ، لأن إيلاء النعمة وصبها عليهم قد تسبب في الفسق ولم يتسبب في الأمر به ، فالعصيان أو الفسق يجعل مجازا لإيلاء النعمة بأن يقال : فسق أهل القرية وعصوا ربهم ، ويراد بذلك : إيلاء النعمة وصبها عليهم ، على طريق المجاز المرسل الذي علاقته التسبب ... ، أما أن يجعل الأمر بالفسق مجازا فهذا لا وجه له ، وفي عبارة الزمخشري — رحمه الله — ما يوحي بذلك : " وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسق ... " ، فالله عز وجل لم يطلب منهم إيثار الفسق وإنما طلب منهم إيثار الطاعة ...

ونرى كثيرا من العلماء يخالفون رأي الزمخشري في تقدير المحذوف في الآية الكريمة ، ويرفضون اشتراطه أن يكون المحذوف من جنس المذكور الدال عليه ...

يقول القاضي عبد الجبار : " إن قوله : " ففسقوا فيها " : يدل على أن المأمور به هو الشيء الذي يفسقهم خروجا عنه ، ولولا ذلك لم يصح أن يتعلق به ، فالمراد بالآية : أنه أمرهم بالطاعة ففسقوا بالخروج عن ذلك فحق عليهم القول والوعيد ، لأنه تعالى كان خبر عنهم أنهم سيهلكون بسوء اختيارهم .... " (٢)

ويقول الآلوسي : " ويدل على تقدير الطاعة أن فسق وعصى متقاربان بحسب اللغة وإن خص الفسق في الشرع بمعصية خاصة ، وذكر الضد يدل على الضد ، كما أن ذكر النظير يدل على النظير ، فذكر الفسق والمعصية يدل على تقدير الطاعة ، كما قيل في قوله تعالى " سرابيل تقيكم الحر " (٣) ، فيكون نحو : أمرته فأساء إليّ أي : أمرته بالإحسان ،

---

١) الكشاف جـ٢ ص٥١٠ ٢) المتشابه جـ٢ ص٤٦٠
٣) النحل ٨١

بقرينة المقابلة بينهما المعتضدة بالعقل الدال على أنه لا يؤمر بالإساءة، كما لا يؤمر بالفسق، والنقل كقوله تعالى : "إن الله لا يأمر بالفحشاء" (١) . . . . (٢)

ثم يرد رأي الزمخشري بقوله : "إن عدم ارتضائه لا يمنع الثقات عن ترجمان القرآن وغيره من تقدير الطاعة مع ظهور الدليل ومساعدة مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء، لا وجه له كما لا يخفى على من له قلب." (٣) .

ويقول المرتضى : "المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وإن وقع بعده الفسق ويجري هذا مجرى قول القائل : أمرته فعصى، ودعوته فأبى، والمراد أنني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول." (٤) .

ويقول النيسابوري : "اختلفوا في المأمور به فالأكثرون على أنه الطاعة والخير" وقال في الكشاف معناه : إذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل، أمرنا هم بالفسق ففسقوا . . . ثم إنه جعل تقدير : أمرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكاليف بحلم النبيء، ولم يجوز أن يكون من قبيل أمرته فعصاني، فإنه يفهم منه أن المأمور به طاعة، ولكنه بأنه مثل : أمرته فقام أو أمرته فقرأ فإنه لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة، ولقائل أن يقول : كما أن قوله : أمرته فعصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث إن المعصية منافية للأمر، ومناقضة له، فكذلك قوله : أمرته ففسق، يدل على أن المأمور به شيء غير الفسق، لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضد المأمور به، فكونه فسقا ينافي كونه مأموراً به، كما أن كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها، وهذا ظاهر، فلا أدري لم أصر جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته أصله." (٥) .

---

١) الأعراف ٢٨ ٢) روح المعاني جـ ١٥ ص ٤٣ ٣) نفس المصدر والصفحة
٤) أمالي المرتضى جـ ١ ٥) غرائب القرآن على هامش الطبري جـ ٥ ص ١٨

وبهذا نرى ضعف رأى الزمخشرى — رحمه الله — فى اشتراطه أن يكون المحذوف من جنس المذكور، لإجماع هؤلاء العلماء على مخالفة رأيه، وتجويزهم أن يكون المحذوف من غير جنس المذكور الدال عليه ... ثم لورود ذلك كثيرا فى أساليب القرآن الكريم وفيما ورد عن العرب — كما رأينا ... (١)

وأيضا لبعد المجاز الذى حمل عليه الآية الكريمة عند تقديره المحذوف من جنس المذكور ...

فالذى يجب مراعاته فى قرائن الحذف، أن تكون واضحة الدلالة على المحذوف، أما كونها من جنسه أو من غير جنسه فلا اعتبار لذلك ولا اعتداد به ...

ونرى أبا هلال العسكرى عند حديثه عن ظاهرة الحذف يذكر بعض الشواهد ثم يحكم على الحذف فيها بالرداءة والعيب لعدم وجود القرينة الدالة على المحذوف — فى رأيه — ...

يقول أبو هلال : " ومن الحذف الردىء قول الحارث بن حلزة :—

بالعيش خير فى ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا

وإنما أراد : والعيش الناعم خير فى ظلال النوك من العيش الشاق فى ظلال العقل وليس يدل لحن كلامه على هذا، فهو من الإيجاز المقصور، ومن الحذف الردىء أيضا قول الآخر :—

أعاذل عاجل ما أشتهى ... أحب من الأكثر الرائث

---

١) انظر ص ٢٢٦

— يعنى : عاجل ما أشتهى مع القلة أحب إلى من رائثه مع الكثرة ..

ومثله قول عروة بن الورد :—

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ويقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يعنى : إذ يقتلون نفوسهم فى السلم .

ومثله من نثر الكتاب ما كتب بعضهم : " فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا تواتر وأبطأ " ، وتمام المعنى أن يقول : إذا قل وزجا ، فترك ما به يتم المعنى ، وهو ذكر القلة ... " (١)

والتأمل فى هذه الشواهد التى ذكرها ، نرى أنه لا رداءة فى الحذف كل ما هنالك أن القرينة الدالة على المحذوف ليست من جنسه ، وقد رأينا جواز ذلك ... فمثلا قول عروة بن الورد :—

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ويقتلهم عند الوغى كان أعذرا

نرى لفظ " الوغى " ، قد دل على المحذوف : " فى السلم " ، وهو ضاد له وليس من جنسه ، ولعل ذلك هو الذى جعل أبا هلال يحكم برداءة الحذف وعدم وجود الدليل عليه ....

ثم بتأمل الحذف فى الأبيات نرى أن له قيمة بلاغية لا تكون عند الذكر وهى الوضوح والبيان بعد الإبهام وتقدم ما يحرك ، فقوله :—

... عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... فيه إبهام تتطلع النفوس إلى إدراكه والوصول إليه ، ثم يجىء قوله :— ... ويقتلهم عند الوغى كان أعذرا

(١) الصناعتين ص ١٩٤

- هيئا لهذا الإبهام ، إذ به علم أن القتال الأول المتعجب منه كان في الموادعة والسلم ...

ونظير ذلك حذف مفعول المشيئة أو الإرادة بعد أداة الشرط ، كقوله عز وجل " ولو شاء الله لجمعهم على الهدى "[1] ، فإن قوله سبحانه :-

" لو شاء الله " ، فيه إبهام بسبب حذف المفعول ، ثم قوله في الجواب " لجمعهم على الهدى " ، بيان لهذا الإبهام ، إذ به علم المفعول المحذوف وأن تقديره : لو شاء الله جمعهم على الهدى لجمعهم ...

والبيان إذا ورد بعد الإبهام كان أوقع في النفوس وأشد تأثيراً مما إذا لم يتقدم ما يثير ويحرك ....

وهكذا الأبيات التي ذكرها أبو هلال ، نرى فيها دليل الحذف قائما في لحن الكلام على عكس ما ذكر ، في بيت الحارث :-

والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا

نرى لفظ : " كدا " يدل على لفظ : "الناعم " ، وكذلك لفظ " النوك " يدل على لفظ العقل ، والتقدير : والعيش الناعم خير في ظلال النوك من العيش الشاق في ظلال العقل ، ومع ذلك يقول أبو هلال عن البيت : " وليس يدل لحن كلامه على هذا " ، كيف والدليل قائم عليه ؟ كل ما هنالك أن المحذوف ليس من جنس المذكور ، ولا غبار على ذلك كما رأينا .....

وكذلك البيت :-

أعاذل عاجل ما أشتهي ... أحب من الأكثر الرائث .

---

(١) الأنعام ٣٥

ـ قد دل لفظ " الأكثر " على لفظ " القلة " المحذوف وهما متضادان ، وقـــول بعضهم : " فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا تواتر وأبطأ " يدل قوله : " تواتر " على لفظ : " قل " المحذوف ....

وبهذا يتضح لنا خطأ أبي هلال في حكمه بزيادة الحذف في تلك الصورة ، ولعل الذي جعله يحكم بهذا الحكم ـ كما ذكرت ـ هو أن المحذوف ليس من جنس المذكور الدال عليه وهذا ليس عيباً ، ما دام يتضح المحذوف ، ولا يحدث لبس في إدراك المراد ....

وهكذا نرى أنه لابد في الحذف من قرينةٍ تدل على المحذوف وتشير إليه ، وهذه القرينة لم يؤت بها في الكلام من أجل الدلالة على المحذوف فقط ، وإنما تفيد معنى آخر لا يفيده المحذوف ....

ولا يشترط في قرائن الحذف أن تكون من جنس المحذوف الدالة عليه ، بل قـــد تكون من جنسه وهذا هو الغالب في أساليب القرآن الكريم وفيما ورد عن العرب ، وقـــد تكون من غير جنسه ـ كما رأينا ....

فالذي يجب مراعاته في قرائن الحذف أن تكون واضحة الدلالة على المحذوف حتى لا يحدث لبس في فهم المعنى ، وإدراك المراد ....

والله أعلـــم

خاتمة وتعقيب

لقد رأينا في الباب الأول، كيف نشأت دراسة ظاهرة الحذف حول أساليب القرآن الكريم، وكيف نمت وتطورت دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية ....

وقد رأينا العلماء قبل عبد القاهر يهتمون بإثبات هذه الظاهرة في كلام العرب وورودها عنهم، وينبهون إلى ضرورة قيام القرينة الدالة على المحذوف، حيث إن العرب لم يحذفوا من كلامهم إلا ما قام الدليل عليه، لأن الحذف بلا دليل يؤدي إلى خفاء المعنى وحدوث اللبس والإشكال في فهم المراد ....

كما كانت لهم إشارات دقيقة إلى بيان قيمة الحذف، ومحاولات للكشف عن أسراره، وإن كانت هذه الإشارات وتلك المحاولات قليلة ونادرة ...

وكان التأثر والتأثير واضحا بين هؤلاء العلماء حتى فيما يعرضون من شواهد وأمثلة كما رأينا في الفصل الأول ...

وفي الفصل الثاني: رأينا كيف أفاد عبد القاهر من دراسة المتقدمين عليه والمعاصرين له، واستطاع أن يضع منهجا دقيقا في دراسة هذه الظاهرة، وبيان دقائقها، والكشف عن أسرارها ....

وعند عبد القاهر رأينا اتجاهات متعددة في دراسة هذه الظاهرة، ومسائل البلاغة بصفة عامة، فكان هناك اتجاه الزمخشري الذي تأثر كثيرا بعبد القاهر، فاهتم ببيان قيمة الحذف والكشف عن أسراره في أساليب القرآن الكريم ...، وكان هناك اتجاه السكاكي الذي اهتم بوضع الضوابط والقواعد، وقد بلغ الغاية في هذا الشأن ...، ثم كان هناك ابن الأثير والعلوي، واتجاههما كان أقرب إلى اتجاه عبد القاهر والزمخشري

— كما رأينا في الفصل الثالث — وفي الباب الثاني : وقفت طويلا أمام أساليب القرآن الكريم ، فعرضت نماذج من صور الحذف المختلفة ، بينت — قدر استطاعتي — أسرار الحذف في هذه النماذج — كما رأينا في الفصل الأول —

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن قرائن الحذف ، فلقد اهتم العلماء منذ نشأت دراسة الحذف ، بالتنبيه إلى ضرورة وجود الدليل الذي يدل على المحذوف ويشير إليه ... ، وقد نشأ خلاف بين العلماء حول موضوع القرينة الدالة على المحذوف وهل يشترط أن تكون من جنس المحذوف أم يجوز أن تكون من غير جنسه ... ؟ ..

وقد ترتب على ذلك اختلافهم في تقدير المحذوف في بعض آيات القرآن الكريم وحكم بعضهم بالرداءة والعيب على الحذف في بعض الأساليب التي لا عيب بها ولا رداءة — كما رأينا في الفصل الثاني ...

وأستطيع الآن أن أقول : إن دراسة البلاغيين لظاهرة الحذف مستمدة من أساليب القرآن الكريم وما ورد عن العرب الفصحاء ...

ويتضح لنا ذلك فيما يعرضون من شواهد وأمثلة ، وفيما يقررون من تعليلات لأسباب الحذف وأسراره ....

اتهام

ولكننا نجد بعض الدارسين يحلو لهم اتهام علماء البلاغة ، بالتقليل من جهودهم فيزعمون أن البلاغيين لم يستمدوا دراستهم من تراث العرب ولا من أساليب القرآن الكريم ، ولكنهم يتبعون في ذلك علماء اليونان وفلاسفتهم ، فيسطرون أمثلة لا تتصل بتراث العرب ولا بأساليب القرآن الكريم ....

يقول بعض هؤلاء الدارسين : " لا معنى لأن نتساوق مع البلاغيين حين يعرضون

— تقدم المسند إليه إلى أمور تلمسوها من قواعد معينة ، كالتمكن في ذهن السامع والتعجيل بالمسرة أو المساءة والاستلذاذ والتعظيم والتحقير .... الخ ، ومن الغريب أنهم يجعلون نفس هذه الأسباب أو بعضها داعيا من دواعي تقدم المسند أيضا ، وبدراستهم هنا لا تعدو أن تكون نقدا أدبيا لأمثلة معينة تصوروا فيها تلك الأمور التي أشاروا إليها " (١)

ويقول في موضع آخر : " ويكتفي البلاغيون عادة في علاج المتعلقات بأن يرشدونا إلى دستور عام من حيث موضوعها من الجملة ، فيقررون أن الأصل فيها التأخير ، وأن الشائع الكثير الدوران في المتعلقات أن ترد في أواخر الجمل ولا تتقدم على المسند إليه إلا — لنكتة بلاغية ، ولا تتقدم على ركني الإسناد إلا حين يراد التخصيص أو التأكيد ، ثم يردفون هذا القول بأن يقرروا لنا أن التقديم قد يكون لأسباب أخر اصطنعوها اصطناعا ، واستنبطوها من أمثلة معينة ، ومن تلك الأسباب — في رأيهم — الاهتمام والتبرك والاستلذاذ .... " (٢)

وهذا اتهام خطير ولا أساس له من الصحة ، فالبلاغيون يستمدون دراستهم من أساليب القرآن الكريم ، ومما ورد عن العرب الفصحاء ، ولم يصطنعوا الأسباب والأمثلة كما يزعم هذا الدارس ....

فقد رأيناهم يستشهدون بالقواعد المستلفة من آيات القرآن الكريم ومما ورد عن العرب ، ورأينا الأسباب والمسائل التي يقررونها مستمدة من خصائص التعبير القرآني ومن الأساليب الرفيعة الواردة عن العرب الخلصاء ....

فرأيناهم مثلا يسمون الحذف إضمارا ، قاصدين بذلك ضرورة أن يظل المحذوف

(١) من أسرار اللغة د / ابراهيم أنيس ، ص ٢٠٦ (٢) نفس المصدر ص ٢٢١

مختفيا في النفس مستترا وراء العبارة ، لأن الحذف لا يكون إلا لسر بلاغي اقتضاه المقام ، وتقدير المحذوف واعتباره في الكلام ، يذهب بالمعنى البلاغي الذي أفاده الحذف ....

وهم يستمدون ذلك من دراستهم لخصائص اللغة ، ولأساليب القرآن الكريم ، فقد وضح لنا عند دراسة صور الحذف المختلفة في أساليب القرآن الكريم ، أن تقدير المحذوف يفقد المعنى جماله ورونقه ، ويذهب بالقيمة البلاغية التي أفادها الحذف ، واقتضاها المقام ....

كما رأينا تعليلاتهم لظاهرة الحذف ، وذكرهم لأسبابها ، مستمدة من أساليب القرآن الكريم ، ومن لغة العرب الخلص ، فعلى سبيل المثال ، يقول السكاكي ذاكرا أسباب حذف المسند إليه :-

" أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه ، فهي إذا كان الساع مستحضرا له طارقا منك القصد إليه عند ذكر المسند ، والترك راجع إما لضيق المقام ... وإما لإيهام أن في تركه تطهيرا للسان عنه أو تطهيرا له عن لسانك .... وأما لأغراض سوى ما ذكر مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات ، لا يهتدي إلى أمثالها إلا العقل السليم ، والطبع المستقيم . "(1)

فهذه الأسباب ليست مصطنعة كما يزعم البعض ، ولكنها مستمدة من أساليب القرآن الكريم ، ومن لغة العرب الخلص ....

فقد رأينا في الباب الثاني ، كيف يحذف المسند إليه وغيره ، عند ضيق المقام ،

---

١) المفتاح ص ٨٤

ـ كقوله تعالى : " قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل ... " (١) ، وكقوله سبحانه : " يوسف أعرض عن هذا ... " (٢) ، فقد حذف المسند إليه في الآية الأولى ، وحذف حرف النداء في الآية الثانية ، وسر هذا الحذف هو أن المقام مقام ضيق وألم وحزن ، ومثل هذا المقام يحسن فيه الحذف والاختصار ... (٣)

كما رأينا الحذف يقع كثيراً في أساليب القرآن الكريم صيانة للمحذوف ، وتعظيماً له عن الذكر في سياق لا يليق بمثله ، وذلك كقوله تعالى : " قال فرعون : وما رب العالمين؟ قال : رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله : ألا تستمعون؟ قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال : إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون " (٤) ، فقد حذف المسند إليه في الآيات الكريمة صيانة له وتعظيماً لشأنه حتى لا يذكر في هذا المقام الذي طغى فيه فرعون واستعلى وجعل من نفسه إلهاً .... (٥)

ومن ذلك قوله عز وجل : قالوا : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " (٦) ، فقد حذف المسند إليه في الآية الكريمة ، صيانة له ، وكراهة أن يوصف كلام الملك بهذا الوصف ... (٧)

كما وقع الحذف كثيراً في أساليب القرآن الكريم صيانة للسان وتطهيراً له عن النطق بالمحذوف ، كقوله تعالى : " وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا " (٨) وقوله : " بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر فليأتنا بآية كما

---

١) يوسف ٨٣ ٢) يوسف ٢٩ ٣) انظر ص ١٥٨ ، ص ١٣٢
٤) الشعراء ٢٣ ـ ٢٨ ٥) انظر ص ١٥٣ ٦) يوسف ٤٤
٧) انظر ص ١٥١ ٨) الفرقان ٥

ـ أرسل الأولون " [1] ، فقد حذف المسند إليه في الآيتين تحقيراً له وصيانة للسان عن النطق به ..... الى غير ذلك من الآيات الكريمة ... [2]

ثم نرى السكاكي يذكر أن اعتبارات الحذف كثيرة لا تنحصر فيما ذكر من أسباب وكأنه بذلك يستحث النفوس، ويستنهض الهمم ويشحذ العزائم، كي تُقبل على دراسة أساليب القرآن الكريم ، ولغة العرب الخلص ، فتبرز خصائصها الأسلوبية ، وتقف على أسرارها ودقائقها ....

وعلى هذا النحو كانت دراسة البلاغيين مستمدة من أساليب العرب ومتصلة اتصالا وثيقا بأساليب القرآن الكريم ، فإذا كانت هناك أمثلة افتراضية ، أو مصطنعة كما يقول هذا القائل مثل : زيداً ضربت، ونحو هذا ، فإنما هي بقصد التوضيح وتقريب الحقائق التي استنتجوها واستخلصوها من لغة العرب ومن الأساليب الرفيعة ...

فكان يجدر بهؤلاء الذين يقللون من جهد البلاغيين ، ويتهمونهم بالتبعية لفلاسفة اليونان وأهل المنطق ـ كان يجدر بهم قبل أن يصدروا هذه الأحكام ، أن يقرؤا كتب البلاغيين بوعي وبصيرة .... ثم يدرسوا خصائص لغة العرب وأساليب القرآن الكريم ، ليروا :ـ

هل استمد البلاغيون أحكامهم وتعليلاتهم للمسائل وتقريرهم الحقائق ، من لغة العرب ومن أساليب القرآن الكريم ، أم أنهم تبع في ذلك لغيرهم ، ومنفصلون عن تراثهم ؟

وهل الشواهد والأمثلة التي يمثلون بها مستمدة من أساليب القرآن الكريم ، ومن لغة العرب الفصحاء ، أم أنها أمثلة وشواهد مصطنعة ، كما يزعمون ... ؟

---

١) الأنبياء ٥ ٢) انظر ص ١٥٢ / ١٧٧

وبعـــــــد "

فكما ذكرت في المقدمة : لقد بذلت في هذا البحث جهـداً كبيـرا ، ورجعـت إلى كـتب التفســير المختلفة ، لإبراز دقائق الحذف ، والكشف عن أسراره في أساليب القــرآن الكريم ، فإن كنت قـد وفقت فهذا فضـل مـن الله ونعمة : " وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ." ....

وإن كانت هناك بعض زلات أو أخطـاء ، فحسبي قول الرسول الأمـين : " من اجتهـد فأصـاب ، فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ ، فله أجـــر واحـد ." ... (١)

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الطالب

بسيوني عبد الفتاح بسيوني فيـود

أهم مصادر البحث ومراجعه

١ - أثر القرآن في تطور البلاغة د /كامل الخولي طبعة دار الانوار سنة ١٣٨١هـ

٢ - أسرار البلاغة شرح وتعليق د /خفاجي دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٢هـ

٣ - الإشارة إلى الإيجاز ... لعبد العزيز بن عبد السلام رقم ٦٢٣٣ بدار الكتب.

٤ - إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد صقر دار المعارف سنة ١٩٧٧م

٥ - إعراب القرآن المنسوب للزجاج تحقيق ابراهيم الابياري طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية سنة ١٩٦٣م

٦ - الإفصاح على الإيضاح د /أحمد الحجار ، دار الاتحاد العربي سنة ١٩٧٣م

٧ - الأقصى القريب للتنوخي مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

٨ - أمالي المرتضى تحقيق /محمد أبو الفضل ابراهيم ، الحلبي سنة ١٣٧٣هـ

٩ - الإيضاح للخطيب القزويني وبهامشه البغية مطبعة صبيح سنة ١٣٩٢هـ

١٠ - البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق /محمد ابو الفضل الحلبي سنة ١٣٧٧هـ

١١ - البلاغة تطور وتاريخ د / شوقي ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٧٧م

١٢ - البلاغة القرآنية د / محمد أبو موسى ، طبعة دار الفكر العربي .

١٣ - بيان اعجاز القرآن للخطابي - ضمن ثلاثة رسائل - ، دار المعارف سنة ١٩٧٦

١٤ - البيان العربي د /بدوي طبانة ، مطبعة الرسالة سنة ١٣٧٧هـ.

١٥ - البيان القرآني د /محمد رجب البيومي ، طبعة دار النصر سنة ١٣٩١هـ

١٦ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق /السيد صقر ، الحلبي سنة ١٣٧٣هـ

١٧ - تحرير التحبير لابن أبي الاصبع تحقيق د / حفني شرف طبع في القاهرة سنة ١٣٨٣هـ.

١٨ـ التصوير الفني في القرآن لسيد قطب طبعة دار المعارف سنه ١٩٧٥م
١٩ـ تفسير أبي السعود تحقيق/ عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة
٢٠ـ تفسير الطبري طبعة المطبعة الميمنية ...
٢١ـ تفسير المنار للسيد / محمد رشيد رضا طبعة دار المنار سنه ١٣٧٢هـ
٢٢ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي طبعة دار احياء الكتب سنه ١٩٥٥م
٢٣ـ تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي / عبد الجبار طبعة دار النهضة الحديثة ببيروت ، رقم ٣٧١١٦ بدار الكتب
٢٤ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي مطبعة القرى بالنجف سنه ١٩٣٦م
٢٥ـ الخصائص لابن جني تحقيق/ محمد علي النجار، طبعة دار الكتب سنه ١٩٥٢م
٢٦ـ دفاع عن البلاغة لأحمد حسن الزيات طبعة عالم الكتب سنه ١٩٦٧م
٢٧ـ دلائل الاعجاز لعبد القاهر، شرح وتعليق د / محمد خفاجي مطبعة الفجالة سنه ١٣٨٩هـ
٢٨ـ دلالات التراكيب د / أبو موسى ، طبعة دار المعلم للطباعة سنه ١٣٩٩هـ
٢٩ـ روح المعاني للألوسي ، طبعة ادارة الطباعة المنيرية ..
٣٠ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، تحقيق، علي فودة طبعة الخانجي سنه ١٩٣٢م
٣١ـ شروح التخليص ....
٣٢ـ الصاحبي لأحمد بن فارس، مطبعة المؤيد سنة ١٣٢٨هـ

٣٣ـ الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق/ محمد أبو الفضل، وعلي البيجاوي، مطبعة الحلبي سنه ١٩٧١م

٣٤ـ الطراز للعلوي، مطبعة المقتطف سنه ١٩١٤م

٣٥ـ العمدة لابن رشيق تحقيق/ محمد محيي الدين، دار الجيل سنه ١٩١٤م

٣٦ـ الفوائد المشوق لعلوم القرآن وعلم البيان لابن القيم مطبعة الخانجي سنه ١٣٢٧هـ

٣٧ـ في ظلال القرآن للمرحوم/ سيد القطب، دار الشروق سنه ١٣٩٨هـ

٣٨ـ قراءة في الأدب القديم د/ أبو موسى دار الفكر العربي. سنه ١٩٧٨م

٣٩ـ الكامل للمبرد تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم، والسيد شحاتة مطبعة نهضه مصر سنه ١٩٥٦م

٤٠ـ الكتاب لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار القلم سنه ١٩٦٦م

٤١ـ الكشاف للزمخشري مطبعة الاستقامة سنه ١٣٧٣هـ

٤٢ـ متشابه القرآن للقاضي/ عبد الجبار، تحقيق د/ عدنان محمد زرزور دار النصر للطباعة سنه ١٩٦٩م

٤٣ـ المثل السائر لابن الأثير تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة الحلبي سنه ١٣٥٨هـ

٤٤ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة، تحقيق/ محمد فؤاد، مطبعة الخانجي

٤٥ـ المجازات النبوية للرضي تحقيق/ طه الزيني، مطبعة الحلبي

٤٦ـ المحتسب لابن جني طبعة دار الكتب سنه ١٣٨٦هـ

٤٧ـ مذكرات عن كتاب: النكت في اعجاز القرآن للرماني، اعداد د/ أبو موسى

٤٨ـ المطول للتفتازاني.

٤٩ـ معانى القرآن للفراء مطبعة دار الكتب سنه ١٩٥٥ م

٥٠ـ معترك الأقران فى اعجاز القرآن للسيوطى ، تحقيق/ على البيجاوى طبعة دار الفكر العربـــــى سنـه ١٩٦٩م

٥١ـ مفتاح العلوم للسكاكى مطبعة الحلبى سنه ١٣٥٦هـ

٥٢ـ من أسرار التعبير القرآنى د / أبو موسى ، دار الفكر العربى ١٣٩٦هـ.

٥٣ـ من أسرار اللغة د /ابراهيم أنيس، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الخامسة سنه ١٩٧٥م

٥٤ـ الموازنة للآمدى تحقيق/ السيد صقر، دار المعارف سنه ١٣٨٠هـ

٥٥ـ النبأ العظيم د / محمد عبـد الله دراز مطبعة السعادة سنه ١٣٨٩هـ

٥٦ـ نظم الدرر للبقاعى مخطوط بالأزهر تحت رقم ٥٩٠ تفسير.

٥٧ـ النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ـ ضمن ثلاث رسائل ...، دار المعـارف سنـه ١٩٧٦م

٥٨ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للفخـر الرازى رقم ٧٥٤٢ هـ بـــدار الكـــتب

الفهـــــرس

المقدمـــة : " أ ـ ى "

الباب الأول : الحذف عند البلاغيين : " ١ ـ ١٢٨ "

تمهيد : الحذف حقيقة ثابتة فى لغة العرب ـ كيف نشأت دراسة الحذف .

الفصل الأول : الحذف فى دراسات المتقدمين : " ٤ ـ ٥٦ "

الحذف عند سيبويه : " ٤ " ، إشارته إلى صور الحذف المختلفة ـ قرائن الحذف ـ إشارات بلاغية ـ لماذا سمى الحذف إضماراً ـ الفرق بين الحذف وتقدير المحذوف ـ سيبويه عالم نحوى ـ كيف نقدر المحذوف عندما يحتمل أكثر من لفظ ....

الحذف عند الفراء : " ١٣ "

إشارته إلى صور الحذف المختلفة ـ إشارات دقيقة إلى أسرار الحذف يفيد منها عبد القاهر ـ لايشترط فى المحذوف أن يكون من جنس المذكور الدال عليه ـ متى يحذف جواب الشرط ـ إفادة عبد القاهر من ذلك ....

عند أبى عبيـــدة : " ١٨ "

صور الحذف ـ منهجه فى كتابه : مجاز القرآن ـ معنى المجاز عنده ....

عند ابن قتيبـــة : " ٢١ "

حديثة عن صور الحذف ـ ادعاؤه الغموض والإشكال سبب الحذف فى بعـــض آيات القرآن الكريم ـ الرد عليـــه ...

عند الآمدى : " ٢٥ "

غايته من كتاب : الموازنة ـ إشارته إلى ظاهرة الحذف ، وكيف تناولها العلماء

- بالدراسة - تحامله على أبي تمام - يجوز للمحدث أن يستعمل ظاهرة الحذف في أساليبه بنفس الطريقة الواردة عن العرب - إشارة دقيقة إلى السر البلاغي لحذف الحروف ....

عند ابن جني : " ٣٢ "

إفاضته في الحديث عن القرائن - الكلام مسموع ومقروء - يشير إلى أسرار الحذف - إحالته إلى الذوق لإدراك أسباب الجمال ....

عند الرماني : " ٣٥ "

تقسيمه الإيجاز قسمين - إشارات إلى أسرار الحذف - إفادة عبد القاهر من إشاراته .

عند أبي هلال : " ٣٨ "

فضل الإيجاز - صور الحذف المختلفة - رأيه في الحذف الردي والرد عليه .

عند الشريف الرضي : " ٤١ "

قيمة الإيجاز - رده على من زعم أن في القرآن الكريم حروفا زائدة - عدم دقته في استعمال المصطلحات - إشارته إلى السر البلاغي لحذف الحروف وأجوبة الشرط - تأثره بالآمدي والرماني ....

عند القاضي : عبد الجبار : " ٤٥ "

تأويله الآيات بما يتفق مع آراء المعتزلة - لا يشترط في المحذوف أن يكون من جنس المذكور - إشارته إلى الاختصار في القصر القرآني .

"

عند الشريف المرتضي : " ٤٧ "

ـ كثرة الحذف في لغة العرب ـ مباحث علم البيان مبنية على الحذف ـ قيمة الحذف وسر بلاغته ـ وجوب الاهتمام بدراسة الحذف في أساليب القرآن الكريم ـ سر الحذف في القصص القرآني .....

عند ابن رشيق : " ٥٠ "

قيمة الإيجاز ـ نقله عن الرماني ـ إشارته إلى مجاز الحذف ـ ترك جزء الكلمة ـ وهل يعد حذفا ؟ ....

عند ابن سنان الخفاجي : " ٥٣ "

فضل الإيجاز ـ تأثره بالرماني ـ تأثره بأبي هلال ....

الفصل الثاني : الحذف عند عبد القاهر : " ٥٧ ـ ٨٩ "

إفادته من إشارات سابقيه في دراسة الحذف ـ المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ ـ الفرق بين الحذف وتقدير المحذوف ـ أسرار حذف المفعول ـ لماذا لم يشر إلى صور الحذف المختلفة ـ المجاز العقلي والحذف ـ اعتراضات قد توجه لعبد القاهر والرد عليها ـ مجاز الحذف ....

الفصل الثالث : الحذف بعد عبد القاهر : " ٩٠ "

عند الزمخشري : " ٩٠ "

تأثره بعبد القاهر في بيان أسرار الحذف ـ الحذف والتقدير ـ السر البلاغي لحذف الجواب ـ أسرار حذف المفعول ـ حذف الجملة والجمل ـ قرينة الحذف اشتراطه أن يكون المحذوف من جنس المذكور الدال عليه ـ يجب أن تكون النظرة إلى الإيجاز نظرة كلية .....

عند السكاكى : " ١٠١ "

اهتمامه بوضع الضوابط — هل يعد عيبا ؟ — الرد على من يرى ذلك عيبا — منهجه فى دراسة الحذف — بناؤه تعريف الإيجاز على متعارف الأوساط — نزوعه أحيانا إلى الشواهد وتحليلها — أتباع السكاكى — تلخيص المفتاح — شروح هذا التلخيص — دراسة الحذف عندهم — الإيضاح — طريقة الخطيب فى الإيضاح .....

عند ابن الأثير والعلوى : " ١٠٩ "

منهجه فى دراسته — تأثره بعبد القاهر — بيانه لقيمة الحذف — صور الحذف حذف الجمل — حذف المفردات — ما يدق من الحذف فى أساليب القرآن الكريم جمال الحذف فى القرآن الكريم — نقده للسكاكى فى بناء الإيجاز والإطناب على متعارف الأوساط — تأثر العلوى بابن الأثير إلى حد أنه لم يضف جديدا عنه فى دراسة الحذف ....

مجاز الحذف — وكيف سمى مجازا ....

الفصل الرابع : مقارنة بين الإيجاز بالحذف والإيجاز بغيره : " ١٢٠ "

إيجاز القصر — تعريفه — الفرق بينه وبين إيجاز الحذف — إيجاز التقدير — تعريفه — وهل هو المساواة ؟ — تقسيم الكلام إلى إيجاز وإطناب ومساواة يحتاج إلى مراجعة — خلاصة هذا الفصل .

الباب الثانى : الحذف فى أساليب القرآن الكريم : " ١٢٩ "

الفصل الأول : صور الحذف فى أساليب القرآن الكريم : " ١٣١ "

حذف الحروف : " ١٣١ "

حذف الجار والمجرور : " ١٣٨ "
حذف المضاف : " ١٤٤ "
" المبتدأ : " ١٥٠ "
" الخبر : " ١٥٩ "
" الفعل : " ١٦٤ "
" الفاعل : " ١٧٢ "
" المفعول : " ١٧٩ "
" الصفة أو الموصوف : ١٨٥ "
" الشرط وأداته : ١٦٤ "
" الأجوبة : ١٩٩ "
" الجملة : ١٩٨ "
" الجمل : ٢٠٧

الفصل الثاني : قرائن الحذف : " ٢١٨ "
تنبيه العلماء إلى ضرورة قيام القرينة الدالة على المحذوف ـ قرائن الحذف تفيد معنى آخر لا يفيده المحذوف ـ كيف نقدر المحذوف إذا كان هناك أكثر من دليل عليه ـ لا يشترط في قرائن الحذف أن تكون من جنس المحذوف ـ الرد على الزمخشري ـ الرد على أبي هلال .

خاتمة وتعقيب : " ٢٢٩ "
الرد على من يزعم أن البلاغيين يتبعون اليونان فيما يقررون من مسائل البلاغة وفنونها ـ وبيان أن دراسات البلاغيين مستمدة

- من لغة العرب ومن أساليب القرآن الكريم ....

أهـــم مصـادر البحـــث ومراجعه : " ٢٣٦

الفهـــرس : " ٢٤٠

.. والحمد للـــه أولا وآخـــرا ..